منشورات الآباتي بطرس فهد

١ ــ كتاب الهدى دستور الطائفة المارونية في الاجيال الوسطى ، حلب ، ١٩٣٥ .
٢ ــ كتاب الملكية والمارونية ، أصلها مخطوطة للبطريرك بولس مسعد . جونيه ، ١٩٤٠ .
٣ ــ ترجمة سيرة الأب العام جبرايل الشمالي باني دير القديسة تريزيا في سهيله ، جونيه ، سنة ١٩٤٢ .
٤ ــ رد مسهب على منتقدي كتاب الهدى ، حلب ، سنة ١٩٤٣ .
٥ ــ اليوبيل المئوي الثاني لرسالة الرهبنة في دير القمر ، جونيه ، سنة ١٩٥٢ .
٦ ــ حول كتاب الهدى وتاريخ الطائفة المارونية ، جونيه ، سنة ١٩٥٤ .
٧ ــ علاقات الطائفة المارونية بالكرسي الرسولي ، جونيه ، سنة ١٩٥٥ .
٨ ــ مختصر المجامع المسكونية ، جونيه ، سنة ١٩٦٠ .
٩ ــ ذكرى دير مار دوميط بفيطرون ومكتبته الخطية ، سنة ١٩٦١ .
١٠ ــ لمحة عن مذهب تحديد النسل ورأى الكنيسة ، سنة ١٩٦٢ .
٢٢ ــ تاريخ الرهبنة المارونية بفرعيها الحلبي والبلدي ١٢ جزءا سنة ١٩٦٣ – ١٩٨١ .
٢٣ ــ أطروحة الملفنة للمطران يوحنا شديد ترجمتها عن الايطالية ، سنة ١٩٦٦ .
٢٤ ــ ترجمة حياة القديس يوحنا مارون البطريرك الاول الانطاكي الماروني سنة ١٩٧٠ .
٢٥ ــ أقوال الراهبة هندية وسيرة حياتها ، سنة ١٩٧٢ .
٢٦ ــ ردود ونبذات تاريخية هامة ، جونيه ، سنة ١٩٧٢ .
٢٧ ــ فهارس مخطوطات عربية وسريانية في اديار الرهبنة سنة ١٩٧٢ .
٢٨ ــ الكنائس الشرقية على اختلافها عبر التاريخ ، سنة ١٩٧٣ .
٢٩ ــ العلامة يوسف سمعان السمعاني الشهير ، سنة ١٩٧٢ .
٢١ ــ الشرح المختصر للعلامة البطريرك اسطفان الدويهي ، جزءان ، ١٩٧٣ و١٩٧٤ .
٣٢ ــ المطران بطرس جواد صفير بالعربي والايطالي سنة ١٩٧٤ .
٣٣ ــ تاريخ الازمنة البطريرك اسطفان الدويهي ، سنة ١٩٧٦ ، وأعيد طبعه ١٩٨٢ .
٣٤ ــ مجموعة المجامع الطائفية منذ البدء الى اليوم ، سنة ١٩٧٥ .
٣٥ ــ الموجز التاريخي عن الرهبنة المارونية الحلبية اللبنانية ، سنة ١٩٧٩ .
٣٦ ــ البطريرك يعقوب عواد في الميزان ، سنة ١٩٨١ .
٣٧ ــ كتاب الكمال وهو الجزء الاول من الهدى المعروف ، سنة ١٩٨١ .
٤٥ ــ سلسلة البطاركة الموارنة والاساقفة ، ٨ اجزاء ، سنة ١٩٨١ ـ ١٩٨٧ .
٤٦ ــ مجموعة الآباتي اللبودي الحاوية ٢٤٢ رسالة في القرن الثامن عشر ، سنة ١٩٨٨ .
٤٧ ــ مجموعة وثائق قديمة هامة للاب انطون مارون الحلبي كتبها بمصر في القرن الـ ١٨ ، سنة ١٩٨٨ .
٤٨ ــ رسائل الاب ارسانيوس قرداحي وسجله الكبير في القرن الثامن عشر ، ١٩٨٩ .
٤٩ ــ الآباتي بطرس خويري بطل الحرب الكونية الأولى في لبنان ، سنة ١٩٨٩ .
٥٠ ــ مار مارون واديارة وكنائسه .
٥١ ــ مجموعة رسائل الآباتي ارسانيوس قرداحي .
٥٢ ــ أديار لبنان لمختلف طوائفه المسيحية .
٥٣ ــ ترجمة حياة الآباتي الياس ابو خير المدبر البطريركي في مصر .
٥٤ ــ الآباتي جبرايل صفير العجلتوني .
٥٥ ــ المطران يوسف دريان
٥٦ ــ تمهيد وتعريف عن المطران حنين أو حنانيا الماروني
٥٧ ــ الآباتي طوبية المنيسي ١٩٩١
٥٨ ــ زيارة البطريرك الماروني صفير الى مصر ١٩٩٢
٥٩ ــ المطر[illegible]نا شديد ، بعد وفاته ، ١٩٩٢
٦٠ ــ لمحا[illegible] و[illegible]ث مارونية ١٩٩٢
٦١ ــ المؤسس الأب عبدالله قراعلي الحلبي ١٩٩٢ .
٦٢ ــ الباباوات الشرقيون ١٩٩٣

المطران

عبدالله قراعلي

مؤسس الرهبانية المارونية الحلبية اللبنانية

١٦٩٤

في وادي قاديشا المقدس

في عهد البطريرك الماروني العظيم

اسطفانوس الدويهي علامة دهره

بقلم

الآباتي بطرس فهد

١٩٩٣

Discarded
جامعة الروح القدس - الكسليك
المكتبة العامة

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠܐ ܒܝܬ ܕܝܢܐ
ܘܦܘܪܥܢܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܡܠܟܘܬܐ ܘܫܒܩܐ ܕܢܣܒ ܟܠ ܐܘ
ܠܡܠܟ ܠܗ ܫܒܩܐ ܠܐ ܢܣܒ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܒܩܐ ܒܝܬ
ܒܚܘܫܒܢܐ ܥܕܡܐ ܕܢܦܩ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

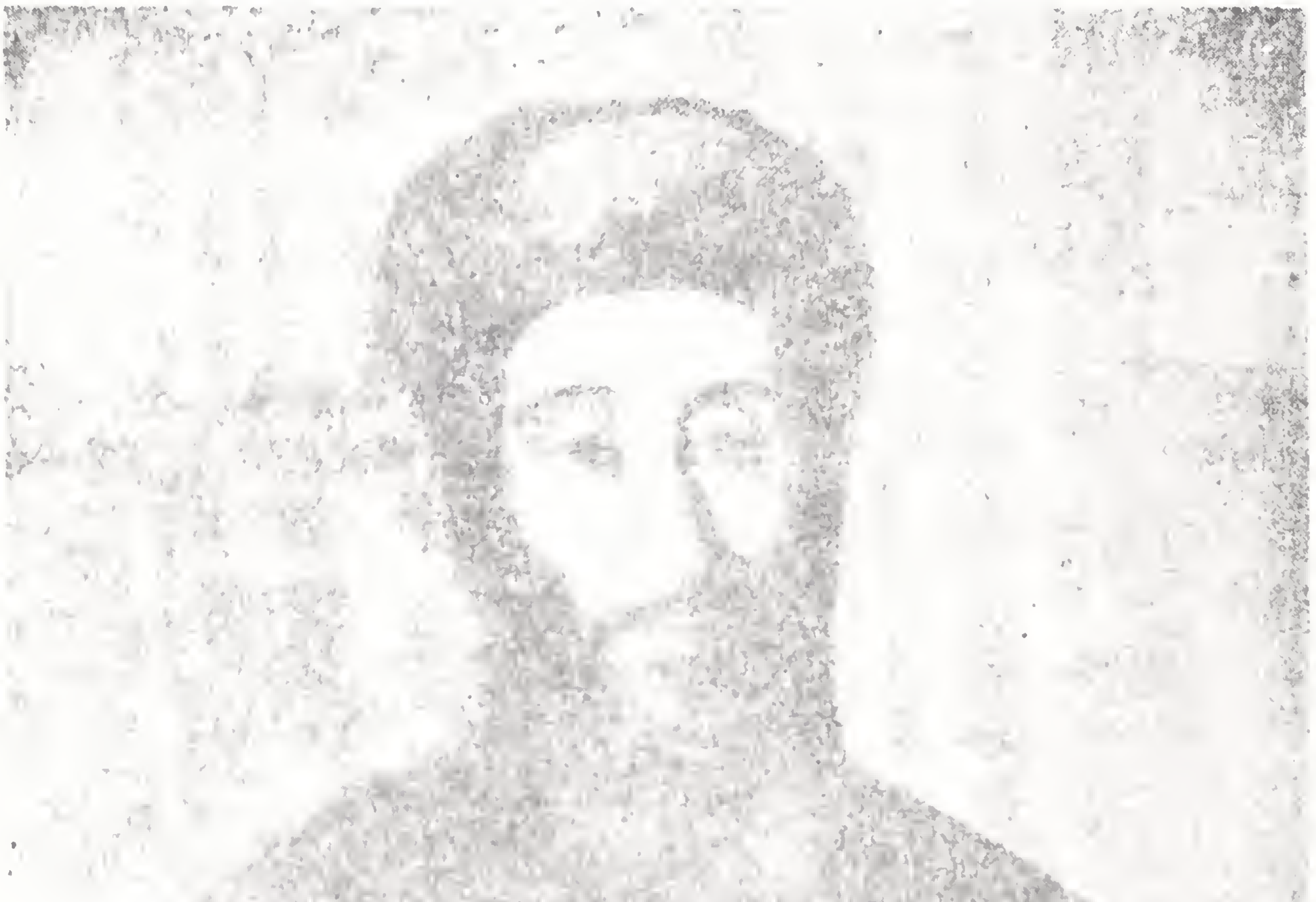

المطران عبدالله قراعلي

لا مـــانع من طبعه

تحريراً في ٥ كانون الثاني ١٩٩٣

الحقـــير

الآباتي انطون صفير

رئيس عام الرهبانية المارونية المريمية

تمهيـــد

خير ما أصدّر به كتابي هذا عن المغفور له المطران عبدالله قراعلي الحلبي مؤسس رهبانياتنا المارونية في لبنان ، هذا **المكتوب الكريم** الذي وجهه الي غبطة بطريركنا الانطاكي المفدى **مار نصرالله بطرس صفير** الكلي الطوبى ، بعد استلامه نسخة من كتابي الأخير عن رحلة غبطته الموفقة الى رومه وافريقيا ومصر ، واطلاعه على مراكز رسالتنا المارونية في كل القطر المصري ، ومركز المطرانية المارونية ومعهدها الفخم ، واشتراكه الفعلي في مؤتمر البطاركة السبعة الكاثوليك الذي عقد في كرسي بطريركية الاقباط الكاثوليك في **المعادي** بالقاهرة ، ونشرنا فيه ما جرى من مباحث ومقالات واعتبارات هامة لأجل تحقيق الوحدة المسيحية . وهذا نص الرقيم البطريركي الكريم الثمين :

بكركي في ٢١ نيسان ١٩٩٢

حضرة ولدنا العزيز ، الآباتي بطرس فهد ، الجزيل الاحترام

تلقّينا رسالتكم المؤرّخة في ١٩٩٢/٣/٣١ التي ارفقتموها ببضع نسخ عن الكتاب الذي وضعتموه في مناسبة زيارتنا الأخيرة لابنائنا الاعزاء عندكم ، وقد اعربتم فيها عن عاطفتكم الطيّبة ، واجتماع البطاركة الشرقيين الكاثوليك ، وضمّنتموه « مباحث تاريخية عن مراكز رهبنتكم في القطر المصري » منذ نشأتها .

انّا اذ نشكر لكم هذه العاطفة التي ألفناها لديكم ، نهنئكم لهذا المجهود الجديد الذي يضاف الى سلسلة مؤلّفاتكم المعروفة .

وانّا اذ نكرّر لكم عاطفتنا ، نسأل الله ان يوالي عليكم نعمة العافية ويشملكم انتم وابنائنا الاعزاء ، آباء الرهبانية المريمية الجليلة برضاه وبركاته .

نصرالله بطرس صفير

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

مقدمة الكتاب

المطران عبداله قراعلي الحلبي هو عبدالاحد اساسا بن ميخايل بن عبدالاحد . بتسلسل من اسرة وجيهة نازلة من جدها الاكبر او الاعلى عبدالاحد الذي اختلف القوم في تعيين مسقط راسه ؛ فقال بعضهم انه اعجمي هاجر وطنه في ثنايا القرن السادس عشر ؛ وقال آخرون بل هو أحد النازحين من لبنان في مطلع القرن السابع عشر . وشرحوا لقبه « قراعلي » لسواد يده . لان لفظة قراعلي تركية ومعناها اليد السوداء . وهذا تقليد عائلي[1]. اما نحن فلا نرّجح رايا على آخر . لانه لم يصلنا حكم مكتوب عن ذلك . مع اننا نعرف عمن سبقنا من المؤرخين ان قراعلي ينتسب الى اسرة حلبية معروفة بالتدين والغنى والجاه . ومشهورة بان بعض افرادها خدموا الدولة الفرنسية وقنصلياتها . وفيها رجال اكفاء خدموا الدين والمجتمعات الروحية مثل مترجمنا المتجرد الغيور . ومثل المدبر يوسف قراعلي أمين سر العلامة السمعاني عندما جاء لبنان لعقد المجمع اللبناني الشهير . والقس عبدالله احد كهنة حلب العالميين[2].

وبما ان مترجمنا التقي ينتسب الى حلب فلا بدّ لنا من كلمة وجيزة عنها . فهي مدينة كبيرة عامرة . تدعى الشهباء . زاهرة بالعلوم والتجارة والآداب والمدارس . منبسطة في آخر سهول سورية الشمالية . كحلقة اتصال بينها وبين الاناضول ، وبغداد . وما بين النهرين وغيرها . وهي غنية بالمصانع والتجارة والجوامع

---

١) راجع كتاب برنامج أخوية القديس مارون . للسيد يوسف خطار غانم ، ص ١٢٢ .

٢) راجع المصدر نفسه وكتاب اللآلي للخوري بولس قراعلي . ج أول ص ٤ .

والكنائس . وشعبها نشيط مقدام زكي ومتميز بكل اصناف الفنون والعلوم والسياسة واستقبال المرسلين(٣).

ومعلوم ان حلب منذ آواخر القرن الخامس عشر كانت مزدهرة بالعلوم والفنون والصناعة والتجارة ، وفيها المآذن والكنائس ، واقيمت فيها الطقوس والمعاهد ، ودقت النواقيس ، وبلغ عدد المسيحيين فيها من روم ، وموارنة ، وملكيين ، وارمن ، وسريان نحو العشرين الفاً . وقد توافد اليها المسيحيون والمرسلون الافرنج واقاموا فيها الرسالات وانتشروا الى لبنان وسواه . ومن الثابت ان الموارنة لم يكونوا بالجديدين فيها بل هم من القرن الرابع فصاعداً . فقد ذكر البطريرك الملكي ديونيسيوس التلمحري العظيم ، احد مشاهير القرن الثامن ، ان الموارنة تنازعوا مع الملكيين سنة ٧٢٧ على كنيسة حلب الشهباء التي شادها أسقفها أكاشيوس في المئة الرابعة بعد الميلاد فقال :

« ان الملكية اصابهم الجانب الغربي من الكنيسة ، والاسقف والموارنة اصابهم الجانب الشرقي على ما حكم به حاكم الشهباء لذاك العصر »(٤).

وعقّب على ذلك الكاتب خطار غانم قائلاً : « فترى من هذا الاثر ان الموارنة على قدم عهدهم في حلب كانوا مشتدي الساعد حتى استطاعوا مدافعة الملكية على الكاتدرائية ، ونظن انهم استمروا على حد عديدهم وشديد قوتهم الى اواخر الاجيال الوسطى ... ولم يبلغوا الى حد الانقراض ابداً على ما يلوح من آثار المطران الكفرطابي الذي جاء لبنان في القرن الحادي عشر ، والنابغة جبرايل القلاعي ، والبطريرك العظيم اسطفانوس الدويهي الشهير في العصر السابع عشر » .

وجاء عن هذه الاسرة « قراعلي » انها من اقدم الاسر الحلبية

---

٣) راجع المصدر نفسه .

٤) راجع برنامج أخوية القديس مارون المذكور ، ص ١٩٥ .

المارونية . وتكتب على نوعين : اما قرائني بالهمزة . واما قراعلي بالعين . وكلا الاسمين يدلان على اصل غير مسيحي ، ومعنى ذلك كما قلنا « اليد السوداء » من اللغة التركية . ويقول البطريرك بولس مسعد ان جدها آت من التركمان الذين احتلوا سواحل كسروان بعد خرابه في بدء القرن الرابع عشر . وكان مقدماً للازواق (مكايل ومصبح والخراب) فتنصّر وهرب الى بلدة حدشيت الشمالية. وقال الخوري العالم جرجس منش أن اصلها من حلب الشهباء ، وتقرب جدها من الحكام الاتراك فاطلقوا عليه لقب « قراعلي » تحبباً . فعمّ الاسم كل الاسرة(٥).

وقد ظهر عبدالاحد الحلبي الذي سمّي بعدئذ عبدالله قراعلي الحلبي . على مسرح الوجود في سنة ١٦٧٢ في حلب . واندفع كما سنرى في ميدان الحياة . جاهداً عاملا . مذللا العقبات التي اعترضت سبيله الى غاية اسمى وهدف اكمل . فما كاد يبلغ الثامنة عشرة من عمره حتى اصابه مرض عضال . فبدلا من ان يضعف ايمانه . وينحر المرض افكار النسك والزهد الكامنة في باطنه . ازدادت ارادته اضطراماً بمحبة الرب . واتكالا عليه . فوضع فيه كل آماله وامانيه . راجياً ان يتحد به اتحاداً قويا دون انفصال مدى الحياة .

ولكي ينتصر على تجارب الشيطان في اثناء مرضه . اكبّ على قراءة الكتب الروحية والنسكيات نظير كتاب « بستان الرهبان » « واباطيل العالم » . وكتب النساك القدامى نظير كوكب البرية للقديس انطونيوس ابي الرهبان . والقديس باخوميوس . والقديس باسيليوس . والقديس افرام السرياني في مجموعة من ميامره . والقديس يوحنا السلمي في كتاب « سلم الفضائل » وغيرهم . مسلماً ارادته الى المسيح الفادي ، طالباً منه ان يثبّته في مقاصده . ويسهّل امامه كل صعوبة ومشقة ليدخل سلك الرهبانية ، ويخدم ربه بكليته ويخدم الانسان أخاه الذي مات المسيح لأجل افتدائه .

---

٥) راجع المجلة السورية لصاحبها الخوري بولس قراعلي في سنتها الاولى ص ٤١٨ .

وقد تبلورت شجاعته وقوته في ابان مرضه هذا . وما غادر سرير المرض حتى عقد العزم على الذهاب الى لبنان في وادي النساك والمتوحدين . جبل الالهام وعبادة الله الحقة . وكانت له صلة وثيقة مع بعض الاولاد . رفقائه في المدرسة التي كان يدير شؤونها بمهارة الخوري الماروني اللبناني العلامة بطرس التولاوي . تلميذ المدرسة المارونية في رومه سنين عديدة(٦).

فنشط اهلوه على تثبيط عزائمه بمعاونة بعض خلانه ومعارفه ، خوفا من ان يضع يده على المحراث ويلتفت الى الوراء . كما قال الانجيل ، فيهزأ به معارفه واصدقاؤه ومعارف ابيه الكثيرون . لكن جهودهم واقوالهم باءت بالفشل ، وذهبت هباءً منثوراً ولم تجدهم نفعاً على الاطلاق . لانه ظهر في عقل عبدالله نور ساطع اضاء له الطريق السوي ، وفي ارادته قوة نادرة أتته من العلاء لتثبّت عزائمه . ذلك لان سجيته منذ خروجه من حلب وطنه الاصلي ، الى لبنان وطنه الثاني المحبب اليه ، كان الاتحاد بالله معتصمه ، والاعتصام به والاتكال عليه ، فلو تألبت عليه قوات الارض كلها لما كانت تنال منه مأرباً بعون الله(٧).

والجدير بالذكر ان هذا التأليف هو تمهيد لوضع تاريخ جديد عن اليوبيل المئوي الثالث لرهبانيتنا الحلبية اولاً ، لان المؤسسين اصلهم من حلب الشهباء ، ثم اللبنانية لانها تأسست في لبنان بالوادي المقدس ، واخيراً المريمية استشفاعاً بقدرتها وشفاعتها كما جرى في سنة ١٩٦٩ كما سنرى .

---

(٦) جاء الى حلب هذا الخوري العالم ليعظ فيها سنة ١٦٨٨ وظل رئيسا لكهنتها من سنة ١٦٩٨ الى ان توفي فيها سنة ١٧٤٥ .

(٧) راجع مذكرات قراعلي في المجلد الثالث من تاريخنا الرهباني ، ص ٢٢٢ .

الفصل الاول

١ ــ نشأة المطران عبدالله وحداثته[١] ونذوره :

ولد عبدالله في حلب الشهباء يوم الثامن من أيلول سنة ١٦٧٢ ، من والدين مشهورين بالتقوى والسيرة الصالحة . وكان اسم والده ميخايل ، واسم والدته هيلانه ابنة الحاج يعقوب بركات . فسمّاه والداه عبدالاحد باسم جد الاسرة الاكبر ، تيمناً بان يكون ولدهما عبداً صالحاً للاله الاحد ، وكانا على جانب عظيم من الورع وعلى شيء من السعة . فربّياه احسن تربية ، واوسعا له ابواب المعارف الميسورة في ذلك العصر . وكان له اربعة اخوة ذكور ما عداه ، واختان اثنتان . ولما انتشأ وضعاه عند المعلمين الثقاة ليتعلم اللغتين العربية والسريانية . فاستدام على ذلك الى ان بلغ الثانية عشرة من عمره . وعند ذلك ابتدأ ان يقرأ في كتب الآباء والزهاد الى ان بلغ الرابعة عشرة من عمره . فظهرت حينئذ عليه علائم الزهد والعبادة . فعيّنه ابوه ليتعلم الاعراب كالنحو والصرف على الشيخ سليمان الخوري الحلبي ، ثم على الخوري بطرس التولاوي الماروني ، ورغب ابوه ان يعلّمه ايضا اللغة الايطالية ، رغبةً في صناعة التجارة ومعاطاة البندر . لان والده كان يلحظ في هذا الفتى عقلاً ثاقباً ، وحشمة زائدة ، وله قبول عند العال والدون[٢].

---

١) انظر سيره الأب عبدالله بقلم كاتب حياته تلميذه الأب توما اللبودي المنشوره في المجلد السادس من تاريخنا الرهباني ، ص ٣٠٠ وما بعدها .

٢) راجع المصدر نفسه ؛ وكتاب اللآلي المذكور ، ص ٧ .

٢ ــ الطريقة الرهبانية[٣] :

« ولما انتشا (يتابع الأب اللبودي) عبدالاحد الى السنة السادسة عشرة من عمره ، كان يتزايد فيه الشوق الى الطريقة الرهبانية ، وكان يتفكر سراً كيف يكون العمل لبلوغ قصده ، لان في مدينة حلب وبرها لم يكن ديارة او اديار للرهبان، انما الخبر الشائع انه في جبل لبنان موجود رهبان وديارة باسم ابينا القديس انطونيوس ابي الرهبان . وعبدالاحد هذا لم يرَ سبيلاً للتوجه الى تلك النواحي، لان المسافة بعيدة انوف (اكثر) من عشرة ايام . ومع هذا لم يكن له جراة ان يكلم اباه وامه بهذا الخصوص . ولم يظهر لهم رغبته ، مع انهم كانوا ذوي صلاح وتقوى . لان والده ما كان يمكن ان يطلقه الى بلاد مجهولة عندهم ، وهو بهذا السن الصغير . فاستدام عبدالاحد في رغبته هذه . الا انه تارةً كان يرتخي وتارة يشتدّ في عزمه ويرغب .

« وكان له عشرة من نسبته ، وخاصةً ثلاثة انفار منهم ، الذين فيما بعد ترهبوا معه جملةً ، كما سيأتي ذكر ذلك في محله (وهم جبرايل حوا ، ويوسف البتن وثالثهم جبرايل فرحات القدير في اللغة العربية) . فدام هذا الفتى على هذه الحال ، الى ان بلغ من العمر ثمانية عشرة سنة . فباحكامٍ إلهيةٍ مرض عبدالاحد مرضةً ثقيلة . وبعونه تعالى شفي منها تماماً . وحين كان في الفراش ، وليس له قوة على الخروج كان يقرأ كتباً روحيةً للتسلية كما سبق القول . وانتهى الى قراءة كتاب بستان الرهبان ، والى كتاب مار يوحنا السلمي صاحب سلم الفضائل ، وكان يتأمل بسيرة الآباء مثل ابينا مار انطونيوس كوكب البرية ، ومكاريوس ، وارسانيوس ومن ماثلهم . فتحرّك قلبه بحركةٍ فاقت ما قبلها من الحركات ، وعزم العزم الاكيد في ترك العالم ، والتجند الى حمل نير المسيح » .

وتابع تلميذه الأب اللبودي يقول في مقالته المذكورة : « فبعد

---

[٣] راجع المجلد السادس من تاريخنا الرهباني ، في الموضع المذكور اعلاه .

شفائه من المرض ، رجع الى الاجتماع بعشرائه ، وهم جبرايل ابن توما حوا ، ويوسف ابن البتن ، وجبرايل ابن فرحات . وهؤلاء المذكورون جميعهم كانت مذاكراتهم على الدوام في امور روحية ، وقراءة كتب القديسين ، ورغبة الزهد في العالم . مع انه ولا واحد منهم كان قد اطلع رفيقه على سريرته الروحية الحقيقية . فحدث ان يوماً ما اضطرمت في قلب عبدالاحد نار حب الله ، واضناه الشوق الى الزهد في العالم ، وحمل نير الرب الخفيف ، واتباع سيده السيد المسيح ، ومع ذلك كان حائراً كيف يكون العمل ليبلغ اربه . لان بلادنا جميع حكامها غير مؤمنين بامانتنا كما تفهمون ذلك . فالتزم انه افشى بسره الى جبرايل ابن توما حوا ، واخبره عن نيته وعزمه .

« فرد له الجواب جبرايل ابن توما حوا بقوله له هكذا : « ان هذه هي نيتي ايضاً . وان اردت فنكون جملةً » . فتعاهدا بالقول ، واما يوسف ابن البتن فعرف بالرمز نيتهما ، وعهدهما على العمل مثلهما ، وصار الرضى بينهما ، اعني جبرايل ، وعبدالاحد ، بأن كل واحد منهما يستاذن والده بذلك . فجبرايل حوا اذن له والده توما ، برغبته ومطلوبه ، واشار اليه بأن يأخذ معه بضاعةً ، ويمضي بها الى طرابلس ، لانها ميناء جبة بشراي ، الموجود فيها الكرسي البطريركي الماروني . ويومئذ كان البطريرك اسطفان الدويهي من قرية اهدن ، وكان بالاصل نسيباً لبيت حوا . وكان كلام والده له هكذا : « انك تتوجه الى هناك بعلة التجارة ، وتزور وتكشف تلك النواحي ، فان امكنك المكث واختبرتَ ذاتك بالثبات ، فلك ان تمكث ، لانك مطلق الارادة . واوعد والده بأنه يعينه مدى حياته » .

« فاتى جبرايل حوا الى عبدالله أي عبدالاحد ، واخبره بالذي صار معه ووالده، وانه صار يتوجه كما ذكر اعلاه . فتشجّع عبدالله أي عبدالاحد بالمشورة الى والده . واظهر له نيته وعزمه ، وان مراده ان يتوجّه مع جبرايل حوا . فمانعه والده لانه كان يراه رقيق الجسم ضعيفاً . واولى بنا ان نقول ان الطبع كان متقلباً عليه في فرقة والده . واذ رأى عبدالله ذلك . ارتمى على اقدام والده باكياً . واقتصارنا هذا يكفي لفهمكم » .

« اخيراً بعد اللجاجة الزائدة ، وعده بأنه يرسله ليزور القدس الشريف على درب الشام . وبعد زيارته يرجع على درب البحر . ومن يافا ينتهي الى طرابلس . ومن هناك يزور الكرسي البطريركي في قنوبين ، وغيره من الديورة الكثيرة ، وعندئذٍ يختبر ذاته اذا كان له قوة على سكنى البراري وما شاكلها او لا ؟ — فتوجّه جبرايل حوا ومعه تجارته الى طرابلس ، من غير ان يعرف أحد سره الا والديه فقط . وكان خروجه من حلب سنة ١٦٩٣ في أول تشرين الأول » .

« وفي ثاني سنة ١٦٩٤ ، خرج عبدالله من مدينة حلب برضى والديه ، وذهب الى زيارة القدس الشريف ومعه يوسف ابن البتن . ومن هناك جاء جبل لبنان مع يوسف المذكور . وتوجّها مع جبرايل حوا يوم خميس الجسد جملةً الى دير قنوبين بالوادي المقدس ، وقابلوا السيد البطريرك (اسطفانوس الدويهي علامة دهره) واخبروه بنيتهم بعد ان قبلّوا يديه الطاهرتين » .

وهنا نقاطع هنيهةً المغفور له الأب توما اللبودي كلامه التاريخي النفيس لنأتي مكانه ببعض العبارات عن قنوبين للعلامة الأب هنري لامنس اليسوعي[٤] ، قال : « ودير قنوبين مغارة سدت بالبناء واقعة في الجنب الايمن من وادي قاديشا تحت غابة الارز الخالد ، يعزى تأسيسه الى أحد تلاميذ القديس تاودوسيوس منظّم الطريقة الرهبانية الذي توفي في آخر القرن السادس للمسيح . وفي جداري هذا الوادي العميق حفر وكهوف وأكواخ مأهولة بالنساك والمتوحدين . وفي قعر الوادي نهر يمتزج عجيج مياهه باصوات العبّاد المصلين والمسبحين الله بترانيمهم » .

بعد ان انكسر الصليبيون الاوروبيون في سنة ١٢٦٠ وعادوا الى بلدانهم ، اجتاحت جحافل المماليك ارض لبنان المقدسة ، وعاثوا فيها فساداً وقتلاً وخراباً وغرامات ، فهدموا وقتلوا وشرّدوا وزرعوا

---

(٤) راجع مقالة الأب لامنس اليسوعي في ديورة لبنان ، في المشرق عد ٤/ص ٢٦٥ .

الذعر والخوف في القلوب . فارتأى الموارنة الانتقال الى منطقة الجبة وبلاد جبيل والبترون وغيرها وارادوا ان يكونوا مع بعضهم تحت اكناف بطاركتهم القديسين الذين هم بدورهم انتقلوا من ميفوق الى وادي قنوبين في الشمال ١٤٤٠ في وادي القديسين والنساك ، قاديشا . لاسباب آمنية كما يقول بطريركنا العظيم اسطفانوس الدويهي الذي طبعنا له عدة كتب تاريخية هامة . وقال في سلسلة البطاركة ان الطائفة تكلفت من جراء ذلك اموالا كثيرة جداً وصعابا لا تحصى . ولهذا السبب اضطر البطرك الماروني الى ان ينتقل من دير سيدة ميفوق الى دير سيدة قنوبين تحت حماية اولاد المقدم يعقوب البشراني »(٥).

والطريق بين ميفوق ووادي قنوبين جرديـــة وتمر في تنورين والحدث وبريسات وحصرون ومنها الى وادي قنوبين التي هي واد عميق تحيط بها جبال شاهقة صعبة المنال .

ولنرجع الآن الى متابعة نشر مذكرات المطران عبدالله قراعلي(٦) ومقالة الأب توما اللبودي الاكثر تفصيلا(٧) عن سيرة المطران عبدالله قراعلي :

« فابتدأ غبطته يهزأ بهم بقوله لهم : « انكم انتم اناس ذوو تنعم وعيش مريح . وهنا معاش الجبال تقشف للغاية . والحروب في البلاد مشتعلة . وسفك الدماء متصل (متواصل) . فهل يمكنكم احتمال كل هذا واكمال مطلوبكم ؟ والحال انكم عاجزون عن شغل الفلاحة والزراعة وعمل اليد ، وانتم ناظرون معاش الرهبان ، وسيرتهم في هذه البلاد ؟ فأجابوه ببساطة ان مرادهم ان يجمعوا قانوناً من رسوم الآباء أنطونيوس كوكب البرية ، وباسيليوس

---

٥) راجع السلسلة المذكورة ص ٣٠ ، وانظر كتاب الشرح المختصر في اصل الموارنة وثباتهم في الامانة ... ص ٢١٠ .

٦) انظر المذكرات في المجلد الثالث من تاريخنا الرهباني ٢٢٥ .

٧) راجعها في المجلد السادس من تاريخنا المذكور .

الكبير . واخوميوس العظيم وغيرهم . وان ينشئوا لهم طريقة رهبانية ولغيرهم ايضاً .

« فصفق البطريرك بيديه ضاحكاً مستهزئاً بهم بقوله هكذا : « الآن تحققت جنونكم . أما هم فثبتوا على عزمهم ، وابتدأوا يترجون البطريرك بكل تواضع ، مع هذا كانوا يعطون اشارات رغبتهم . وجعلوا جبرايل حوا ابن توما الذي هو على القول انه نسيب البطريرك منذ القديم (جعلوه) يخاطب السيد البطريرك لوحده عسى ان يعطف خاطره الى الميل لمساعدتهم على اكمال مقصودهم . لانه بغير يد البطريرك لا يقدرون ان يمتدوا في الاعتناء بما هم راغبون فيه » .

« واخيراً استمدوا خاطر السيد البطريرك بواسطة البعض من مطارينه . فانعطف البطريرك الى مطلوبهم بشرط أن يبتدوا بعمل ما يرغبون حالاً ، بحيث أن سكنتهم تكون في دير مارت موره (باهدن) وهو مكان باسم دير خربان . ورغبة البطريرك انه اذا صار خير روحي واقل ما جسدي ، من مداخيل اهلهم من حلب يكون في قرية اهدن ، لكونها مولد البطريرك ، لان الآن غايتنا سيرة ابينا بوجه العموم... »(٨) .

٣ ــ أختبار الحياة الرهبانية في اديار لبنان :

كانت رغبة البطريرك الدويهي بعد سماعه اقوال هؤلاء الشبان الثلاثة عبدالله ورفقاؤه الحلبيون ان يختبروا بأنفسهم طريقة العيش الرهباني في اديار لبنان . وبالتالي ان يجمعوا ، كما قالوا ، قانوناً من رسوم الآباء القدامى القديسين : انطونيوس وباسيليوس وافرام وغيرهم وينشئوا طريقة جديدة لهم ولغيرهم يمارسونها وتلائمهم كما قال الأب اللبودي في سيرة الأب عبدالله .

---

٨) راجع المجلد السادس من تاريخنا الرهباني ، في الموضع المذكور ، ص ٣٠٣ .

« فامتثلوا أمر السيد البطريرك واخذوا يعملون في دير قنوبين ما يجب على المبتدئين أن يعملوه حال دخولهم للدير . وبعد مدة ، لبى عبدالله مع رفيقه يوسف البتن دعوة المطران جبرايل البلوزاوي اسقف حلب ومنشيء دير طاميش ورهبانه . بعد اخذ موافقة أخيهما الكبير جبرايل حوا الذي فضّل البقاء في دير قنوبين . وذهبا الى دير طاميش هذا ليختبرا فيه طريقة العيش العيش التي يعيشها فيه رهبانه وراهباته . ومكثا هناك ما يقارب الثلاثة اشهر . وكان في الدير تسعة رهبان والمطران البلوزاوي وكثرة من الراهبات يسكن في ناحية من الدير بعيدين عن الرهبان . فوجدا ترتيبهم كباقي رهبان البلاد . وحسب عادة وعيشة الرهبان العبّاد المعروفين في البلاد . وهم لا ينذرون النذر الرهباني . ولا توجد عندهم الطاعة المقدسة . انما يلبسون زي الرهبنة في أي يوم اتفق . كنحو رأي المتقدم في الدير . وغالباً كان المطارين يلبسون المبتدئين الاسكيم الرهباني لا رؤساء الاديار الا نادرا . وكان التزامهم بنذر الرهبنة شكل تسلّم ومفهوم العقل . من غير اقرار النية . والرئيس الذي كان برأسهم في غياب المطران لم يكن اسمه عندهم رئيسا بل يدعونه باسمه فقط .

« وهكذا رؤساء كل الاديار لم يكونوا يدعونهم الا باسمهم : قس فلان . وكلمة « أبونا الرئيس » ما كان لها وجود في بني مارون اصلا . ولم يكن عندهم ايضا حدود لتجربة المبتدئين . ولا حركات سجدات الرهبان للرؤساء . ولا قوانين لتاديب الرهبان في حين الزلات . بل كانوا سائرين بسذاجة وبساطة صالحة للصالحين وخطرة لغير الصالحين . حسب تعبير المطران عبدالله . وكان مطبخهم وكرارهم (أي بيت المؤونة) وغسل ثيابهم والخياطة بيد الراهبات الساكنات في مكان عزلة بحذائهم . كما هي عادة ديارة بلادهم . وكانت الكنيسة مشتركة بين الجميع[٩] .

« ان حياة الرهبان النسكية القشفة في دير سيدة طاميش . استهوت الأخوين عبدالله ويوسف البتن . فمال خاطر عبدالله كما

---

٩) راجع مذكرات المطران عبدالله في المجلد الثالث من تاريخنا الرهباني . ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

قال في مذكراته . وخاطر أخي يوسف للسكن عندهم ، بعد مشورة اخينا جبرايل حوا المقيم في دير قنوبين ، بشرط ان المطران البلوزاوي يخرج الراهبات من دير طاميش ، لاننا رضينا بالدير ومعاشرة الرهبان ، ولكن دون مساكنة النساء . ولذلك راسلنا المطران على رفعهن من الدير لنبقى عنده . فأبى ذلك . وقد اشتدَّ معنا الرهبان على هذا الراي والشماس موسى ومعه ثلاثة انفار من أجراء الدير عزموا على ان يترّهبوا معنا . وتشدّدوا على المطران المذكور كثيراً ليرفع الراهبات من الدير ونبقى نحن وحدنا . فما أمكن ذلك ، وكان يحتجّ امامنا بأن الدير يخرب اذا ما خرجت الراهبات منه » .

٤ ــ طريقة عيش الرهبان العبّاد :

لم يصلنا كتاب عن الرهبان العبّاد الذين كانوا يمارسون العيش الانفرادي القشف ، والصلاة والتأمل والصوم والعبادة والعمل اليدوي ، قبل أن انشأ المؤسسون الحلبيون رهبنتهم الجديدة المنتظمة كما سنرى . الا اننا نقرأ في رحلة القاصد الرسولي الأب أيرونيموس دنديني الذي جاء لبنان سنة ١٥٩٦ ، كقاصد رسولي روماني في عهد البطريرك الرزي . في الفصل الثالث عشر من رحلته بهذا الخصوص . قال :

« لا يوجد هنا في لبنان تمييز في القوانين الرهبانية كما في بلاد الغرب ، بل كلها على نوعٍ واحد ، وحسب رأيي ان هؤلاء الرهبان هم بقية باقية من النساك القدماء الذين كانوا يعيشون بعيدين عن العالم في صحارى سوريا ، وفلسطين ، كما في صحارى مصر على أيام انطونيوس الكبير . فكانوا يعيشون في أماكن منعزلة من هذه الوديان أو الجبال ، أو في كهوف أحرى بها بسكنى الحيوانات منها بالانسان . اما لبسهم ففي غاية الخشونة ، ويضعون على رؤوسهم قلنسوةً سوداء تنحدر على ظهورهم حتى أواسطهم ، دون ان تغطي أكتافهم . ويعيشون مما يقتاتون مما تنبته الارض عفواً ، ولا يأكلون لحماً أبداً ، ولا يشربون الخمر قطعاً . وليس عندهم نذور كايامنا الحاضرة . وكان يقرأ على رؤوسهم المتقدم في الدير

بعض صلوات قليلة ونصائح سديدة . ويفهمهم ان حفظ العفة واجب ضروري عليهم. واذا ضجر احدهم من دير يقيم فيه . انتقل الى غيره من دون استئذان . ويلقبون ذواتهم برهبان مار انطونيوس الكبير . ويشتغلون بالارض والزراعـــة والحقول والبناء وغـــير ذلك[١٠].

٥ ـ تأسيس رهبنة جديدة منتظمة :

ولما لم يقبل المطران جبرايل البلوزاوي بفصل الراهبات عن الرهبان . اتماماً للقوانين وحفظاً لراحة الضمير . يقول المطران عبدالله في مذكراته . عدلنا عن الترهب في دير طاميش . عنده ، ورجعت انا وحدي الى عند اخي جبرايل في قنوبين . وبقي أخي يوسف البتن في دير طاميش ينتظر هناك مراسلتي له .

وفي سنة ١٦٩٤ . « حدثت في بلاد الجبة احداث دامية . وخرج البطريرك من قنوبين . واخذ يجول في بلاد البترون وجبيل ، ويزور القرى ويجبي البطريركية (اي يجمع العشور السنوية) وأخذنا معه انا واخي جبرايل بمنزلة شمامسة لنخدمه . وكان لنا بذلك غرض مقدس ، وهو ان نزور ديورة بلاد جبيل والبترون ونميّزها بامعان لعلها توافقنا للسكن فيها » .

وفي سنة ١٦٩٥ . « رجعت انا وأخي جبرايل الى قنوبين ، ومكثنا فيه الى ابتداء الصيف من تلك السنة . وقدّم لنا غبطته دير مارت موره باهدن ، في أول آب من هذه السنة أيضاً ، فطلبنا منه الأذن شاكرين ، وصعدنا الى دير مار سركيس اهدن ، وارسلنا اتينا بأخينا يوسف البتن من طاميش ، ولم نكن نفتر نفتّش ونبحث عن مكان ملائم لنقيم فيه ونتدّبر امورنا ونؤسس رهبنة جديدة » .

---

١٠) طالع كتاب اللآلي للخوري بولس قراعلي ، ص ١٧ .

« وعندما تمّ الاجتماع بيننا مجدداً ، في دير مار سركيس باهدن ، قررنا نحن الثلاثة ان نقيم معاً في دير مارت موره ، نزولاً عند رغبة السيد البطريرك الدويهي ، وسيادة المطران جرجس بنيمين الاهدني الذي كان يساعدنا بنصائحه ومشوراته ، وان نجري الطريقة الرهبانية التي نصبو اليها ، ولم نكن نجدها في أديار لبنان القديمة . واستمررنا على العيش الرهباني هكذا طول ذلك الصيف » .

وتابع المطران عبدالله في مذكراته يقول : « وفي شهر ايلول من هذه السنة ، استقر الراي بيننا أن نسكن دير مارت موره باهدن . وفي هذا الوقت حضر عندنا والد اخي جبرايل ووالدته ، من حلب ، وكانوا راجعين وقتها من زيارة القدس الشريف ، وطلبنا من السيد البطريرك الدويهي ان يرسم ولدهما أخي جبرايل قسيساً ليفرحا به قبل افتراقهما منه راجعين الى حلب ، فقبل السيد البطريرك مسألتهما . ولما تحقق اخي جبرايل ذلك ، جاء اليّ وطلب رضائي بذلك ، فانعمت له واظهرت له اني أسرّ بذلك جداً لأجعله معلم اعترافي ، ولا اعترف عند كهنة القرى الخوارنة العلمانيين » .

« وحينئذ تمّت رسامته في اهدن ، من يد السيد البطريرك الدويهي . فاولاً رسمه ورسمني معه شمامسة انجيليين . وفي اليوم الثاني سامه وحــده قسيساً من غير أن يلبسه الاسكيم الرهباني . بل بقي مثل كهنة العوام وكان ذلك في العاشر من شهر تشرين الثاني من سنة ١٦٩٥ » .

« ولما عزمنا على السكن في دير مارت موره كما سبق القول ، ابتدينا في استعداد بنيانه لان الدير كان منهدماً كله الا القليل منه . وكان فيه راهب واحد وحده غير كاهن ، وهو كبير السن ويدعا انطونيوس ، ودخل معنا في شركتنا الرهبانية . واخذنا في البنيان وترميم الدير مدة شهرين . وكانت النفقة من مال القس جبرايل حوا والشماس يوسف البتن . وانا لم اكن املك شيئاً من المال البتة لاشاركهم في الدفع » .

٦ ــ دير مار سركيس اهدن :

هذا الدير قديم جدا ، كما اثبتنا في كتابنا الجديد « دليل اديار لبنان » (ص ١٠٩) وكان يسمى دير رأس النهر ، وهو يقع في سفح جبل عال شرقي شمالي اهدن ، بالقرب من نبع غزير بارد ، وقد بني سنة ١١٩٨ للمسيح كما يذكره في المكتبة الماديشية مؤلفها المطران اسطفان عواد الحصروني . ويقول عنه الخوري بطرس بركات ما نصه : « ونحن المسيحيين في لبنان الشمالي واذا كانت الآثار الخطية تقول بأن دير مار ماما باهدن ، ودير مار جرجس القديم ، هما اقدم منه عهداً ، فلا نظن انهما اقدم من دير مار سركيس بكثير البتة . وكل ما نعلمه بهذا الخصوص هو ان الدويهيين كانوا تارةً يرممون هذا الدير ، وطوراً يجدّدون بناءه . والثابت لدينا في التواريخ ان العائلةالدويهية كان لها وحدها دائما حق التولية عليه منذ القدم ، حتى تسلمته الرهبانية الانطونية في عام ١٧٣٩ . والادلة على ذلك كثيرة نحيل المطالع الى قراءة ذلك في كتابنا المذكور في الموضع نفسه .

« وذكر الأب بليبل مؤرخ الرهبنة اللبنانية في كتابه الأول ص ٢٢ تلك الحجة التي بموجبها سلم اهالي اهدن الدير المذكور الى الرهبان الحلبيين وهي مؤرخة في آب سنة ١٦٩٥ وممهورة بامضاء الراهب الشيخ الأب انطونيوس وبعض كهنة واهالي اهدن وثلاثة اساقفة هم المطران جرجس بنيمين مطران اهدن ، وجبرايل الدويهي مطران صيدا ، ويوحنا حبقوق مطران قزحيا ، وهذه الحجة مكتوبة في سجلات دير اللويزة ، وبلغت اكلاف الدير كما جاء في هذه السجلات نحو ٦٨٣٢ غرشاً ، وهي مصروف على عمار الكنيسة وقلالي الرهبان » .

جامعة الروح القدس - الكسليك
المكتبة العامة

٧ ــ اقامة الأب حوا رئيساً اولاً على الرهبنة :

تابع المطران عبدالله سرد مذكراته[١١] قائلاً : « ولما كان شهر تشرين الثاني من السنة نفسها (١٦٩٥) ، صار في البلاد خوف من قبل طائفة الحمادية الذين كانوا حكام المنطقة ، فتركنا دير مارت موره ونزلنا الى دير قنوبين لنشتّي فيه ، لان البرد في اهدن كان شديداً ، والثلج كثيفاً ، وفي قنوبين اخذ البطريرك يحثّنا على لبس الاسكيم من يده نحن الثلاثة ، اعني القس جبرايل حوا ، واخي يوسف البتن ، وانا الحقير ، ولم ننذر كما نحن اليوم ننذر ، بل وضع الاسكيم على رؤوسنا بعد صلاة قليلة ، كما هي عادة اديار البلاد ، وذلك في العاشر من تشرين الثاني من تلك السنة .

« وبعد لبسنا الاسكيم الرهباني ، اجتمعنا وحدنا وتكلمنا في اقامة رئيس علينا . واقمنا الأب جبرايل حوا رئيساً علينا . ولم نمكث الا زماناً قليلاً ، وسافر البطريرك الدويهي نحو بلاد كسروان خوفاً من باشة طرابلس . ونزلنا نحن أيضاً الى طرابلس في ابتداء سنة ١٦٩٦ ، واستأجرنا بيتاً في دير الآباء اليسوعيين ، وشتّينا فيه نظراً لشدة الثلج والبرد في اهدن » .

٨ ــ تمليك مار ايشع بشري :

ويتابع المطران كلامه في مذكراته في الموضع نفسه قائلاً : « وفي أول الربيع من سنة ١٦٩٦ ، صعدنا الى دير مارت موره ، واكملنا باقي البنيان اللازم في الصيف ، ثم كتبنا نحن الثلاثة صكاً على حالنا ان أي مَن افترق عن أخوته الآخرين ، لا يأخذ معه شيئاً من المال البتة .وختم المطران جرجس بنيمين التمسك المذكور . ثم تذاكرنا في حال الدير والشتاء والثلج الكثير الذي يصير فيه ، ورأينا ان من الاوفق ان نمتلك موضعاً دائماً في الشتاء القادم غير ديرنا مارت موره .

---

(١١) راجع المجلد الثالث من تاريخنا الرهباني ، ص ٢٣٠ .

« وكان اهالي قرية بشري يدعوننا الى اخذ ديرهم مار اليشع الكائن في الوادي المقدس (في بطن الصخر الكبير القائمة عليه مدينة المقدمين بشري) . فسافر الأب الرئيس حوا اليه وانا معه . وتملكنا الدير المذكور برضا اهالي القرية باجمعهم . ونقل الأب الرئيس الى الدير المذكور بعض الرهبان الذين قدموا ليترّهبوا معنا ، واخذ معهم اخانا الشماس يوسف البتن بمنزلة رئيس في مدة غياب الأب الرئيس حوا . لان الرئيس هو الذي كان يسوس دير مارليشع . وكلفني انا في سياسة دير مارت مورة » .

وهنا نقول **كلمة عن دير مارليشع** :

هذا الدير قديم جدا كما أثبت العلامة اسطفان الدويهي . قائلاً : « ان بطرس اسقف بشراي كان في سنة ١٣١٥ مترسا على دير القديس ليشع في وادي نبر قاديشا . وجاء في حجة قديمة محفوظة في الدير تقول : ان القس جرجس بن حرواص من قرية عرجس بنى الدير سنة ١٥٤٧ في عهد المقدم يوحنا . وقد وقفت عليه مزرعة مارنوهرا على جناح وادي قاديشا الايسر تحت قرية بقرقاشا المشيد عليها الدير الحالي العامر .

وقال العلامة يوسف الدبس في تاريخه الماروني ص ٣٩٢ ان الناسك الفرنسي الشريف فرانسوا دي شاستويل سكن في هذا الدير القديم في الوادي وتوفي فيه سنة ١٦٤٤ ودفن فيه ايضا . ولما توفي هذا الناسك جاء أحد اقاربه من الرهبان الكرملتان واحتل غرفته واستولى على كتبه ، ثم جاء بآخرين من رهبانه وظلوا مقيمين في الدير الى ان قدّم لهم البشراويون دير مارسركيس اهدن المنقور في الصخر شرقي بلدتهم . ليكفوهم عناء الصعود اليهم ويستفيدوا من خدماتهم الروحية والعلمية (راجع كتابنا « الموجز التاريخي » ، ص ١٨) . وقد كتب سيرته السائح دي لا روك الفرنسي واسم الرحلة باسمه وطبعت في باريس سنة ١٧٢٢ . وذكره في صفحة ١٧٣ من المجلد الثاني .

وفي سنة ١٦٩٦ تسلّم الرهبان الحلبيون هذا الدير مع كل اوقافه واثاثه من اهالي بشراي وكتبوا بذلك حجةً محفوظة في هذا

الدير وفي سجلات دير سيدة اللويزة . وهذا نصها :

« وجه تحريره هو اننا اتفقنا مع ريس رهبان الحلبيين ان يرسل الى دير مار ليشع في قريتنا بشري رهبان من رهبانهم ليسكنوا في الدير المذكور . حتى لا يخلو الدير من رهبان ، ولا يكون عليهم مال ميري . ولا نطلب منهم درهم الفرد ، من نوع التكاليف العايدة الى الميري ولا من غيرهم . فأن ارادوا يشدوا بقر في العرية من غير التزام نأخذ منهم على تبدير الشنبل نصف قرش لاغير ، واذا جددوا كرم فما نأخذ منهم خراج ولا نكلفهم عليه شيء . وعلى هذا قول الله . ورأي الله لا نغير ولا نبدل ، وصار هذا الشيء برضانا وطيب خاطرنا نحن اولاد القرية عموم . تحريراً في يومين خلت من شهر شوال سنة ١١٧٠ الموافقة لسنة ١٦٩٦ مسيحية » .

مقر بذلك : كيروز وقرايبه .
بطرس رميا وقرايبه .
باقي اهالي القرية عموم .

وقرأنا في سجل الرهبانية المحفوظ في اللويزة (ص ٨) ان « هذا الدير كان بالاسم ديراً لان ما كان فيه من العمار كان حقيراً ، وكانت كنيسته مغارة تحت الصخر ، فبنته الرهبنة وفتحت فيه مدرسةً لتعليم الاولاد اللغتين العربية والسريانية ، وما يجب معرفته من الديانة الكاثوليكية وذلك مجاناً . وتكلفت عليه نحو ٥٣٦٠ قرشاً على ترميم الكنيسة ، وعمار الدير لكي يصلح لسكنى خمسة وعشرين راهباً » .

ويروى ان هذا الدير كان يقيم فيه رهبان الكرمل قبل ان سكنه الرهبان الحلبيون ، فقد جاء في التاريخ ان المثلث الرحمات البطرك جرجس عميره الماروني الاهدني (١٦٣٣ــ١٦٤٤) وهب هذا الدير الى الرهبان الكرمليين ليقيموا فيه ويؤدوا الخدمات الروحية للسكان المقيمين بجوارهم ، فسكنوه واكانوا يصعدون كل يوم احد الى مدينة بشري لاقامة القداس والقاء المواعظ ، وتعليم الاحداث التعليم المسيحي . وظلوا فيه الى ان وهبهم البشراويون دير مار سركيس المنثور في صخر شرقي بلدتهم كما قلنا .

الفصل الثاني

١ ــ سيامة عبدالله كاهناً وجمعه القانون الرهباني :

ارتسم الشماس عبدالله كاهنا في يوم عيد الصليب المكرّم ١٤ أيلول من سنة ١٦٩٦ في دير مارت مورة بوضع يد المطران جرجس بنيمين الاهدني عليه . وهذا ما قاله هو نفسه في مذكراته المنشورة كما يلي[١] : « ولأجل اصطلاح دير مارت موره باهدن ، رتبّني الأب الرئيس حتى ان اعلم الاولاد ناحية عن الدير ، ولما حضر عيد الصليب سنة ١٦٩٦ ، انتدبني الرئيس لسيامة الكهنوت ، واقتبلت وضع اليد من السيد المطران جرجس ، ولما صار الشتاء نزلت اهالي اهدن الى زغرتا لتشتي في القرية كالعادة ، وامرني الرئيس أن انزل معهم لاعلّم الاولاد في مدرسة ماريوسف الكائنة في زغرتا ، وكان يومئذ ابتداء بنيانها ، ونزل الرهبان يشتّون في دير مارليشع بالوادي ، وسلّم الرئيس دير مارت موره الى راهب انطونيوس الشيخ ليحرسه الى ان جاء الربيع ودخلت سنة ١٦٩٧ . ثم صعد الرهبان الى دير مارت موره في بدء الربيع ، وصعدت انا معهم اليه أيضاً ، وبقيت كل الصيف اعلّم الاولاد في الدير » .

وقال عنه تلميذه الأب اللبودي لهذه المناسبة[٢] : « من يتكرّس لله يعرف انه بهذه الطريقة يرضى باريه ، ويضمن ابديته ، وينفع قريبه بمثله وارشاده وعلمه واحسانه ومؤاساته ، فكأنه ارضى الله والناس ، وتولاه الفرح الذي لا يوازيه على الارض فرح آخر .

---

١) انظر المجلد الثالث من تواريخنا الرهبانية حيث نشرنا هذه المذكرات النفيسة ، ص ٢٣١ .

٢) راجع المجلد السادس من تاريخنا الرهباني في الموضع المذكور .

واصبح امامه مجال واسع تسبح فيه أفكاره حرة من كل قيد ، بعيدة عن كل ما يشوشها » .

٢ ــ جمع القانون[٣] :

« وفي هذه المدة (١٦٩٧) كان اهتمام الأب الرئيس حوا والرهبان في جمع القوانين الرهبانية ، وانتخاب ما يحسن من كتب الآباء الشرقيين والغربيين (للاستئناس بهم والاستناد اليهم) . وصار عندنا عدة رهبان ، وبعضهم لبسوا الاسكيم من يد الأب الرئيس حوا ، من غير ابراز النذر ، كعادة الموارنة ، وبعضهم مبتدئين . واحب الرئيس حوا ان يجعل تجربة المبتدي بالقلنسوة (أو الاسكيم) كرهبان الافرنج (كالكرمل والكبوشيين) واذا كان لا يصلح للرهبنة ينزع عنه الاسكيم ، ويرده الى العالم .

« ولكن منعه السيد البطريرك عن هذا الاجراء . وحتم ان من لبس الاسكيم فلا يبقى له سلطان بأن ينزعه عنه أبداً . وقد اغتاظ الرئيس من هذا البعض من الأخوة الذين كانوا قد لبسوا الاسكيم على نية التجربة ، بزعمهم لعلّنا لا نقوى على الرهبنة . لكن فيما بعد جميعهم ثبتوا وترهّبوا . وفي هذه السنة (١٦٩٧) تمّ جمع القانون من اثنين وعشرين باباً » . (وقد حدّدوا فيه شكل الادارة الرهبانية ، ومفهوم النذور ، وكيفية سلوك الرهبان ، اقرّوا اقامة اربعة مدبرين عامين تختارهم الرهبانية ، وذلك ليشتركوا مع الرئيس العام في تدبير الامور ، واختيار رؤساء الاديار والمراكز ، وحدّدت مدة الرئاسات بثلاث سنوات ، ينعقد في نهايتها المجمع الرهباني العام ، في العاشر من تشرين الثاني ، تذكرةً لاول يوم الرهبنة) .

« ثم اكملنا الصيف والشتاء في مثل هذه التدابير والترتيبات ،

---

٣) راجع المجلد الثالث من تاريخنا الرهباني المذكور ، ص ٢٣١ .

وفي الشتاء ارسل الأب الرئيس حوا كاهناً آخر غيري الى زغرتا ليعلّم الاولاد ، ونزلت انا مع الأخوة الى دير مار اليشع . ودخلت سنة ١٦٩٨ . وعند ابتداء الربيع رجعت انا مع البعض من أخوتي الى دير مارت موره الى تمام الصيف » .

٣ ــ المجمع العام الأول[٤] :

« وفي العاشر من تشرين الثاني من سنة ١٦٩٨ ، انعقد المجمع العام الرهباني . فاثبت القس جبرايل حوا في الرئاسة العامة ، واقام معه اربعة مدبرين عامين : كان عبدالله قراعلي ، وجبرايل فرحات (الذي لحق برفاقه من حلب الى قنوبين سنة ١٦٩٦) ، ويوسف البتن من جملتهم . ومجمع المدبرين هذا عيَّن عبدالله قراعلي رئيساً على دير مار اليشع . فظهر حسب قول فرحات وتوما اللبودي) « رجلاً مفعماً من الله حكمة واغرازاً ونسكا وصلاة ، ذا عقل ثاقب ، وعلم راسخ ، فصيح اللسان ، بليغ المعاني ، محبوباً من كل من يراه . وكان متوقد الذهن ، راسخاً في التقوى ، بعيد النظر ، وحسن التدبير » .

« وعيّن الأب الرئيس على دير مارت موره رئيسا الأب جبرايل فرحات . وكان جبرايل جامعاً الى النجابة والفضيلة قوة المخيلة ، ورقة الشعور ، وسمو الاخلاق والمدارك . لكنه كان عصبي المزاج ، مشغوفاً بالعزلة والهدؤ ليتفرغ للمطالعة والتأمل ومناجاة الخالق . فكان يفضّل امساك القلم على امساك دفة الادارة ، ونظم الاشعار على تنظيم الصفوف . . .[٥] .

٤ ــ الاختلاف في الرهبنة على الهدف ، واثبات القوانين :

فهذه الصفات الحميدة التي ظهرت في سيرة الأب عبدالله

---

٤) راجع المجلد الثالث من التاريخ المذكور ، ص ٢٣٢ .
٥) المصدر نفسه .

فراعلي ، كما قال المطران فرحات في تاريخه الذي نشرناه له في المجلد الأول من تاريخنا الرهباني ، إهمّلته لأن يتدارك الخلاف الشديد الذي نشب ، تلك السنة ، بينه ومعه أكثر الرهبان ، وبين الأب الرئيس حوا على معنى سيرة الرهبنة ومفهوم وظيفة المدبرين العامين ، حسب تعبير المطران عبدالله في مذكراته[٦] . فالرئيس حوا كان يريد الرهبنة للوعظ والتبشير والتعليم والرياضات ، وان تكون رئاستها مطلقةً مؤبدة على مثال الآباء اليسوعيين ، لأن حوا كان يعاشرهم ويطلع على كل أعمالهم ، ولذلك اراد ان تكون الرهبنة مثلهم . واما عبدالله واغلبية الرهبان فقد استمروا يريدونها رهبنةً نسكيةً تأملية خورسية ، لا تتعاطى بالرسالة والتعليم الا عند الحاجة ، وقدر الامكان ، بل تكون ذات رئاسة مؤقتة ، وتبقى متمسكةً بوظيفة المدبرين . ولهذا الخلاف الجوهري بين حوا وعبدالله ، كثر السجس في الرهبنة ، وكادت تتفكك اوصـــال الرهبانية ، وهي لا تزال في مهدها » .

وهنا يواصل المطران عبدالله كلامه قائلاً[٧] : « ودخلت سنة ١٦٩٩ ، ونحن بمثل هذه الحال ، ولكن لم نترك أحد العالميين يعرف سرنا هذا ، ما عدا بعض الرهبان المرسلين ، وبعضهم صار لنا سبباً لضرر اكثر . وذلك لأن الأب الرئيس حوا كان يتردّد على رهبان اليسوعيه ، ويفشي لهم افكاره واسراره الرهبانية . وكان المذكورون يخبرونه عن رهبنتهم قائلين ان رئيسهم العام لا ينعزل ابداً ، وليس له مدبرون ، وسلطانه مطلق ، ويزعمون ان هذا هو الراي الصائب ، ومن كلامهم هذا كان الأب الرئيس حوا يزداد بغضاً للمدبرين . ويجتهد ان يكون سلطانه مطلقاً في تدبير الرهبانية . وكنت انا من اكبر المعاندين لرايه هذا . ولما رأى حضرته ان مقصده لا يتمّ ، قال انا راحتي بهذا القانون ، وهذا السير مثلكم » .

« ثم أشار علينا أن نسعى عند السيد البطريرك ان يثبّت لنا القانون الجديد وننذر عليه ، ويبطل كل قيل وقال . فرضخنا لقوله

---

٦) راجعها في المجلد الثالث من تاريخنا الرهباني ، ص ٢٣٣ .

٧) راجع المصدر والموضوع نفسيهما .

هذا ، وسرنا الى قنوبين عند البطريرك ، وطلبنا منه ان ينعم علينا باثبات القانون الجديد . فانعم غبطته علينا بذلك واثبته لنا بحضور البعض من السادة المطارين[8] . وكتب في صورة التثبيت هذه الجملة :

وهي : « اننا لا نبّريء اولادنا الرهبان من قوانين ماري انطونيوس الكبير » .

« ولاجل هذه الجملة ، لم نقبل نحن هذا التثبيت ، واعتذرنا لدى السيد البطريرك ان قوانين القديس انطونيوس كثيرة ومختلفة . واكثرها تختّص بالرهبان المتوحدين ، لا اصحاب الديورة الجامعة . وان نحن قبلنا هذه الجملة يتولّد لنا منها اتعاب كثيرة ممكن حدوثها من الرؤساء الذين . يجيئون بعدنا ، ومخاطرات غير هذه ايضاً ، وصرنا نتوسّل الى السيد البطريرك ان يعفينا من هذه الجملة . ولكن ما امكن ابداً . ولما لجيّنا عليه ، اغتاظ وابطل التثبيت ، وامر بخزقه (تمزيقه) ، ورجعنا الى ديرنا حزينين » .

٥ ــ انتهاء الخلاف بتنحية الأب حوا وانتخاب عبدالله :

ولم ينته ذلك الخلاف الحاد في الرهبانية الا بتنحية الأب جبرايل حوا عن الرئاسة العامة ، واسنادها الى الأب عبدالله قراعلي في مجمع عام في الرهبنة انعقد قبل الاوان ، سنة ١٧٠٠ ، بدون معرفة الرئيسين المذكورين . وتمّ انتخاب الرئيس الجديد عبدالله عندما قبل امر السيد البطريرك بقسمة الرهبانية قسمتين بينه وبين سالفه الأب حوا الذي أعطي دير مارت موره قسمةً له ، ودير مارليشع قسمةً للأب عبدالله ، وتخيير الرهبان بين الرئيسين . وهكذا لم يلحق القس حوا الا اسكيمي واحد وبعض المبتدئين . وهذا القليل لم يبلغ نهاية السنة حتى تبدّد . اما عبدالله فبقي وحده في دير مارليشع بالوادي يرعى رهبانيته بعناية أبوية حقة ، ساهراً على حفظ الانسجام بينه وبين المدبرين العامين ، احتراماً للقانون الذي

---

٨) المطران جرجس يمين الاهدني والمطران شرابيه .

كان له اليد الطولى في جمعه وترتيبه والحصول عليه ، بعد محاولات عديدة فاشلة ، وعلى تثبيته من قبل السيد البطريرك في اليوم الثامن عشر من حزيران سنة ١٧٠٠ ، بعد ان حوّره واختصره في خمسة عشر بابا فقط ، وهذه النسخة المختومة من البطريرك ما تزال محفوظة في دير سيدة اللويزة . ففرح الرهبان لهذه النتيجة فرحاً كبيراً ، وقبلوا ان ينذروا بموجبه امتثالا لرغبة ابيهم عبدالله ، وكانوا اثني عشر راهباً ما عداه هو[٩] .

وهنا يشرح الأب عبدالله هذه المسألة في مذكراته بكل بساطة قائلاً[١٠] : « وتسلمت انا بعد الأب جوا الرئاسة العامة في اليوم الرابع عشر من شهر آذار سنة ١٧٠٠ ، وفي اليوم التالي سرت انا والقس جبرايل حوا المتنزل عن الرئاسة الى عند السيد البطريرك الدويهي لنعلمه بما كان . فلما سمع غبطته الخبر ، قال للقس جبرايل حوا متسائلاً : « هل تنزلت بخاطرك من رئاستك ؟ فأجابه قائلاً : « نعم يا سيدي وهذا كان برضاي ورضا أخوتي جميعاً » . فسأله ثانية وثالثة ، وقال ما هو السبب وما هي العلة ؟ اجابه : هذا هو الأوفق والأحسن لبنيان الأخوة ولراحتي . وتكلّم السيد البطريرك معنا كثيراً بمثل هذا الكلام . وانا كنتُ ساكناً ، والقس جبرايل حوا كان يردّ الجواب وحده . وكان يقنع البطريرك بأن يرضى برئاستي الجديدة . فرضي السيد البطريرك بذلك ، وبارك لي ، وكتب للرهبان منشور بركة يوصيهم بطاعتي . ثم ودعناه ورجعنا الى دير مارليشع حيث كان المجمع العام » .

وتابع الأب قراعلي يقول في مذكراته (ص ٢٣٩) : « ولما كان الشهر التالي ، صار القس جبرايل حوا يُرى كالسكران من قبل الاخطار والطياشة التي لحقت عقله . فخفتُ أنا منه لئلا يشتد ضجره ، ويفترق عني ، وينقلب عليّ ويطالبني بماله الذي انفقه على الرهبنة ، ويعتذر عن نذره الفقر سابقاً أنه بطال من قبل اختلافنا في مذهب الرهبنة ، ولذلك طلبتُ منه ان يطابقنا على نذر

---

٩) راجع المصباح الرهباني المنشور بيد الأب جورج موراني ، ص ١٤ .
١٠) راجع المجلد الثالث المذكور ، ص ٢٣٩ .

الفقر بتمسك (أي عمل صك بذلك) . فرضى حوا بذلك . وكتب على نفسه بخط يدم تمسكاً (صكاً) هذه صورته ، كلمة كلمة بالتمام قائلاً :

« انا الحقير القس جبرايل حوا ابن توما الحلبي اقرّ معترفا قدام الله والرهبان الحلبية بأنني ان انفصلت عن الحلبية المذكورين وخرجت من أخويتهم اختياراً أو قسراً أو ثبّت معهم . فما عاد لي عندهم دعوى ولا طلبة من ميل الدراهم النقدية . وجميع ما اعطيتهم اياه من الدراهم النقدية ، صارت لله ولهم نذرا مؤبدا ووقفا مخلداً . واما الكتب والاثاث الذي ادخلته بينهم فهو في تصرفي . وهو باقي عندهم كالوداعة والامانة . أن شئت اخذته وان شئت ابقيته عندهم . وعلى هذا وقع الرضى سنة ١٧٠٠ مسيحية في السابع والعشرين من نيسان لهذه السنة » . ولما رايته كتب هذا التمسك (الصك على نفسه) ولم يكتب وقفية الكتب والاثاث . تحققت (يقول قراعلي) بزيادة انه حاصل في الضجر الكثير » .

٦ ـــ تثبيت القانون مجدداً :

وتابع الأب عبدالله يقول في مذكراته (ص ٢٣٩) :

« وبعد ايام جاء الى عندي القس جبرايل حوا من ذات نفسه وقال لي : قم يا آبانا نسعى باثبات القانون عند السيد البطريرك ما دامت النعمة معي . لاني اخاف لئلا أفقدها لا قدر الله ، ويصعب اثبات القانون . ونضرّ بالرهبنة كثيراً . ومعنى كلامه انه ينقلب ضدي ، فلا يعود السيد البطريرك يثبّت القانون . لأن غبطته كان يحب القس حوا كثيراً ، وكان نسيبه . فاستصوبت كلام القس حوا ، ونهضت لوقتي وسرت معه الى قنوبين ، وطلبنا من السيد البطريرك تثبيت القانون . وكان عنده اربعة مطارين . فانقسموا اثنان معنا ، واثنان ضدنا . والذين كانوا معنا هم المطران جرجس يمين مطران اهدن ، والمطران يعقوب عواد الحصروني . لكن المطران جرجس الاهدني كان شديد الغيرة لمساعدتنا . اما المطرانان الآخران اللذان كانا ضدنا فكانا يتعللان على القانون بانه يحوي

فرائض واهية لا تفيد ، وليست عادة البلاد وامثال ذلك . وكانا يمانعان البطريرك عن تثبيته . وكان البطرك يرى قريباً وبعيداً ، لكنه لم يثبّته . ورجعنا الى الدير خائبين حزينين » .

« ثم بعد ايام رجعنا اليهم ومثل ذلك مرات عديدة . وكان المطرانان يمانعان ويزهدان البطريرك بذلك ويزعمان ان هذا القانون هو حقارة لقانون القديس انطونيوس الكبير . ولكثرة المضي والرجوع من قنوبين لديرنا مارليشع ، صغرت أنفسنا واستولى عليّ الحزن كثيراً ، ولم اكن اعرف ان أسلم لمشيئة الله تعالى بالتمام » .

« ويوماً ما اخذتُ القانون بيدي وميزّته واختصرته وجعلته خمسة عشر باباً ، وطرحت من الخمسة عشر باباً فرائض ، وجعلته بالنسبة الى ما كان صغيراً جداً ، وكان قصدي بذلك قطع علل المطرانين اللذين كانا يضادانا . ثم أخذتُ معي اثنين من الأخوة وسرتُ الى قنوبين ، عند السيد البطريرك ، وتوسّلت الى المطرانين اللذين كانا معنا ان يجتهدا معنا في تثبيت القانون ، وبكيتُ قدام الحاضرين . فحينئذ أخذتهم الغيرة بزيادة ، ودخل المطرانان اللذان معنا عند السيد البطريرك وتوسّلا اليه بتثبيت القانون . فثبَّته غبطته وختمه بختم الكرسي البطريركي . وكان ذلك في التاسع عشر من شهر حزيران من هذه السنة (١٧٠٠)(١١) . وحينئذٍ رجعنا الى الدير فرحين ومسرورين . وأخذنا نسعى في ان ننذر على موجب هذا القانون كما هي عادة الرهبانيات كلها » .

والقانون الجديد الذي أختصره الأب عبدالله الى خمسة عشر باباً مرتب كما جاء في مذكراته هكذا : الطاعة ، العفة ، الفقر ، كسوة الرهبان ، سكنى القلالي ، السفر ، المائدة ، عمل اليد ، الصمت ، الصلاة العقلية ، واللفظية ، ثم الاعتراف وتناول الاسرار ، والادب ، والمرضى .

---

١١) راجع المجلد الثالث المذكور ، ص ٢٤٠ .

واليك ايها القاريء نص التثبيت :

« وجه تحريره هو اننا قد وقفنا على الخمسة عشر بابا ومقدمتها التي انما ترتبت ليكون اولادنا الرهبان الاعزاء سالكين بها على طريقة واحدة ، بحفظها ، ليتيسَّر لهم الاقتداء بالنذور المفروضة عليهم . فمن تعدّى امراً من هذه الابواب لا يخطيء الا اذا كان الامر ثقيلاً ، وخاصة اذا صدر منه معثرة للأخوة وغيرهم . فنحن بالسلطان الرسولي وبمشورة أخوتنا المطارين المكرمين نثبّتها لهم ، ونحرّضهم على السلوك بحسبها ليحظوا بالآخرة الصالحة ، تحريرا في ١٨ حزيران سنة ١٧٠٠ » .

+ بطريرك انطاكية وسائر المشرق

الحقير اسطفانوس

هذا هو الاساس المتين (القانون) الذي وضعه بيده الأب عبدالله قراعلي ، المؤسس الاصيل ، في فجر توليه لامر الرهبانية الحلبية اللبنانية ، وقد شيّد عليه البناء الفخم العظيم الذي ثبت امام عواصف الزمان ، وزوابع الحدثان ، التي اجتاحت لبنان منذ سنة ١٧٠٠ لغاية الآن . وكل منا يشعر بعد مرور ثلاثة أجيال على هذا العمل الخطير بما خالج قلب هذا الراهب التقي الغيور ، وقلوب اخوته الرهبان من الفرح والحبور لفوزهم بهذا التثبيت الرسمي الجليل لرهبانيته العزيزة بعد ما قاست من المحن والاضطهادات ما لا يمكن احصاؤها عبر السنين . ولما بلغ الأب عبدالله ديره وبشرَّ أخوته بهذا الفوز الباهر ، انتهز فرصة تحمسَهم ، ودعاهم الى ابراز النذر بموجب القانون الرسمي فاطاعوه برضاهم ، وكان عددهم ثلاثة عشر راهباً مع عبدالله رئيسهم العام ، وهم :

— الأب عبدالله قراعلي الرئيس العام .

— الشماس يوسف البتن .

— الياس الحلبي .

— يعقوب الغزيري .

ـ يوحنا الباني الشمالي .

ـ يعقوب اروتين الحلبي .

ـ عبدالله البشراني .

ـ موسى البلوزاوي .

ـ ميخايل الحلبي وهو سرياني الاصل .

ـ يوحنا الهدناني أو الاهدني .

ـ جبرايل الشننعيري .

ـ منصور الشبابي .

ـ ويوحنا الغزيري[١٢] .

٧ ـ تقسيم الرهبنة الى قسمتين بناءً على أمر البطريرك :

يتابع الأب الرئيس عبدالله قصته مع الأب جبرايل حوا في مذكراته (ص ٢٤٢) قائلاً : « وبعد هذا التمسك كان القس جبرايل يسكن قليلاً في الدير ثم يضطرب ، ولم يقدر ان يستقر في الدير طويلا ، بل كان يتوجه الى بض اماكن ، ويغيب طويلاً من غير مشورتي . . . فيوماً تحرّكتُ بالغيظ عليه وشتمته وكان ذلك مني انغلاب للغضب ، لأنه اجابني جواب خبيث جداً ، فصار انه منذ ذلك الحين عزم على الخروج عنا بكلية نفسه ، وكان يتهامل بالطاعة والقانون كثيراً جداً . وكان البعض من الأخوة الكبار يلذعونه بالكلام . فيغتاظ منهم جداً . وكنت انا اتراضى في ذلك . ولم ازجر الأخوة عن ذلك جبانةً منى ورأي بشري . لاني كنتُ اخاف لئلا اغيظ احدهم ويصير الطريق للقس جبرايل ويفتن بيني وبينهم ، ونرجع للتحزب والتعصب ، وينقلب هو ويضطهدني ويخرّب القانون » .

---

١٢) راجع تاريخ الرهبنة البلدية اللبنانية المجلد الأول للأب لويس بليبل ص ٣٦ ، وانظر كتاب الآلي للخوري بولس قراعلي ص ٥٤ .

« ولشدة الحزن والضجر الذي استولي على القس جبرايل حوا من قبل هذه الاحوال ، ولم يشأ ان يزهد برايه ، ترك رهبنتنا وراح لعند السيد البطريرك يشتكي علينا . ومن جملة الشكوى زعم ان القس عبدالله الرئيس يريد أن يهجر دير مارت موره ويتركه بالكلية ، وانا خسرتُ عليه حالي وما لي وامثال ذلك » .

« ولما سمع السيد البطريرك بتركنا دير مارت موره . اغتاظ لذلك كثيراً جداً ا لأنه كان من قرية اهدن ولم يشأ بخراب دير قريته . ولما كان البطريرك كما قلنا يحب القس جبرايل حوا كثيراً ، ارسل غبطته طلبني للحضور عنده . ولما حضرتُ امامه تكلمنا كثيراً ، وكان البطريرك يريد ان يخاصمني . لكن على ما ظهر منه لي . لم يجد عليَّ مدخلاً له بل كان يزدري باعمالي واقوالي بحشمة . وفي الاخير وعظنا على المحبة ، ورجعنا الى الدير . وكان السجس يزداد يوماً فيوماً . وأرسل البطريرك المطران جرجس يمين والمطران يعقوب لعندنا الى دير مارليشع ، واخذا الاخوة على انفراد بهم ، ولم يعلماني بما يريدان منهم . وكانا يسألان كل واحد منهم بمفرده ، ويزجران اياهم بالجزم والحرم في ان يقروا ويعترفوا بالحق ان كان القس عبدالله تحايل وخدعهم حتى اقاموه رئيساً عليهم ، او ان ذلك صار بكلية خاطرهم ورضاهم وامثال ذلك » .

« فلما سمعوا (المطرانان) شهادة الرهبان اني بريء من مثل هذه الظنون تماما . ودّعونا وسافروا من غير ان يعلموني شيئاً مما تكلموا به مع الرهبان . ولكثرة القلق صغرت نفسي وكتبتُ الى السيد البطريرك رسالةً مضمونها : اني أخطيت بحق القس جبرايل حوا ، وانا اريد ان اتوب عن خطيتي واريد ايضاً ان يرجع الى ديره والى رئاسته كما كان ، والله يقدّرني على ان اطيعه بموجب القانون . فلما قرأ السيد البطريرك هذه الرسالة فرح بها كثيراً ، وقال للقس جبرايل حوا الذي كان عنده ، لأنه كان اكثر ايامه عنده : قم وارجع الى ديرك ، والى رئاستك على الدير . فهوذا القس عبدالله قد تنزّل عن الرئاسة لك . فأجابه حوا : هذا لا يمكن ، لان القس عبدالله ولو تنزّل ورضي فالأخوة لا يرضون ، ولا يطيب لي معهم عيش » .

« فلما نظر البطريرك ان الكلام لا يفيد ، حكم بالفسخ بيننا وبالقسمة الى قسمين : وارسل طلبني لعنده . فلما حضرت قدامه ، قال لي : انا حكمت بينكم بالقسمة . وهذه صورتها :

« القس جبرايل حوا يتولى على دير مارت موره ، وانت تتولى على دير مارليشع . واما رزق الرهبنة فيقسم بينكم بالسواء . والرهبان يتخير كل واحد منهم أي رئيس يريد ويتبعه . وكذلك مونة الرهبان تنقسم على عدد الرهبان . وكتب بيننا وعلينا حجة الانفصال ، وختمها بختمه. وهذه صورتها :

« وجه تحريره هو اننا وقفنا على الخلاف الواقع بين أولادنا الرهبان الحلبيه ، وهو أن ولدنا القس جبرايل حوا قاصد التبشير وخلاص الأنفس ، وولدنا القس عبدالله قراعلي قاصد عيشة النسك والصلاة والرياضة . فتنازلنا نحن الى سؤلهم ، وأمرنا القس جبرايل أن يكون مقيداً بدير مارت موره باهدن وبنيانه ، والقس عبدالله بدير مارليشع الوادي في بشري وعماره. واما رزق الأخوة الذين كانوا بينهم بعقد الشركة فينقسم بينهم مناصفة ، بعد وفاء الدين إن كان هناك دين ، وإن كل واحد من الأخوة يأخذ ما يحتاج اليه من المؤنة والكسوة . ويسكن تحت طاعة الرئيس الذي يرتضيه من الاثنين. وكان ذلك برضى وقبول من الجانبين. نسأل الحق سبحانه وتعالى أن يكون ناظراً اليهم ومساعداً لهم ليحظوا بالخلاص هم وغيرهم. تحريراً في دير قنوبين في الخامس من تشرين الثاني سنة ١٧٠٠ للتجسد الالهي صح صح » .

الحقير

اسطفانوس البطريرك

\+ الانطاكي

— وتابع الأب عبدالله كلامه في مذكراته (ص ٢٤٤) قائلا: « وبعد هذا مضى كل واحد منا الى حال سبيله . وانا تسلمت دير مارليشع من غير ان تصرف الرهبنة عليه شيئاً من المال الى ذلك الحين . لان الدير المذكور لما تسلمناه من اصحابه ، تسلمنا معه جملة

دراهم كانت ملك الدير . ومنها صرفنا عليه كل شيء اصرفناه بخلاف دير مارت موره . فأننا اصرفنا عليه المصروف كله من مال الرهبنة ، لأنه لم يكن يملك شيئاً من المال البتة » .

« ثم ابتدينا في القسمة كما حكم السيد البطريرك . ولم يكن للرهبنة حينئذ شيء من الدراهم البتة . فقسمنا الامتعة كلها . واطلقنا للرهبان الاختيار لمن يشاء كل واحد منهم من الرؤساء . فتبع القس جبرايل حوا واحد من الاسكيميين (أي لابس الاسكيم الرهباني) وبعض المبتدئين . وتبعني انا باقي الاسكيميين . وكان اخي يوسف البتن هو الأول في الرهبنة من المبتدئين[١٣] . ثم قسَمنا المؤونة كنحو عدد الرهبان . وتمَّ بيننا الانفصال . وبطل القلق ، وصار هدؤ وسكون في الديرين » .

٨ ــ سيرة الرهبنتين :

روى الأب عبدالله في مذكراته (ص ٢٤٥) سير كل من الرهبنتين وتجربة كل واحدة منهما قائلاً : « وابتدينا[١٤] في ان ننذر على القانون الجديد . اناس بعد اناس . لان في حالة القسمة لم يكن بعد أحد منا نذر النذر الرهباني الكامل اصلا . وصارت الأخوة تسعى بالفضيلة بفرح واجتهاد . ويعتادوا على عوائد صالحة كثيرة . منها ابتداوا بكشف افكارهم عندي كل ليلة . بعد صلاة الستار . ومنهم بعد صلاة نصف الليل . وقد استمرت هذه العادة الحميدة فائدتها الى الآن . ونرجو نعمة الله ان نبقى الى الابد . وكان اذا احدهم زلَّ زلةً ، يجيء من ذاته اليّ ويسجد قدامي مستغفراً ، ويطلب قانوناً وتاديباً عن زلته ، وقس على هذه امثالها من العوائد الصالحة الباقية الى الآن » .

---

١٣) كان عددهم كما قلنا اعلاه ثلاثة عشر راهبا . والأب يوسف البتن لم يعمّر طويلا لانه وقع عليه صخر كبير في دير قزحيا اد كان يقيم غنمه ومات مأسوفا على فضليته وتواضعه ومحبته وعمق تقواه .

١٤) الضمير هنا عائد الى رهبان الأب عبدالله .

ويتابع الأب قراعلي كلامه في مذكراته ويقول في الموضع نفسه :
« ولم يكن بعد قد اكتملت الرهبانية بكل الطقوس والترتيبات الكائنة الآن فيها ، لاننا منذ ترّهبنا الى هذه السنة وبعدها أيضاً لم نزل نرتّب ونطكّس (أي نضع طقوساً لأن الفرائض هي وليدة الخبرة والممارسة والتجارب كما لا يخفى) أشياء . واكثر العوائد والترتيبات لم نتمسك بها الا بعد العمل والتجربة » .

٩ ــ هجر الأب فرحات لرهبنته :

وتابع الأب عبدالله كلامه في مذكراته (ص ٢٤٦) قائلاً :

« وفيما نحن في مثل هذه الحال ، حضر القس جبرايل فرحات عند السيد البطريرك ، فأرسل غبطته يطلبني اليه . فلما حضرت عنده قال لي : أن القس جبرايل يريد أن ينفصل عنكم ، ويجلس وحده في قرية زغرتا يعلّم الاولاد هناك . لانه يقول انه ضعيف الجسم ولا يقوى على العيشة معكم . وعلّل مثل هذا القول بما اورده غبطته عن لسان القس المذكور . فتكلمتُ انا مع القس فرحات ان يرتجع عن رأيه هذا وتخضّعت له ، فما امكن ، وافترق منا قدام السيد البطريرك . . . وأغلب الايام كان عند رهبان الافرنج. ولما صار تغيير الرئاسة لم يكن حاضراً معنا . ولا وقت الانفصال كان ايضاً حاضراً . بل كان متجنباً القلق . وكان يرقب وقتاً ليفترق منا . لأنه كان يخاف الافتراق ظاهراً في أيام القس جبرايل حوا ، لاسباب (لم يذكرها هنا) . ولما وقع الافتراق مع سَمِيه جبرايل حوا تشجّع هو أيضاً ، وافترق واتخذ مدرسة ماريوسف زغرتا[١٥] ليعلّم الاولاد فيها » .

وقال الأب فرحات عن نفسه في تاريخ الرهبنة الذي نشرناه له

---

١٥) وهي المدرسة ذاتها التي شادها المطران جرجس بنيمين ثم سلّمها الى الرهبنة الحلبية ، فظلت في يدهم الى بعد وفاة الخوري وهبه الدويهي ، ثم سلّمها مؤسسها الى الآباء اليسوعيين سنة ١٧٣٢ (انظر اللآلي ص ٦٠ ، وراجع كتاب الاصول التاريخية للأب مسعد والشيخ نسيب وهيبه (مجلد ١٣ ص ٤٧٢) .

في المجلد الأول من تواريخنا البالغة ١٢ مجلداً ما حرفيته : « وفي هذه السنة أعترى القس جبرايل فرحات تجربة الضجر ، فتبع هوى نفسه وخرج من الرهبنة . ولكن قبل النذر لعدم وجود النذر وقتئذ ، وانفرد الى قرية اسمها زغرتا في زاوية طرابلس ، وسكن هناك ديراً على اسم القديس يوسف . واتخذ له شماساً ، وكان يعلّم الاولاد هناك ويعيش من صدقات المؤمنين » .

١٠ ــ نزاع جديد بين القس حوا ومطرانه جرجس الاهدني :

يقول الأب عبدالله في مذكراته (ص ٢٤٦) عن هذا النزاع الجديد ما يلي حرفياً :

« ولما دخلت سنة ١٧٠١ بقينا نحن على ما نحن عليه من السعي بالسيرة الحسنة ، بفرح واجتهاد الى تمام السنة . اما القس جبرايل حوا فلما انفرد مع الذين تبعوه الى دير مارت مورة ، اظهر في الحال التي كان يشتهيها وابتدى يسلك كنحو رسوم رهبنة اليسوعية . وكانوا يقرعون الجرس قبل الغداء لفحص الضمير ، ويزورون المرضى في القرى والمدن . واباحوا للنساء الدخول الى كنيسة الدير . ولم يمسكوا الصيام اليومي ، بل من شاء كان يفطر صباحاً من غير اذن الرئيس . وعند اتمام طلبة السيدة التي تتلى في الكنيسة قبل النوم كانوا يقولون « يا مار اغناطيوس تضرّع لاجلنا » . وقصدهم بذلك الاختصاص التام بقانون مار اغناطيوس . ودخل عندهم مبتدئون غير الذين تبعوهم من عندنا . وابتداوا ينمون. وسلكت المحبة بيننا وبينهم . وصاروا يتردّدون الى ديرنا . وصرنا نقول : هكذا دبّر الله وهكذا هو الجيد ، والكل هو لمجد الله تعالى ».

« وقبل ان نكمّل السنة ، وقعت المخاصمة ما بين الأب جبرايل حوا ومطرانه جرجس بنيمين (مطران اهدن الذي ترك فيما بعد الاسقفية وصار راهباً يسوعياً[١٦]) واشتدّت الفتنة بينهما ، حتى

---

١٦) كما جاء في الاصول التاريخية للاب مسعد وللشيخ وهيبه مجلد أول ص ٧٢ .

بلغت الى ان المطران ضرب القس جبرايل حوا . ووصلا الى المرافعة قدام السيد البطريرك . فخاصم المطران الأب جبرايل قدام البطرك ولم ينفعه البطرك بشيء البتة . واشتدّ المطران على القس جبرايل بزيادة ومنعه عن اشياء كان يسلك فيها في ديره ، ومن جملتها ان لا يتسموا باسم اليسوعية » .

« ومن قبل هذه المخاصمة ، ضجرت رهبان القس جبرايل حوا كثيراً . وشرّد بعضهم وافترقوا عنه . وصار القس المذكور في حزنٍ عظيم وضيق كبير . وجاء الى عندي في دير مارليشع ، وجرى بيني وبينه خطاب ومذاكرات طويلة . وانتهت الى أنه يترك ديره مارت موره ويجيء يسكن عندنا ، كواحدٍ منا من غير نذر ، ثم سرت الى أخوتي الآباء المدبرين وشاورتهم على هذا ، فرفضوا ذلك ، وقالوا : لا نقبله ما لم ينذر مثلنا ، ويكون مرتبطاً بالقانون كواحدٍ منا ، وكانوا يقولون لي : يكفي يا آبانا ما مضى وما عمل ، وكم احتملنا من القلق والمحن . والآن أن دخل القس جبرايل حوا بيننا من غير نذر . يرجع يفتن أخوتنا ونعود الى التعب كالأول . لأنه غير ممكن أنه يرتجع عن رأيه » .

« فحصلت انا حينئذ مستحياً من القس جبرايل حوا ، لاني سبقتُ ووعدته بأني ساقبله . ولذلك اجتهدت على المدبرين لعلي اجتذب خواطرهم لكي نقبله بغير نذر ، فما أمكن . فرجعتُ الى القس حوا واعلمته بالواقع ، واعتذرتُ اليه . فلما فهم الكلام ، حزن كثيراً . فصرتُ انا اشجّعه على النذر مثلنا ، فما امكن . وتركني ومضى الى ديره مارت موره ، واصطلح كرهاً مع المطران جرجس ، واستمرّ في ديره . لكن لم يقدر على الثبوت في الدير ، بعد ذلك . لأن البعض من رهبانه شردوا عنه ، وكان يتفكر ببغض المطران له . وتراكم عليه الضجر وانغلب له . فلم يقدر على الصبر والاحتمال . فسار الى السيد البطريرك واقنعه انه يريد ان يذهب الى جزيرة مالطه » .

١١ ــ فكرة المطبعة من مالطة :

يتابع المطران عبدالله الكلام على سفر الأب حوا الى مالطة (ص ٢٤٨) قائلاً :

« واقنع البطريرك بان يذهب الى جزيرة مالطة ويأتي بمطبعة من هناك ليفيد بها الطائفة . ولأن السيد البطريرك كان يحبه . سمح له بالسفر . وفي الحال ذهب حوا الى ديره مارت موره واخذ حوائجه وامتعته التي كان قد اقتسمها من عندنا وجابها الى ديرنا مارليشع . وتركها وداعة عندنا . وسافر الى طرابلس . وكان ذلك في شهر تشرين الأول من هذه السنة (١٧٠١) . ومن طرابلس سافر الى مالطه . وفي مالطه ما تسهلت له المطبعة التي قصدها . بل ولا نعلم ان كان قصده المطبعة بالتحقيق ام لا . وسافر من مالطه الى رومية . وسنذكر ما صار له في رومية بحينه . اما رهبانه فتبددوا . وبقي منهم اثنان في دير مارت موره . والبعض رجعوا الى العالم . والبعض جاؤوا الينا . ونحن لم نزل نسعى على ما نحن عليه » .

ــ ودير مارت موره ماذا حل به ؟ يجيب على هذا السؤال المؤرخ الخوري بولس قراعلي في لآلئه ص ٦٣ هكذا : « وبقي دير مارت موره في يد الرهبانية الحلبية مدة لا نعرف مداها . وقد عدّه المطران فرحات في سنة ١٧٢٠ من جملة اديارها . وجاء في سجل الأب توما اللبودي ان الرهبانية تركته فيما بعد لعدم اتفاقها مع اهالي اهدن . وهو الآن من اوقاف هذه القصبة . ومن اغناها يملك اراضي خصبة اكثرها واقع بينه وبين قرية عينطورين[١٧] » .

---

١٧) راجع كتاب اللآلي لقراعلي ، ص ٦٣ .

١٢ ـ استقرار وتنظيم وازدهار :

هنا قال المطران جرمانوس فرحات في تاريخه الرهباني(١٨) ما نصه :

« ابتدات الرهبنة في ايام الأب عبدالله تنمو وتزيد في الخير . وكان رهبانها حريصين على حفظ قانونهم الجديد . فمن حيث الطهارة قطعوا كل سبب يؤذيها ، مانعين النساء عن دخول اديرتهم وكنائسهم ، والصبيان عن النوم في الدير . ولم يكن راهب يكلم امرأة وحده ، ولا يمشي في طريق بغير رفيق ، ولا يأكل في بيت العوام اصلا . ولم يكونوا يشربون الماء الا باذن الأب الرئيس او المتقدم فيهم . فالكاهن منهم كان يستأذن ، والغير الكاهن كان يركع عند طلب الاستئذان . وكان المبتدىء يأكل على المائدة راكعاً حتى يؤذن له بالجلوس ، ولا يتكلم بحضرة الأخوة الا اذا سمح له بذلك » .

وتابع المطران فرحات يقول في تاريخه : « وكانوا مواظبين على كشف افكارهم كل ليلة الا قليلاً . وكان الرئيس عبدالله يعيّن احداً للقراءة على المائدة وهم يأكلون سكوتاً . فمنهم من كان يميت نفسه فلا يشبع . ومنهم من كان يأكل الادنى من الطعام ، ومنهم من كان يقتصر عن كثرة الالوان ، وهذا يقتصر عن أكل الفواكه والحلوى وشرب الخمر . وذاك يمارس العطش . وهذا يصوم كثيراً ويأكل قليلاً ، ويسهر طويلا . وذاك يعمل التقشفات كثيراً وينام قليلا . الى غير ذلك من عمل الاماتات الصارمة التي تسوق النفس الى مراتع الخلاص ... وكانوا مرتبطين بمحبة بعضهم لبعض كأنهم جسد واحد ، ونفس واحدة ... ومن جهة الفقر لم يكن أحد يدعي ان الثوب ثوبه ، ولا يقتني في قلايته شيئاً خاصاً ولا يضع فيها أكلاً ولا شرباً ... وقد ذكرت لكم هذه الامور كلها لتثبتوا متمسكين

١٨) راجع المصدر نفسه ، ص ٦٤ . وانظر المجلد الاول من تاريخنا الرهباني ص ٧٢ .

بعوائد آبائكم الاولين ، ولا تتراخـــوا فيها لأن جميعها مثبتة في مجامعهم[١٩] » .

هذا ما قاله العلامة فرحات لغاية هنا عن هذه الرهبنة التي يقودها الأب الرئيس عبدالله ، فلنقرأ الآن ما قاله هذا القائد بهذا الخصوص في مذكراته (ص ٢٤٩) :

« وكان ابتداء سنة ١٧٠٢ ، وفي اواخرها عقدنا مجمع تغيير الرئاسة في اليوم العاشر من تشرين الثاني . لا لأن الثلاث سنين القانونية قد تمّت ، اذ تمامها يكون في شهر آذار ، بل قدمنا المجمع الرهباني العام الى شهر تشرين الثاني لأجل ذكر ابتداء الرهبنة الذي كان في شهر تشرين الثاني كما سبق القول ، وقد انتخبني المجمع المذكور رئيساً مرة ثانية[٢٠] . ثم دخلت سنة ١٧٠٣ ، والأخوة كانت بنعمة الله تزيد عدداً وعبادة . ولما كانت سنة ١٧٠٤ ، امتلىء دير مارليشع بشري رهبانا ، لانه كان ضيق المقام ، وصرنا نفتكر في ان نوسّعه . واستصعبنا ذلك خوفا من الصخور المشرفة فوقه لئلا تسقط فتصيب العمارة الجديدة . ولذلك بقينا على ما نحن عليه مزدحمين . وفي هذه السنة ، تنيّح بالرب السيد البطريرك اسطفانوس الدويهي ، وسرت اليه لما كان مريضا وطلبت دعاءه وبركته ، فبارك عليّ وعلى رهباني جميعا ودعا لنا . وبعد يومين تنيّح وبكينا عليه ، وسيم عوضه بطريركا المطران جبرايل البلوزاوي مطران حلب يوم عيد العنصرة ، وكان غير محب لرهبنتنا ، لكنه لم يعاندنا بشيء . وفي هذه السنة ، وهي سنة ١٧٠٥ ، تنيّح البطريرك

---

١٩) هذا الكلام يدل على ان المطران فرحات كتب تاريخه هذا في عهد رئاسته العامة على هذه الرهبنة من سنة ١٧١٦ لغاية ١٧٢٣ . وينتهي تاريخه في سنة ١٧٣٢ التي توفي فيها ، ولكن الخط يتغير بعد سنة ١٧٢٤ أي قبيل سيامته اسقفا في سنة ١٧٢٥ ، مما يدل على ان القسم الأخير ليس هو له شخصيا بل لغيره من الرهبان الذين كتبوه باشارته .

٢٠) ظل هذا التاريخ موعداً محدداً لانعقاد المجمع الرهباني حتى شرعت الزيارة الرسولية بمدسنة ١٩١٠ تجري تعيين الرئيس العام فتغيّر حسب الظروف

الجديد جبرايل المذكور واقيم بطريركاً عوضه المطران يعقوب عواد الحصروني » .

وتابع عبدالله قراعلي يقول في مذكراته (ص ٢٥٠) : « وفي هذه السنة (١٧٠٥) عقدنا مجمعاً رهبانياً لتغيير الرئاسة العامة في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني ، وانتخبني المجمع أيضاً رئيساً ، مرةً ثالثة . وفي هــذا نذرنا النذر الرابع بعدم طلب الرئاسات . واختصرت شرطونية لبس الاسكيم كما هي الآن[٢١] . واخذنا صورة النذورات من رهبان الكرمل لاننا وجدناها مختصرة بالكفاية » .

١٣ ــ القائد الحكيم :

لخصتنا مما قاله الأب توما اللبودي الحلبي تلميذ الأب الرئيس عبدالله قراعلي في مقالته المسهبة عنه التي نشرناها له في المجلد السادس من تنقيباتنا التاريخية صفحة ٢٩٧ لغاية صفحة ٣٣٠ ، وجدير بالذكر ان الأب اللبودي العظيم ترأس على هذه الرهبنة بعدئذ من سنة ١٧٣٥ لغاية سنة ١٧٤١ . ثم سافر الى رومية لاشغال رهبانية هامة ، وظل فيها وكيلاً عاماً حتى وفاته التي حصلت في سنة ١٧٦٨ ، وقد اجتهد في جمع كل ما يتعلق بحياة معلمه المحبوب الأب الرئيس ، القائد الحكيم، ومؤسس الرهبانية الحلبية . واليك يا قاريء الكريم بعض ما قاله هذا الأب اللبودي عن معلمه الحكيم :

« بعد انشاء ديري مارت موره ومارليشع ، وتلك المخاصمات

---

٢١) قال المطران فرحات بهذا الخصوص : والرئيس العام كتب شرطونية لبس الاسكيم (وهي مطبوعة في كتاب الرتب الرهبانية الذي طبعه الأب افرام حنين الديراني) واثبت صورة النذور الاربعة فيها وانما اخروا النذر الرابع حتى اخذوا صورته من رهبان الكمل الحافين . وفي هذا المجمع وضعوا النذر الرابع وهو التواضع وكلهم نذروا هذا النذر . راجع المجلد الأول لتاريخنا الرهباني ص ٧٥ .

التي حدثت ، كما اعلاه ، استمر عبدالله في دير مارليشع وانشأ الطريقة المعيشية الرهبانية كما شرحنا . فابتدأ أولاً في سيرة التقشف في جميع حركاته ، فعمل عرزالا[٢٢] من عيدان حطب وقش وكان ينام عليه من غير فراش . وكان يعقره ويوجعه كثيراً . وقد استدام على هذه الحال سنتين ... ومن حيث صلواته العقلية فكان في أول مبتداه يصلي ساعة صباحا ونصفا بعد صلوات السواعي وساعةً عند المساء . وقد امتثل به كثيرون من رهبانه ... وكان بعد صلاة نصف الليل يبقى في الكنيسة منتصباً للصلاة امام المذبح لغاية صلاة الصبح ... وكان من كثرة المطانيات التي يعملها في الكنيسة ليلاً تكلكلت ركبه ... وكان من حيث نسكه يمتنع عن كل شيء يعرف أنه يتلذذ به ... وكان يأكل كل اربعة وعشرين ساعة مرةً واحدة في العشاء ... وجاء مرة الى دير مارليشع وهو مريض مرضاً ثقيلاً حتى ان الرهبان سندوه في دخوله . فأمرت انا من ابي الدير ان اهيء له طعاماً لان الرهبان كانوا قد تعشوا . فقد طبخت له ارزاً بسمن . فلم يرض ان يأكله رغما عن مرضه لأنه رآه دسماً لذيذاً ... وبلغ من قمع جسده حدا من الضعف حتى أنه اراد يوماً ان ينهض بيديه مقدار ثلاثة ارطال فلم يستطع... وكان يعطي كل صباح موضوعا روحيا لكل واحد حسب مقدرته وموهبته . وكان يجمع كل اثنين في موضوع واحد ليذكروا بعضهم به في النهار ... ومع ان المبتدئين كانوا كثيرين فكان يوزع المواضيع حسب فهم كل واحدٍ بنوع يعجز ادراكي عن تفسيره ... واما غيرته على حفظ الطهارة فيكفيكم ان تمعنوا في كلامه عنها في شرح القانون (اي المصباح الرهباني) لكي تعرفوا الى اي حد بلغ في هذه الفضيلة الملائكية ... وكان هذا المغبوط مفعما من الله حكمة وافرازاً ونسكا ، وكان ذا عقل ثاقب وعلم راسخ . ومحبوباً من كل من يراه ... وبعد نحو ستة اشهر توجّه من دير مارليشع الى دير رشميا ثم رجع الى دير مارليشع وقطن فيه نحو سنة ونصف وكان يرشد لي

---

٢٢) هو عبارة عن مقعد من العيدان مرتبطة بعضها ببعض ، يُعلّق بين اغصان دوحة ويفرش بالقش فينام عليه أيام الصيف . راجع اللآلي للخوري قراعلي ، ص ٦٦ بالحاشية . وقد طبعنا كل مناشير الأب توما اللبودي في مطبعة الكسليك كتاباً كبيراً باسم « مجموعة اللبودي » سنة ١٩٨٨ .

ولغيري وانا لم ازل اراقب سيره من غير أن يعرف احد بي . وعلى ما كنت اراه انه كان يزيد عما ذكرت انفاً . بل ابتدا يصوم يومين يومين . وبما ان صيامه لم يكن يخفى عن الناس فقد تغايرت الرهبان والكهنة على الصيام مثله ... ان صلاته ، ونسكه وسهره ، ورشده للغير ، وطول اناته وتواضع اللب مع هذيذه كان دائماً يزيد ولا ينقص ابداً ... واما اموره السرية المعروفة عند اعيان الرهبنة فقد انعرفت من قبل المواهب التي كانت له ...

وقال الأب اللبودي في مقالته المذكورة ص ٣١٦ من تاريخنا السادس على الأب عبدالله ما حرفيته : « لما صار زمان المجمع العام لقيام رئيس عام . دعا الرهبان الى المجمع المعروف سنة ١٧١٤ . ولما التأم المجمع ترامى على جمهور الرهبان المجموعين للقرعة ان يقيموا رئيساً عاماً غيره لمن يريدون ، لان مراده أن يروح الى المحبسة التي كان هو قد انشأها قبال دير قزحيا في عربتا ، بزعمه أنه يريد ان يقام رئيس عام على الرهبنة غيره في زمانه ينظر التدبير . وبهذا النوع كان يتوسّل الى الرهبان ويعدهم أنه ولو كان في المحبسة فما يتخلى عن رشدهم ورشد رؤسائهم في القانون . وهكذا الله هو طالب مني . فمن زود لجاجته على الرهبان بما ذكر اخفوا هم راياتهم وكان جوابهم له : فلتكن مشيئة الله ... وفي حين القرعة وكشفها فما ظهر ولا ورقة بغير اسم عبدالله . فهطلت الدموع من عين عبدالله وهو يستغيث بالله لأجل التجارب المزمعة ان تظهر وهي في عقله . اما الرهبان فصرخوا بصوت واحد نحوه قائلين : انك ما دمت في الحياة فما يكون رئيس علينا غيرك ، والذي دبّرك الى الآن يدّبر اولادك بعدك . وبعد انتهاء المجمع العام كان جميع الرهبان فرحين مغتبطين برئيسهم ، واما الفرح الروحي الذي كان بينهم فأنا عاجز عن وصفه ... » .

١٤ — عودة فرحات الى الرهبنة :

يشرح الأب عبدالله قراعلي في مذكراته (ص ٢٥٢) عن عودة فرحات الى الرهبنة قائلا :

« كذلك انتخبنا القس جبرايل فرحات رئيسا لدير مارليشع بالوادي . والمذكور قد سبق القول عنه أنه قد افترق عنا في سنة ١٧٠٠ ، وانفرد في قرية زغرتا يعلّم الاولاد هناك . وفي السنة الماضية اعني سنة ١٧٠٥ رجع الينا بخير . وسبب رجوعه كان مرض جسمه . لأن الاطباء نهوه عن السكنى في زغرتا لسوء طبع الهواء والمناخ . فخاف فرحات وطلب منا ان نقبله عندنا فقبلناه بفرح . وكان يقول أنه منذ افترق منا . فما عاد استراح ضميره البتة . وفي هذه السنة اقمناه رئيساً على دير مارليشع لجودة فطنته . وحسن غيرته . وانه كان حاد المزاج . بليغاً في همته . وذا علم راسخ . فيلسوفا . وشاعرا مفلقا . وله قيمة عظيمة عند الاكابر والاصاغر لفصاحته ودقة فهمه » .

١٥ — دير مار اشعيا والخوري سليمان الشمشاني :

ويقول الأب الرئيس عبدالله قراعلي عن هذا العنوان في مذكراته المعهودة (ص ٢٥٠) ما يلي :

« وفي هذه السنة (١٧٠٥) اخـــذ قانوننا الخوري سليمان الشمشي الذي كان رئيسا على دير سيدة طاميش . ولرغبته بالقانون ترك دير طاميش برضى رئيسه ومنشئه المطران جبرايل البلوزاوي . وسكن دير مار اشعيا مع من تبعه وسلكوا بموجب القانون مثلنا ، وما صعب منه عليهم كانوا يأخذون فيه مشورتنا . وبقوا عليه كما هم الآن » .

وهنا لا بدّ من كلمة وجيزة عن هذين الديرين(٢٣) : اسس **دير طاميش** المطران جبرايل البلوزاوي اسقف حلب في عهد البطرك اسطفان الدويهي الطائر الشهرة . وفي ولاية الامير احمد المعني . وجعله من اعظم اديار كسروان ، وكرسياً له ، وكان فيه عدد من الرهبان والراهبات . واكثر له الارزاق والمتلكات ، ومركزه واقع في قاطع كسروان على كتف وادي نهر الكلب الايسر . وقائم على

---

٢٣) راجع كتابنا « دليل اديار لبنان » الذي طبعناه سنة ١٩٩٠ ، صفحة ٣٨ عن طاميش وصفحة ٥٠ عن دير اشعيا في برمانا .

تل ضخم نبتت فيه اشجار العفص والسنديان والصنوبر بين صخور رمادية مستديرة ، ومكشوف من جميع جهاته ما عدا الجنوب الشرقي بسبب ارتفاع تلك الاكمه المنتصب في صدرها كالنسر . ويروى ان طاميش تصحيف لكلمة ارطاميس التي معناها « ابن الزهرة » آله موهوم عند الاقدمين ، ودعي كذلك لأنه مبني على اطلال معبدٍ فينيقي قديم هو الاله ارطاميس ، فعرف بدير طاميش بعد التحريف[٢٤] .

اما دير مار **اشعيا برمانا** فقد بدا المطران جبرايل البلوزاوي المذكور بتأسيسه سنة ١٧٠٠ . فباشر أولاً ببناء القبو الحجري الكبير ثم بالكنيسة على تلة عرنتا شمالي قرية برمانا . وكان الدير في القديم تابعاً لمقاطعة كسروان ، والى أن فصلت الآيالات في زمان الامراء اللمعيين وكانوا مقدمين معاً . وقد طلعت عليهم الامارة من الامير حيدر شهاب سنة ١٧١١ في موقعة عين دارا الشهيرة . اما الطابق الحديث فهو العلوي لجهة الشرق ، وكان مؤلفاً من اربع غرف وايوان ، ثم اوصله الرهبان الى الجهتين القبلية والشمالية ، فصار مؤلفاً من ثماني غرف مع الممشي . وفي سنة ١٧٨٣ شاد الأب نقولا البسكنتاوي تسع غرف أخرى ، وفي سنة ١٨٠٦ أتمَّ البناء القديم حتى الايوان القبلي . وفي سنة ١٨٦٤ هدم الأب يشوع الشبابي كل البيوت القديمة التي كانت مشيدة ازاء الباب ، واقام عليها خمس غرف وقاعة كبيرة وممشى . ثم اكمل البناء كله الأب البعبداتي نفسه حتى صار الدير كاملاً ومركزاً للرئاسة العامة وللابتداء ايضاً وللاجتماعات المتنوعة ، وفي هذا الدير اليوم مكتبة عصرية ضخمة ومرتبة جيداً . (راجع كتابنا المذكور عن دليل الاديار اللبنانية) .

---

٢٤) راجع كتاب ذكرى فرحات للأب بولس مسعد ، ص ٥٥ ، وكتاب اللآلي لقواعلي ص ١٦ ، والمجلد الاول من تاريخنا الرهباني ص ١٥٧ .

الفصل الثالث

الاديار التي اسسها الأب عبدالله قراعلي :

ولما ضاق دير مار ليشع بالرهبان الحلبيين الذين كانوا تابعين الرئيس عبدالله قراعلي ، فكرَ رحمه الله رحمات واسعة ، بفتح اديار جديدة في مناطق مختلفة من لبنان وخارجه ، في رشميا منطقة الدروز كما كان يسمّيها ، وفي زوق مصبح بكسروان ، وفي قزحيا بالشمال ، وفي رومية بايطاليا ، وفي بيت شباب بالمتن وفي غيرها . ولم يكن هذا الازدهار والنمو منحصراً في رهبانيته الجديدة وفي طائفته المارونية ، بل امتدَّ الى مختلف الطوائف الكاثوليكية الأخرى ، كما ظهرت فروع مستقلة في جمعيات رهبانية أخذت لها قوانين رهبانيته الحلبية ، كما سنرى .

١ — اولاً دير ماريوحنا رشميا:

ذكر هذا الدير الأب الرئيس عبدالله في مذكراته ص ٢٥١ قائلا :

« وفي ابتداء سنة ١٧٠٦ ، ذهبت الى كسروان عند البطريرك يعقوب عواد وهنئته بالبطريركية واعلمته بمقصدي ، وهو اني كنت قد اجتمعت بالأخوة الآباء المدبرين واعتمدنا على افتتاح دير في غير بلاد بيت حماده الظالمين . فرضي البطريرك بمقصدي وساعدني على ذلك . وتمَّ النصيب بافتتاح دير ماريوحنا برشيما ، وكان ذلك في شهر شباط من تلك السنة . وكان في الدير المذكور

راهبان : احدهما يقال له الخوري ابراهيم الغزيري[1] وكان هو الرئيس ، ولم يدخل في شركتنا الرهبانية ، بل انفرد في قرية رشميا يعلّم الاولاد . والراهب الآخر كان يسمّى القس حنا من اولاد القرية المذكورة وهذا دخل في شركتنا الرهبانية . ونقلنا من دير مار ليشع الى هذا الدير جملة رهبان . واقمنا عليهم رئيساً يدعى القس يعقوب من قرية غزير (هو القس يعقوب زوين) . وهذا كان وديعاً وعديم الشر ، ومترهباً عندنا قبل كل الرهبان . وفي الانفصال من القس جبرايل حوا تركه وتبعني.» .

« وبعد ايام قليلة ارسلته الى غزير قريته لعملٍ يخصّ ديرنا . فاجتمع به اهله واقاربه والبعض من اهل القرية . وطلبوا منه ان يتواسط لهم عندي حتى أبعث لهم راهباً من عندنا ليعلّم اولادهم . ويعطونا ديرهم المعروف بدير مار الياس . فاستحسن القس المذكور مسألتهم ، ولم يقدر ان يميّز مكامن ابليس . بل هدى نحو اللحم والدم بجملته ، وسرقته محبة الاهل والوطن ، وقدّمها على الطاعة ، وقطع المشية ، وعزم انه يطالبني براهب ارسله ليعلّم الاولاد . وان انا ما طاوعته على طلبه ، يتركني ويلحق بالقس جبرايل حوا . وهكذا صار . . . » .

« ولما تبدّد رهبان القس حوا من قبل الفتنة ، كما سبق القول ، ندم القس يعقوب على ما فعل وطلب الرجوع لعندنا ثانيةً فقبلناه بالرضى . وكان فعله نظير فعل ماربطرس الرسول بالسواء . لأنه في ايام الانفصال من القس جبرايل حوا كان يقول : الكل ان انفصلوا عن القس عبدالله الرئيس فأنا لا انفصل منه للموت . ولكن كان هو أول من انفصل عني . وفي اول دخوله الثاني ، نذر النذر الرهباني ، وسار سيرة صالحة جداً . ولما افتتحنا دير مار يوحنا رشميا انتخبناه رئيساً عليه[2] » .

---

1) راجع ما نشره عنه الأب شيخو اليسوعي في كتابه عن الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية ص ١٢٩ ، وانظر المجلد الأول من تاريخنا الرهباني ص ٨٦ .

2) راجع ما كتبناه عن هذا الدير ونص صك التسليم في المجلد الأول من تاريخنا الرهباني ، ص ٨٥ ؛ وفي تاريخ بليبل مج أول ص ٥٠ ؛ وفي كتاب اللآلي للخوري بولس قراعلي ص ٩٠ .

وقال المطران غرحات عن هذا الدير ما نصه :

« في هذه السنة (١٧٠٦) افتتح الرهبان دير مار يوحنا الصابغ في رشميا ، وكان فيه كنيسة صغيرة . ومسكن على هيئة بيوت الفلاحين . تسلّمته الرهبنة من صاحبه شيخ قرية رشميا ويدعى بيت ابو صابر . وانشأت فيه مدرسة لتعليم الاولاد مجانا . وكانت الاكلاف التي بذلت لعماره أول مرة دون الكنيسة مبلغ ١٣٥٧٦ قرشاً » .

وذكر المؤرخ الأب بليبل في تاريخه الرهباني (ص ٤٩) حجة التسليم من الخوري ابراهيم بصفته رئيس الدير هكذا :

« وجه تحريره هو اني تنزّلت عن ديري مار يوحنا رشميا من ذات خاطري . وسلمته الى اخينا القس عبدالله ورهبانه المتخلفة من بعده تسليما تاماً يتصرفون فيه وفي ارزاقه ومتخلفاته وموقوفاته ونذوراته وعماره وخرابه وسائر متعلقاته . لا اعارضهم ولا اقارشهم بشيء اصلا . وما لي عليهم سوى قلاية واكلي وشربي . وان اردت دخلت في رهبنتهم . وان ما اردت انا بحالي بغير ان اسجس عليهم بسلوك قانونهم . وهذا كل رضانا وخاطرنا وخط يدنا شاهد علينا . وهو معروض على قدس سيدنا المكرم ماريعقوب . وعلى سيدنا مار الياس مطراننا وأخونا القس يوحنا راهب ديرنا . جرى ذلك تحريراً في اول شباط سنة ١٧٠٦ » .

كاتبه الخوري
ابراهيم الغزيري .

وكذلك الشيخ صقر سعد الواقف هذا الدير في الاصل سلم للرهبنة بواسطة الأب عبدالله صكا بتسليم الدير واملاكه . وهذا نصه نقلا عن تاريخ الأب بليبل السالف الذكر في الموضع المذكور، قال:

« وجه تحريره هو أنه بخاطرنا ورضانا قد سلّمنا ديرنا مار يوحنا رشميا الى الرهبان الحلبيين تسليماً تاماً يتصرفون فيه وفي ارزاقه حسب مرادهم وذمتهم ولا نعارضهم بوجه من الوجوه اصلاً ،

يخرّبوا ويعمرّوا ويطردوا حسب خلاصهم . ولا نلزمهم بمعمود وبميت ولا تكليل عريس داخل ديرهم وخارج ديرهم . وبالجملة راضين رضاً تام بكل ما رضيه أبونا الخوري ابراهيم المكرم . وهذا وضانا وخاطرنا وختمنا والله الوكيل على صدق قولنا . وتمسكنا هذا معروض على قدس سيدنا ماريعقوب عواد البطريرك المفخم ، ومار الياس مطراننا المكرم ، والخوري ابراهيم رئيس الدير والقس حنا خادمه المكرمين . تحريراً في شباط سنة ١٧٠٦ » .

كاتبه

الحاج صقر سعد .

وبعد ان استلم الأب الرئيس عبدالله حجج التسليم هذه ، اعتنى باصلاح الدير واعدّه لسكنى الرهبان الذين نقلهم اليه من دير ماراليشع حيث كثرت التجارب والمحن والاضطهادات من قبل بيت حماده الشيعية الذين كانوا هم الحاكمين « الظالمين » .

٢ ـ دير سيدة اللويزة بمصبح :

ذكر الأب الرئيس عبدالله افتتاح دير اللويزة في مذكراته ص ٢٥٣ هكذا :

« وفي آواخر هذه السنة (١٧٠٦) راسلني القس اغناطيوس سلهب صاحب دير اللويزة ليسلّمنا ديره ، وسبب ذلك صغر نفسه من رهبانه . وكان عنده اربعة رهبان اسكيميين وغيرهم مبتدئين . فتسلّمنا ديره بعد مشورة المدبرين . وكتب لنا به حجةً نتصرّف به التصرف الكامل ، وأنه ملك الرهبنة ملكاً ثابتاً . والبعض من رهبانه دخلوا عندنا في شركتنا ، والبعض شردوا أو رجعوا الى العالم . وكان للدير عقارات وافرة ، لكنه كان فقيراً بالبنيان والامتعة اللازمة . وكان عليه ديون . فلزم اننا ابتنينا اللازم بنياته ، واكفيناه أمتعةً للكنيسة وغيرها . لأنه كان جديداً قد أنشأه القس اغناطيوس من ماله وحده . لأنه كان يحب العبادة وعمل الخير وكان صادقاً في كلامه جداً . واقمنا على الدير المذكور رئيساً يقال له القس يعقوب

(وهو القس يعقوب اروتين الحلبي من طائفة الارمن) ، وقد صار ابوه ماروني لان اصله كان ارمنياً » .

وقال المطران جرمانوس فرحات عن هذا الدير ما حرفيته[٣] : « تسلمت الرهبنة هذا الدير عام ١٧٠٧ من مؤسسة الأب اغناطيوس سلهب الحاقلاني بموجب صك محفوظ في الدير . وكان اسمه قبل ترهبه الحاج سلهب بن فرج مجاعد بن ابراهيم من اسرة الحاقلاني مشايخ زوق مصبح ، وزوق مكايل . وقد حفظ لنا التقليد الصحيح في طيات ذاكرته ما كان لهذه الاسرة من وجاهة وثروة وصيت ، اذ كانت تملك في زوق مصبح وحدها اربعين رأس خيل ، وفي زوق مكايل مثلها ايضا ، كما يتبيّن ذلك من الحواشي التي علقها القس اغناطيوس المذكور بيده على المتعيدات الثلاثة المنسوخة له سنة ١٦٩٧ و ١٦٩٩ ، والموقوفة منه على دير اللويزة حيث هي محفوظة للآن .

وشرح البحاثة الخوري بولس قراعلي[٤] اساس هذا الدير فقال : « كان دير اللويزة في القديم مؤلفاً من غرفة واحدة ملاصقة للكنيسة جنوباً . وان الأخ جرجس الحلبي شاد اقبية جناحه الشمالي حتى البئر (الذي ازيل الآن وكان في وسط الحوش الداخلي) . وفي سنة ١٨٣٥ ، بُنيت بقية الاقبية الحالية بهمة المدبر جرجس الشبابي . واما الطابق العلوي فقد شاده المطران يوسف الخازن في عهد رئاسته العامة على الرهبنة ، قبل أن يُسام اسقفا (١٩٠٤ — ١٩١٠) . وجاء في كتاب « العيشة الهنية والحياة النسكية » للأب افرام حنين الديراني أن الأب العام سابا دريان العشقوتي ، في خلال رئاسته العامة اقدم على تحقيق عملية شغل ارزاق ضبيه المختصة بدير اللويزة مع شركة بيروت للمياه التي أتت على الدير بفوائد عميمة . ثم قام بتجديد شرفات المشى الشمالي في الدير ، وترميم وانشاء الردهة التي هي بالقرب منه ،

---

٣) راجع المجلد الأول من تاريخنا الرهباني ص ٨٨ ; وكتاب اللآلي ص ٩٦ ; والأب بليبل ص ٥٢ ؛ ومجلة المشرق عددها ٢٨ (١٩٣٠) ص ١٨٣ .
٤) في كتاب اللآلي المطبوع سنة ١٩٣٢ ، ص ١٠١ .

ثم الصالة الكبيرة التي هي فوق رتاج البوابة الشرقية الكبيرة ، مع كامل المشى المزدوج الذي حذاءها للجهة القبلية ، وجهّزه بالاثاث والكراسي الخيزران وانجز اصلاحات كثيرة في الدير . واصبح هذا الدير يحوي نحو اربعين غرفة ، مقسومة الى ثلاثة اجنحة ، والكنيسة واقعة في الجهة الرابعة الشرقية فتؤلف الجناح الرابع من دير اللويزة العظيم » .

وفي سنة ١٩٥٢ ، باشرت الرهبنة بنـــاء مدرسة لطلابها الاكليريكيين ملاصقة لدير اللويزة من الجهة الشرقية القبلية ، وهي مؤلفة من ثلاثة طوابق مبنية بالحجر الابيض الطبيعي المشغول وتسَع اكثر من ميئتي تلميذ ، وفيها مكتبة خاصة بطلاب الرهبانية وهي غنية بالكتب الحديثة والقديمة والمجلات .

وفي سنة ١٩٦٥ ، في عهد رئاسة الأب العام اجناديوس العضم بوشر ببناء المدرسة الكبرى ، بقرب دير اللويزة ، على ربوة تطل على وادي نهر الكلب الظليل ، تحيط بها أشجار الصنوبر والزيتون والكرم ، فتظلل معظم ملاعبها المتعددة ، فينعم طلابها الكثيرون بمناظر الطبيعة الخلاّبة الدائمة الاخضرار • وبمناخ صحي معتدل ، وتفصلها عن مساكن البلدة مسافات من أملاك الدير الفسيحة والمسوّرة . وقد دشّن هذا المعهد سنة ١٩٦٩ وفتح ابوابه للتعليم والتهذيب . فأمّه نحو الف تلميذ ينهلون من معينه الصافي العلم والتربية المسيحية والوطنية . وازداد العدد تدريجياً حتى بلغ في العام الدراسي سنة ١٩٧٩ ألف وخمسمائة طالب ، وهو الآن سنة ١٩٨١ نحو الفي طالب من كلا الجنسين .

وفي سنة ١٩٧٦ ، في عهد رئاسة الآباتي بطرس فهد كاتب هذه الاسطر ، اضافت الرهبانية على هذا المعهد جناحاً جديداً كبيراً ، مؤلفا من خمسة طوابق مع مدخل ملوكي للجهة الشرقية ، وساحة فسيحة تحوي ، الى قاعات التدريس لكل المراحل ، وملعباً للرياضة

البدنية . ومختبرا للغات مع مكتبة ابحاث ومطالعات . ومختبرا للعلوم الفيزياء والعلوم الطبيعية[٥] وغيرها .

وفي سنة ١٩٧٨ . انشأت الرهبانية جامعة باسم جامعة اللويزة بالانكليزية ، تتناول التعليم الرسمي الكلاسيكي . والاختصاص الجامعي ودراسة اللغة الانكليزية والتوجيه الجامعي والتوظيفي . والتنشئة الرعاوية . ونادي الرياضة . والفنون ومركزاً ايضا للتنشئة الفنية كما هو مشروح في كتابنا الثاني عشر من تاريخ الرهبنة (ص ٣٧) . فنحيل القراء الى مطالعته لزيادة الاستطلاع .

٣ ــ دير مارانطونيوس صبر في رشميا :

لم تمضِ سنة واحدة على استلام الرهبنة لدير ماريوحنا الصايغ في رشميا حتى اهدي لها دير آخر هناك لا يبعد عن الأول مسافة طويلة . وهو أنشط منه هواءً . واجمل مركزا . واقف على صخر كبير ينطح الجو . ويشرف على القرية وجوارها ، وقد فرح به كثيرا الأب الرئيس عبدالله . وذلك ليخلّص رهبانه من شدة الحرارة في ايام الصيف . وكثرة الرطوبة في أيام الشتاء . واليك كلام الأب عبدالله في مذكراته (ص ٢٥٤) بحرفيته :

« تملكنا في هذه السنة (١٧٠٧) ديرا آخــــر على اسم مار انطونيوس يعرف بدير « صبر » . كان قد ابتناه رجل يقال له القس انطونيوس مبارك ، وكان يسكنه وحده . فهذا نزل من ذات خاطره لعندي ، لأن ديره هذا فوق دير ماريوحنا رشميا . وقال لي : انه بريد ان يدخل في شركتنا الرهبانية وينذر على قانوننا . فوعدته اني اتكلم مع حضرة المدبرين . وارّد عليه الجواب . ولما اجتمعت بالمدبرين واعلمتهم به ، فرضيوا بذلك لأجل الأخوة الذين في دير مار

---

٥) راجع كتابنا الموجز التاريخي ، ص ٢٦ ــ ٣٦ . والمجلد الثاني عشر من التاريخ الرهباني ، ص ٣٧ .

يوحنا . لأن دير ماريوحنا رديء الهواء ، وفي الصيف تضعف اجساد بعض الرهبان فيه ، فيوافق العليل ان يرتفع الى دير مار أنطونيوس ويجد راحته . فتمَّ تملكنا للدير المذكور ودخل القس انطونيوس معنا ونذر بعد مدة قليلة النذر القانوني مثلنا . ونقلت للدير بعض الرهبان ، واقمت عليه وكيلاً يكون تحت طاعة رئيس ماريوحنا الصابغ لقربه اليه » .

« ولكن صار بعد اشهر قليلة ان اجتمع الخوري ابراهيم تلميذ مدرسة رومية الذي كان سابقاً رئيس دير ماريوحنا ، وتكلم مع البعض من تلاميذ مدرسة رومية ، وتشاوروا فيما بينهم على ان يتمسكوا بمكانٍ يصلح ان يسكنوا فيه ، ويجمعوا اليهم باقي تلاميذ رومية ، ويضعوا عليهم قوانين وترتيبات ، ليسهل لهم فيما بعد عمل الخير مع التريب ونفع الطائفة . ثم ندم الخوري ابراهيم الغزيري على تسليمه لنا دير ماريوحنا ، ولم يمكنه أن يخرجنا منه ، لاننا كنا قد اصرفنا عليه جملة دراهم للاصلاح . وصار لنا حظ وصداقة عند الطائفة المختصة بأنهم أصحاب الدير . وبالاكثر عند صاحبه بدأ بنيانه وهو شيخ القرية ويسمى ابو صابر » .

« فحينئذٍ حنس الخوري ابراهيم المذكور على ان يختطف منا دير مارانطونيوس بشكل أنه عوض ديره . ودبَّر القضية مع اقارب القس انطونيوس صاحب الدير ، وطابقوا على ذلك ، وتقووا بالحكام ، واخذوا الدير المذكور منا ما بين الحيلة والنصب وانواع المخاتلة . فشكوت حالي للسيد البطريرك . فلم يستطع ان ينفعنا بشيءٍ . لأنه على ما ظهر لنا كان يخاف تلاميذ رومية من حسابات كان يحسبها مزمعة ان تظهر(٦) . ونحن لم نرَ صواباً ان نرفع الدعوى لحكام السيف ، خوفاً من فتنة القرية ، لأن البعض كانوا معنا ، والبعض الآخر كانوا مع الخوري ابراهيم يقولون اعطوه ديراً عوض ديره . وهكذا تركنا الدير المذكور . وصاحبه الذي ابتناه عندنا . وسكتنا عنه بالتمام بعد تعبٍ ومخاصمةٍ اياماً واشهراً » .

---

٦) مجبر الى دعوى حط البطريرك يعقوب عواد عن البطريركية .

اما المطران فرحات فقال عن هذا الدير في تاريخه الرهباني الذي نشرناه له في المجلد الأول من تاريخنا (ص ٩٧) ما حرفيته : « وفي هذه السنة ١٧٠٧ ، افتتحوا ديراً آخر على اسم مار انطونيوس في بلاد الدروز ، بقرب قرية رشميا ، في مكان شامخ يسمى صير . وكان هذا الدير لراهب يتقى الله ، اسمه انطونيوس من عائلة بيت مبارك . فهذا الدير لم يكن له وجود سابقاً ، بل ان هذا الراهب اختار موضعاً ، فبنى فيه هذا الدير من ماله الخاص ، ودعاه باسم شفيعه القديس انطونيوس ، ولدى دخوله هذه الرهبانية سلمها ديره المذكور . وكان ديراً صغيراً ، فاقامت الرهبانية رئيساً عليه القس يوحنا باسيل من اهدن ، وكان رجلاً ورعاً نواحاً يبكي متى اراد ، غير انهم قد جعلوا رئاسة هذا الدير تحت رئاسة دير مار يوحنا رشميا القريب منه السابق وضعه » .

— وتابع المطران فرحات يشرح قضية اختطاف هذا الدير من قبل الخوري ابراهيم الغزيري واسترجاعه بقوة حكام الدروز من الرهبنة الحلبية ، الى ان قال ما حرفيته :

« والآن حجج الدير وتمسكاته هي بيد الرهبانية ، فلها وحدها الحق الشرعي به ، وتستطيع المداعاة به والاستيلاء عليه ، ولو بعد الف سنة ، لأنه هو ملكهم ذمةً وشرعاً . وهذه الامور لم تصل الى هذا الحد الا من عدم افراز الرئيس الذي كان على الدير » .

وهنا يقول صاحب السجل في اللويزة لا المطران فرحات لأنه كان قد مات عند هذا الكلام وهو : « وفي سنة ١٧٣٤ ، اخذت الرهبنة مرة ثانية دير سير هذا ، وذلك بأمر البطريرك يوسف الخازن الذي الزم الرهبان اللبنانيين بهذا الدير لأنه ملكهم . والرهبان عمّروا فيه كنيسةً والى الآن لم يزالوا يريدون العمار . وهناك اقاموا مدرسةً لعلم الاولاد ، لأنهم قلائل بالنسبة الى غيرهم لأجل بعد الناس عنهم . وقد بلغت كلفة عمار الكنيسة والقلالي ومشترى الاراضي والرزق مبلغ ١١٥،٦٢٠ قرشاً » .

٤ ــ تغيير اسم الرهبانية :

وقد بدّل المطران عبدالله قراعلي اسم الرهبانية من حلبية الى لبنانية في سنة ١٧٠٧ ، كما شرح ذلك في مذكراته (ص ٢٥٤) قائلاً : « وفي هذه السنة تحسّن عندي ان ادعو رهبنتنا باسم الرهبنة اللبنانية ، والرهبان يلقّبون باللبنانيين نسبةً الى جبل لبنان . كما تسمّى رهبان الكرمل كرمليين . وسبب ذلك لأني عرفت بالرمز ان بعض الأخوة لم يستحسنوا اسم الرهبنة الحلبية ، لأنه اسم مشترك مع سكان حلب . ولما دخلت سنة ١٧٠٧ طلبت من السيد البطريرك (يعقوب عواد) ان يَسمّينا بهذا الاسم ، اي اللبنانيين ، فارتضى به ، وصار يكاتبنا به » .

وهكذا يصبح اسم الفئتين المنشطرتين في سنة ١٧٧٠ بقوة الكرسي الروماني هكذا : الرهبنة الحلبية اللبنانية ، والرهبنة البلدية اللبنانية ، وما عدا ذلك يكون غلطاً تاريخياً ، وفي سنة ١٩٦٩ بدّلت الرهبنة الحلبية اللبنانية اسمها باسم العذراء مريم لتعبدها لها فاصبح اسمها الجديد : « الرهبانية المارونية المريمية » .

٥ ــ دير مار انطونيوس قزحيا :

قال المطران عبدالله قراعلي عن تسليم هذا الدير اليه من المطران يوحنا حبقوق سنة ١٧٠٧ ، في مذكراته (ص ٢٥٦) ما يلي حرفياً :

« ولما كانت سنة ١٧٠٧ ، ذهبت الى بلادة الجبة ، وبتدبير الله تعالى ، انتخبنا دير مار انطونيوس قزحيا ، وكان تسليمه لنا من يد المطران حنا الذي كان يتولاه . وكان عنده راهبان فدخلا في شركتنا . وفي بدء دخولنا الدير المذكور ، تعبنا التعب العظيم الجسيم ، لأنه كان ديراً خراباً . وعليه كلف زايداً من الحكام والزوار . وكنا نحن جاهلين تدبير مثل هذه الاحوال ، ولم يقبل احد الرهبان الرئاسة عليه ، فلزم اني (أي عبدالله قراعلي) توليت

انا رئاسته . وكنت رئيساً عاما ورئيس دير مار انطونيوس معاً ، مدة من الزمن . وكان ذلك في أول الصيف » .

واليك أيها القاريء صك التسليم كما ورد في تاريخ الأب لويس بليبل اللبناني[٧] :

« وجه تحريره هو انا الحقير في رؤساء الكهنة المطران يوحنا حبقوق سلمت ديري مار انطونيوس قزحيا لأولادنا الرهبان الحلبية يتصرفوا فيه وبرزقه ونذوراته وسائر مدخوله ومخروجه تصرفاً كاملاً من غير اني اعارضهم بشيء البتة . لا بعمار ولا بخراب ولا لي عندهم سكن بالدير الا ان كان كعابر طريق ازورهم في السنة جمعة جمعتين . ولا اقبل شيء من نذور . ولا اكتب كتاب او غير ذلك من متعلقات دير مار انطونيوس . والله تعالى الشاهد عليّ . ولكن اذا استمرضت او انقطعت من غير وجه وما عاد لي معاش لي عليهم ان يقوموا بمعاشي كما هو واجب . بشرط اني لا أعارضهم بشيء من احوال ديرهم وقانونهم . ولا اتعاطى في رعية ولا في رزق ولا في موضع من المواضع اصلا . ويكون جميع ما املكه في الدنيا من مال وقنيان وقف الى دير مار انطونيوس تحت تصرفهم في حياتي . ومار انطونيوس وكيل وشاهد . تحريراً في ٥ تموز سنة ١٧٠٨ » .

الحقير
+ يوحنا مطران قزحيا .

الحقير يعقوب
+ البطريرك الانطاكي .

وجاء في تاريخ الاب لويس بليبل عن خراب هذا الدير قديما قوله (ص ٦١) : « ذكر العلامة اسطفان الدويهي في تاريخه ان خراب هذا الدير قزحيا كان في الجيل السادس عشر . بسبب جور الحكام الشيعيين ، حكام البلاد الشمالية . وفي ذلك العهد اتت عائلة من بلاد جبيل الى قرية العربة . وتوطنت فيها وعرفت ببيت السمراني ، لأنها كانت من قرية اسمر جبيل . وكان منها كهنة اقاموا في دير قزحيا . ولم يمانعهم احد ، لأن الدير كان خراباً ،

٧) تاريخ الرهبانية اللبنانية المطبوع سنة ١٩٤٢ ، ص ٥٩

ولا مالك له . فاستولوا عليه . وتولى رئاسته ثلاثة مطارين من هذه العائلة متتابعين . ثم جاء من بكفيا عائلة أخرى تدعى بيت حبقوق ، وجعلوا اقامتهم في قرية العربة ، المرقومة ايضاً ، ودفعوا الى بيت السمراني اثنا عشر كيساً من الدراهم (عبارة عن ستة الآف قرش) بدل اتعابهم في دير قزحيا ، واخذوا الدير منهم ، واقاموا فيه . وكان آخر من تولى الرئاسة عليه المطران حبقوق الذي سلمه ليد الرهبانية الحلبية » .

دير قزحيا قديم العهد في لبنان ، وربما كان قائما منذ القرن الحادي عشر[٨] ، فقد ورد ذكره في مخطوطات قديمة : منها حاشية علقها البطريرك يوحنا اللحفدي على انجيل جاء فيها ان الراهب اشعيا من قزحيا حضر اليه سنة ١١٥٤ ، فرأسه على دير القديس يوحنا كوزبند بقبرص ، الواقع بين دير مار الياس المطوشي حيث الرهبان اللبنانيون وقرية القديسة مارينا المارونية . ومنها براءة البابا اينوشنسيوس الثالث الى البطريرك ارميا العمشيتي سنة ١٢١٥ ، حيث ذكر دير قزحيا كأول كرسي أسقفي لاحبار الطائفة المارونية . ومنها سنة ١٤١٩ كانت وفاة الخوري جرجس الاهدني رئيس دير قزحيا ، فخلفه تلميذه القس يونان بن القس موسى المتريتي . وفي سنة ١٤٩٥ ، شاد القس بركات البقوفاوي محبسة مارمخايل بقرب قزحيا وسكن فيها ، كما اعتزل فيها جملة حبساء من أسرة الرزي من بقوفا . ثم خرب الدير والمحبسة معاً مع خراب جبة بشراي ، بسبب الاضطهاد الدموي وجور الحكام الشيعيين وذلك في القرن السادس عشر كما ذكرنا أعلاه .

وقزحيا لفظة سريانية معناها «كنز الحياة» ودير قزحيا اشتهر في البلاد المشرقية بافتعال العجائب والآيات وشفاء الامراض والمعترين من الارواح الشريرة من أية ملة ومذهب . فقد يؤمّه الزائرون من كل فج وصوب ومقام ، ويتباركون منه ومن محبسته المشهورة حيث أنه معدود من جملة الاماكن المقدسة . وقد جعله الرهبان اللبنانيون

---

٨) راجع تاريخ الدبس عن الموارنة ص ٢٠٣ ، والأب بليبل ص ٦٠ ، واللآلي ص ١١١ ، وانظر المجلد الأول من تاريخنا الرهباني ص ١٤٧ .

سنة ١٧١٩ مركزا لرئيس عام رهبانيتهم وعرفوا لشهرته « برهبان قزحيا » كما عرف الرهبان الحلبيون « برهبان اللويزة »[٩] .

وقال المطران فرحات في تاريخه المطبوع في المجلد الأول من تاريخنا الرهباني (ص ١٥١) : « في سنة ١٧١٢ . ابتدأ الرهبان الحلبيون بعمار محبسة ماربيشاي التي في جانب دير قزحيا . وكانت محبسة صغيرة خربة فعمّروها ووسعوها ،وثغروا فيها مغارة جعلوها كنيسة على اسم ماريوحنا الرسول . وعيّنوا مصروفات من يقيم في المحبسة على دير قزحيا ، كما وانها تابعة لهذا الدير ، ومن يقطنها يكون تحت طاعة رئيسه » .

وجاء في كتاب اللآلي للخوري قراعلي (ص ١٦٤) : « هذه المحبسة قديمة جدا جدّدها سنة ١٥٢٦ الخوري يوحنا المتريتي رئيس دير قزحيا . وزاد على مذبح بيشاي مذبحين آخرين . واضاف : « ان أول من دخل محبسة بيشاي كان فرحات بعد رجوعه من بلاد الغرب مع يوسف البتن ورفقائه . ويظن بالوقت نفسه ان الشاعر فرحات انشد هناك هذه القصيدة التي مطلعها :

الله الله انت السمع والبصرُ
في العاشقين وانت الفوز والوطرُ

هويتكم والهوى مني على كبرِ
يا حبذا والنها قــد زانـــه الصغرُ

وقال المطران فرحات في الموضع نفسه : « في سنة ١٧٢٣ ، اخلى الرهبان اللبنانيون ايضاً دير قزحيا ، بسبب جور الحاكم ، وزيادة طلب المال منه . ولكن بعد شهر من خروجهم ، رضي عنهم الحاكم ورفع الجور والظلم عنهم ، وغدا المال المترتب على الدير فقط خمسمائة وعشرين قرشاً وعشر شنابل حنطة ، ومثلها شعير ايضاً . فرجع اذ ذاك الرهبان الى ديرهم قزحيا كسابق العادة .

---

٩) راجع كتاب اللآلي المذكور ص ١١٤ .

وفي هذه السنة سيم القس جبرايل حوا مطراناً على جزيرة قبرص بوضع يد البطريرك يعقوب عواد عليه » .

٦ ـ دير ماربطرس ومرشللين بروما :

« كان الفضل الاكبر في تأسيس دير ماربطرس ومرشللين في رومه الايطالية سنة ١٧٠٧ للأب جبرايل حوا رفيق الرئيس عبدالله والأب يوسف البتن والمطران فرحات . ذلك أنه بعد ان استئذن البطريرك اسطفان الدويهي في السفر الى الخارج ، وودّع أخاه الأب الرئيس عبدالله قراعلي ، هجر الرهبنة الحلبية والوطن معاً سنة ١٧٠١ ، وقصد الى جزيرة مالطة لشراء مطبعةٍ يفيد بها الطائفة ، لاعتقاده بأن مشروعاً خطيراً كهذا ، وهو الأول من نوعه في الشرق ، يجني من ورائه نفعاً عظيماً ومكانةً كبيرة له وللرهبانية . وهذا ما حدث بالفعل . فانه واصل سفره من مالطة الى رومه العاصمة الكاثوليكية حيث قابل العلامة الكبير السمعاني صاحب المؤلفات الكثيرة والمقام المرموق في الفاتيكان . فعرّفه على رؤساء الدوائر الفاتيكانية الذين استخدموه في قضاء أمور كثيرة تتعلق بالشرق وبالمخطوطات الشرقية على اختلافها ، وقد نجح في بعضها . ومكافأةً على ذلك وهبه البابا اكليمندوس الحادي عشر صاحب الذكر الطيب والاثر الحميد هذا الدير سنة ١٧٠٧ . فكتب الأب حوا على الاثر الى الرئيس الأب عبدالله يخبره عن الهبة وغايتها التي تقوم بتلقين ابناء الرهبانية العلوم اللاتينيه وغيرها بقصد توجيههم الى الرسالة وخدمة النفوس في لبنان وخارجه ، والحّ عليه كثيراً بأن يرسل رهباناً الى رومه ليستلموا الدير وهو ملك للرهبانية ... » .

واليك أيها القاريء ما كتبه الأب الرئيس عبدالله قراعلي في مذكراته المذكورة ص ٢٥٦ بهذا الخصوص :

« وعند اواخر الصيف ارسلنا القس يوسف البتن الذي هو أول الرهبنة ، ومعه ابن أخته القس يوسف شاعين الى رومية لعند القس جبرايل حوا . وسبب ذلك كان ان القس جبرايل حوا

لما سافر الى رومية في سنة ١٧٠١ غاب نحو سنة ورجع الى الشرق وجاء لعندي في دير مارليشع ا فاستخبرته عن احواله . فأجابني أنه ذاهب الى مصر ، وقصّ عليّ قصته بتمامها في رومية قائلا : اني دخلت رومية وتباركت من سيدنا البابا . فسألني من اين انت ؟ فأجبته انا رجل ماروني من جبل لبنان ، من رهبان مار انطونيوس . فباركني وخرجت من عنده . وبعد ايام صار للبابا أمر لازم في مصر . فارسل طلبني ، ولما حضرت قدامه ، اخذ يسألني عن رهبنتي وعن كم دير عندكم ، فأجبته : نحن ثلاثة اديرة . قال : وكانت نيتي على دير مارت موره ، ومدرسة زغرتا ، ودير مارليشع بشري ، فقال لي البابا : لماذا لا يجيء رهبان منكم وتسكن في رومية مثل باقي الرهبنات ؟ فأجبته : اننا فقراء وليس لنا مكان في رومية . فقال لي البابا : اذهب الى مصر واقضي لي هذا الامر . فاذا رجعت فأنا اعمل لرهبنتكم ديراً في رومية . ثم قال لي الأب جبرايل حوا المذكور : وانا ذاهب الى مصر . فاذا رجعتُ الى رومية وصار لي الدير ، ارسل اليك فوراً كتابا بذلك . فترسل لي رهبان ليتسلّموه ، لأن كل شيء لي هو لكم ان احب الله » .

« هذا ومثله من الكلام الذي كلمني به القس جبرايل حوا في دير مارليشع ، وودّعني وسافر الى مصر . وكان كلامه عندي كالمنام . لكنه تمّ فيما بعد بالفعل . لأنه رجع من مصر الى رومية ، وتممّ عرَض البابا . والبابا ايضا اكمل قوله معه ، وابتنى له ديراً كان قديماً وكنيسة قديمة على اسم القديس بطرس ومرشللين الشهيدين بالقرب من كاتدرائية ماريوحنا لا تران . وبعد تمام بنيانه ، كما وقبل تمام بنيانه . لم يزل القس جبرايل حوا يراسلني من رومية بارسال الرهبان الى الدير . ويزعم ان الدير قد تعمّر باسمكم . ولا اريد شركة غيركم ، ولا غير قانونكم ، واكون انا تحت طاعتكم . وكلام ومكاتيب مثل هذا كثير الى هذه السنة التي كتب لنا ان العمارة قد تمّت ، فابعثوا الرهبان من كل بدّ . وسيدنا البابا امرني ان ابعث اطلب رهبانكم ، ولا اريد غير رهبانكم . وهذه المكاتيب هي باقية عندنا الى اليوم » .

« ولكن انا لاني تربّيتُ مع القس جبرايل حوا وعالم بطبعه

جيدا . ارتبت وشككت في كلامه لئلا يجادلنا ويفسخ الرهبنة . فأظهرتُ سريرتي الى الأخوة المدبرين ، فأغتاظ بعضهم مني وشكّوا بي شكاً قبيحاً ، لانهم تخيّلوا اني لا اريد شركة القس جبرايل لئلا يوجد في الرهبنة اكبر مني ، بما انه كان رئيساً قبلي » . وتابع قراعلي يقول :

١ ـ تسفير الرهبان الى رومه :

« فلما عرفت ظنهم ، وسمعت كلامهم ، وهم راغبون شركته ، اطلقتُ لهم ذلك وارسلنا القسيسين كما ذكرنا سابقاً ، وكتبت انا مكتوباً مستطيل الى القس جبرايل حوا ، مضمونه انه يدخل معنا بنية صالحة ، وينذر معنا النذر الرهباني . ويكون رئيساً على أخوته الواصلين لعنده ، مدة ثلاث سنين حسب القانون ، وابتهلتُ اليه كثيراً أن يستقيم بنيته الصالحة هذه ، ولا يجعل الناس تشمت فينا ولا يردّنا للمحاربة والهتيكة[١٠] . وبالحقيقة أن كل شيء توهمته بالمذكور (حوا) تمّ بالفعل فيه ، وصار كما يجيء شرحه في حينه . وقبل أن يسافر القسيسان الى رومية ، عقدنا مجمعاً لتغيير الرؤساء في شهر آب ، وقدّمناه قبل حينه لأجل الأخوة المسافرين الى رومية ، ليعرفوا قبل سفرهم من هم الرؤساء . لان زمن التعيين كان قريباً . فانتخبني المجمع الرهباني رئيساً عاماً مرةً رابعة . وفي اواخر هذه السنة (١٧٠٨) وصل القسيسان الى رومية ، وأئتلفوا مع القس جبرايل حوا المذكور » .

٢ ـ الأئتلاف والاختلاف :

وتابع الأب الرئيس عبدالله يقول في مذكراته (ص ٢٥٨) : « ولما دخلت سنة ١٧٠٩ ، وصلت الينا مكاتيب الأخوة من رومية مع

---

(١٠) نشرت هذا المكتوب وجملة مكاتيب أخرى في المجلد الأول من تاريخنا الرهباني ص ١٠٠ ـ ١٤٧ . وقد نشر كتاباً خاصاً عن دير رومية المغفور له الأب بولس مسعد في الاصول التاريخية مج ٢ فليراجع هناك .

مكاتيب القس حوا يذكرون فيها المحبة والسلامة بينهم . وانهم سالكين بموجب القانون بالتمام . ومنعوا النساء من دخول كنيستهم ، وانهم تحت طاعتنا بكل شيء وامثال ذلك . ثم كتب ايضا القس جبرايل يقول : اني تنزلت عن دير ماربطرس ومرشالين . وصار تصريفه بيد الأخوة وانا واحد منهم . وهذا خطي يشهد عليّ . فلما وصلت هذه المكاتيب الينا . سرّ خاطرنا كثيرا ، وشكرنا الله تعالى كثيراً . انما انا كنتُ انتظر خبر نذر القس جبرايل . وكنتُ خائفاً دائماً لعلمي أنه يستصعب عمل النذر . وهذا كان سبب خروجه اولا من عندنا » .

« وقبل ان تكتمل السنة . جاء الينا خبر من رومية ان القس جبرايل انفتن مع الرهبان . وتخالفوا كثيرا . عندئذ تذكر الأخوة المدبرين كلامي . ولما كانت سنة ١٧١٠ ، وصل الينا القس يوسف شاهين راجعا من رومية . واعلمنا بكل ما صار لهم مع القس جبرايل حوا . وصحّ القول ان المذكور لا يريد ان ينذر النذر الرهباني . لانهم لما طالبوه بالنذر . حسب وصيتي . اخذ يتعلّل عللاً باردةً . وقد استبان فعله معنا انه كان قاصداً قصداً خبيثا . وهو قصده الأول . اي أنه يسحب الأخوة . وان قدر . يسحب الرهبنة كلها الى رأيه . ويكون هو رئيسها . لانه دخل الى السيد البابا واقنعه انه يلزم لديره اناساً تعرف اللغة اللاتينية ، فيأخذ بعض الوظائف ويكون الدير معاشه من الوظائف التي بيدهم . ومن كلامه هذا ، صار البابا يقول للرهبان : أريد منكم اناسا يعرفون اللاتيني . ولم يكن البابا مطلعاً على نية القس جبرايل حوا ، ولهذا كان يتكلم بما لا يعلم ، لان رهبنتنا ليس فيها احد يعرف اللاتيني . ولا هذا هو غرضنا . انما القس جبرايل اشهر هذا الكلام حتى اذا خرج الرهبان من رومية لا يقع اللوم عليه ، بل يسنده على ان البابا لا يريدهم .

وتابع الأب الرئيس عبدالله يقول في مذكراته (ص ٢٥٩) :
« ومرات كان يقول لهم القس جبرايل حوا ، ان اردتم ان آتي انا اليكم بحلة من نذوركم ، وتكونوا تحت طاعتي ، لا تحت طاعة رئيسكم . وكلام كثير غير ذلك . وصارت بينهم مخاصمات عديدة

يطول شرحها . اعرضنا عن ذكرها ونتيجتها واحدة . وهي . ان القس جبرايل اراد ان يختلس الرهبنة الى رأيه بالجملة ، لكنه ما استطاع ، لان القسيسين اللذين عنده ما اطاعوه . ولشدة بأس القس يوسف شاهين التزم القس جبرايل حوا أن يرسله الينا (في لبنان) بعد ان عزم على حبسهم عنده ليصيّرهم رهبانه رغماً عنهم . اما القس يوسف البتن فما امكنه الوصول الينا . غير انه ارسل يستغيث بنا طالباً الخلاص مما هو فيه . فلما فهمنا نحن اخبار القس يوسف شاهين الراجع الينا ، حصلنا على الحيرة والندم على ارسالنا الرهبان الى رومية ، وصرنا نفكّر كيف نخاص القس يوسف البتن . وترجح عند الأخوة المدبرين اننا نرسل البعض من الأخوة لكي يتلافوا الامر بجهة من الجهات ، إما أنهم يتفقو مع القس حوا ، وإما انهم يفتتحون ديراً آخر برومية ، أو يخلّصون أخاهم القس يوسف البتن ويرجعون به الينا . وفي هذه السنة (١٧١٠) ظهرت الاخبار الرديئة عن البطرك يعقوب عواد ، واختبطت طائفة الموارنة ، وصار يرسل يأخذني لعنده ويستشيرني ويودع عندي ماله ، لانه كان بيني وبينه مودة ومحبة ... وكان يقضي لي اشغالي ... وكانت الامور الروحانية والكنائسية على خاطري ... وبعد عقد المطارين في كسروان مجمعاً ونزعوا البطرك عن درجته ، واقاموا مكانه وكيلاً على الكرسي مطران يوسف الشامي مطران بيروت وبعد مدة رسموا مجمعاً واقاموا بطركاً مطران صيدا ويعرف بالمطران يوسف الريفوني ... » .

٣ ــ سفر الأب فرحات الى رومه :

وتابع الأب الرئيس عبدالله في مذكراتـــه (ص ٢٦٢) يقول : « واجتمعت بالأخوة المدبرين ، وتذاكرنا بامور رومية ، واعتمد رأينا على ارسال ثلاثة أخوة ايضاً الى رومية لأجل أغراضنا السابق ذكرها . فارسلت القس جبرايل فرحات رئيس دير مارليشع ، ومعه القس يوسف شاهين الذي رجع من رومية ، والشماس بولس يونان ، وكان اصله روم وصار مارونياً .

« وبعد سفرهم افتتحنا ديرا في بلاد الدريب[1] في قرية القبيات ، وكان اصله ضيعة صغيرة ودثرت وتعرف بالسنديانة ، وسمّيناه **دير السنديانة** ، واقمنا عليه رئيساً القس جرجس من غوسطا ، ويُعرف من بيت القشوع . وبقي هذا الدير في يدنا نصف سنة ثم تركناه لجور الحكام . وفي مطلع سنة ١٧١١ ، وصل القس فرحات ورفقته الى رومية بالسلامة ، واجتمعوا بالقس حوا وبالقس يوسف البتن ، وسمعوا كلامهما . فظهر لهم غش وغدر القس جبرايل حوا بالرهبان . وكذلك اعتمدوا على ترك الأب حوا وديره بالتمام ، وعزموا على فتح دير جديد في رومية ، ان امكنهم ذلك ، فاطمئن خاطر القس حوا في ذلك . لانه كان يخاف مخاصمتهم . وكان المطران جبرايل حوا لا يريد ان يفتحوا ديرا غير ديره في رومية .

« وبقي حوا ما بين يدافع الرهبان ويلاطفهم يوما فيوما ، الى ان دعي من الحبر الاعظم للمضي الى جبل لبنان . وذلك ان الموارنة لما نزعوا البطرك يعقوب عواد من درجته البطريركية ، كما سبق القول ، واقاموا مكانه البطريرك يوسف مبارك الريفوني ، شق ذلك على البابا ، فكاتب رئيس رهبان مار فرنسيس الذي في القدس الشريف ان يتوجّه الى جبل لبنان ليرّد البطرك يعقوب الى كرسيه ، ولو ربع ساعة ، ثم ينزعه ، حتى لا يكون نزعه الا بأمر الحبر الاعظم الروماني ، وان امكن يرّده الى كرسيه البطريركي . ثم ارسلوا القس جبرايل حوا لانه ابن البلاد واللغة ليعينه على اتمام مقصده . فسلّم حينئذ الأب جبرايل حوا رئاسة ديره الى الأب جبرايل فرحات ، على انه ينتظره الى ان يرجع من الشرق . وبعد رجوعه يبقى يعملوا الاتفاق الواجب عمله ، وسافر الى جبل لبنان . وبعد سفر الأب حوا الى الشرق ، اراد الرهبان الحلبيون افتتاح دير آخر ، كما سبق القول ، ولما لم يمكنهم ذلك ، لاسباب حدثت من اناس ضدهم ، وصار القس جبرايل فرحات في ضجر واوهام كثيرة من رومية من قبل اعداء الرهبنة ، سلّم فرحات الدير بيد الخوري ابراهيم الغزيري الذي كان رئيس دير ماريوحنا رشميا بلبنان

---

(١) هو الدير السابع الذي انشأه الأب الرئيس عبدالله في عهد رئاسته العامة على الرهبانية الحلبية في جهات عكار .

سابقاً . وهذا الكاهن كان القس جبرايل حوا قد ارسل طلبه لعنده بسبب معرفته اللغة اللاتينية ، وكان يبغض رهبنتنا في رومية جداً . وكان قد قدم الى رومية لأجل قضاء بعض أمور تتعلق بالبطريرك يوسف الريفوني . فهذا منذ سلّمه القس فرحات الدير المذكور اخذ رهبانه والقس يوسف البتن وسار قاصداً جبل لبنان ، وترك بلاد الغرب وراء ظهره . وقبل وصولهم الينا ، عقدنا المجمع الرهباني العام لتغيير الرؤساء ، فانتخبوني رئيساً عاماً أيضاً ، للمرة الخامسة ، وذلك في العاشر من تشرين الثاني سنة ١٧١١ » .

٤ ــ رجوع الأب فرحات الى جبل لبنان :

وتابع الأب الرئيس قراعلي في مذكراته (ص ٢٦٣) يقول : « وفي سنة ١٧١٢ ، وصل الى عندنا القس جبرايل فرحات ورفقته ، راجعين من رومية . واخبرونا بجميع ما عرض لهم مفصلاً . فقلنا : والحمد لله على خلاصنا من القس جبرايل حوا ، وهجرنا فكرة رومية من عقلنا ، وقنعنا ببلادنا وحدها » .

وهنا لا بدّ لنا من مراجعة كلام العلامة جرمانوس فرحات في هذا الصدد[١٢] . قال : « ... امسك القس حوا على الأخوة الرهبان الذي سفّرهم لعنده الأب الرئيس عبدالله حسنة قداساتهم ، واخذ منهم ما كان باقياً معهم من المال لدى ذهابهم اليه أولاً ، وكان يثلبهم عند الرومانيين بأنهم عديمو الذمة والعقل ، وتكلم في عرضهم بالنقص ، وجعل نفسه رئيسهم غصباً عنهم ، ... ولأجل الاختلافات التي جرت بينه وبين الرهبان نقصت قيمته وقيمتهم عند البابا وباقي الرومانيين ... واشتدت التجارب على الرهبان في رومية بسببه كثيراً ... والذي يتحقق من هذا النص ان الذنب يقع على القس جبرايل حوا ، لستة اسباب :

« **الأول** : انه هو سطى على الرئيس العام عبدالله ، وطلب

---

١٢) راجع المجلد الأول من تاريخنا الرهباني ، ص ١١٣ .

منه بمزيد الالحاح رهبانا بقوله : « ان البابا عمّر الدير لكم في وقت لم يكن يدور في بالهم دير رومية ولم يطلبوا منه ذلك . ولو عرفوا ان الامر يجري على هذا المنوال لما كانوا جاؤوا الى رومية . **الثاني** : انه لم يرسل يقول لهم أن البابا يريد اناسا عارفين باللغة اللاتينية . فلو عرفوا هكذا لما اتوا الى رومية . **الثالث** : أن الرهبان لدى وصولهم الى رومه وعرضهم عليه شروط رئيسهم الأب عبدالله وكتابته لم يصرّح لهم شيئاً في ذلك الحين يشيرا الى عدم قبوله بها . ولو اجاب اولاً بعدم قبول الشروط . واظهر افكاره كما قال اخيرا . اني اريد ان من يكون عندي يقتضي أن يكون بخاطري . ولا يعود يعرف احدا غيري . لكان الرهبان رجعوا من حيث اتوا . دون ان يتعرفوا اليه . ويتعرضوا الى الامتهان بسببه . **الرابع** : انه لم يعد يقدر ان يطيع احداً . ولا ان يغيّر السلوك الذي طبع عليه . كما اخبر هو نفسه عن نفسه . **الخامس** : أنه كان في نيته ان يخرج الرهبان من طاعة رئيسهم العام . جاعلا اياهم تحت طاعته لقوله لهم : انا اعرض لسيدنا قراسة البابا حتى يحلّكم من نذركم . **السادس** : ان الدير تعمّر على اسمهم . والعلافة صارت لهم . وهو اختلس ذلك جميعه بغير حق . لكن الله لا يضيع حقنا » .

وتابع المطران جرمانوس فرحات شرحه عن ديرنا ماربطرس ومرشللين برومه عدة صفحات يمكن القاريء الكريم ان يطلع عليها ، وعلى عدة رسائل كتبها بهذا الخصوص الأب توما اللبودي في تاريخنا الرهباني . المجلد الاول من صفحة ١١٥ لغاية ص ١٣٣ .

٧ — دير ماربطرس كريم التين بيت شباب :

فهذا الدير كائن في خراج بلدة بكفيا لجهة الشمال ، تحت بلدة بيت شباب التي سمي باسمها . وسمي كريم التين لكثرة التين والكرم في اراضيه . وهو يشرف على وادي الصليب العظيم وعلى البحر الازرق . فضلاً عن الجبال والقرى الكسروانية المتبعثرة هنا وهناك ، تحيط به اشجار الصنوبر والسنديان والعفص وما اليها

إحاطة الهالة بالقمر مما يزيد في جماله وبهائه وسكينته الداعية الى التأمل والصلاة(١٣) .

وقال الأب عبدالله قراعلي في مذكراته (ص ٢٦٤) : «لقد افتتحنا سنة ١٧١٢ ، دير ماربطرس وبولص في قرية بكفيا المعروف بكريم التين . وكان هبةً لنا من المطران يوحنا حبقوق الذي كان سابقاً قد سلمنا دير قزحيا . وكان هذا الدير مزرعةً صغيرة ، فيها بيتان فقط من غير كنيسة وقلالي للرهبان ، فابتنينا فيه كنيسةً صغيرة على اسم السيدة العذراء مريم ، وبعض لوازم الرهبنة . وكانت النفقة بعضها من مال المطران يوحنا المذكور ، وبعضها من مالنا . واقمنا عليه رئيساً القس جرجس قشوع الغسطاوي » .

وقال المطران فرحات بهذا الخصوص ما يلي : « في سنة ١٧١٢ ، اوهب المطران يوحنا حبقوق الى الرهبان الحلبيين اللبنانيين ديراً على اسم ماربطرس الملقب بكريم التين ، في بلاد كسروان ، في قرية بكفيا ، وهو دير متجدّد حديثاً . ولما أوهبهم اياه لم يكن قد شيّد كنيسته وقلاليه . فتسلّموه على هذه الصورة ، أي بيتاً بسيطاً على هيئة بيوت القرويين . وكان اذ ذاك القس عبدالاحد رئيساً عاماً . فعمروا فيه بعض قلالي وكنيسةً صغيرة ، على سبيل التوقيت ، ووضعوا فيه رهباناً ، وأقاموا عليهم رئيساً القس جرجس القسوع من قرية غوسطا . وقد اشترط المطران المذكور من الرهبان ورئيسهم أن يبقى هو عندهم في الدير ، مما يلزمه من المصاريف . فرضي الرهبان بهذا الامر . ولكنهم قد ارتكبوا غلطةً فاضحة بهذا القبول . لان مساكنة الرؤساء لا تناسب الرهبانية من جهات كثيرة ، عاقبتها السجس والدمار ، وهكذا كانت نهاية هذا الامر ايضاً : وهذا ما أثبتناه هنا لتعتبروا ايها الرهبان ، وتكونوا على حذر ، ولا تعاشروا رؤساء الكهنة اصلاً ، ولا تساكنوهم ولو كان أصلهم من رهبانيتنا . لان المطران المذكور قد سكن الدير مع الرهبان ، زهاءَ اربع سنوات . ثم انحرف ضدهم ، واسترجع الدير منهم ، وطردهم منه ، بمساعدة البطريرك يعقوب

١٣) راجع تاريخنا الرهباني المجلد الأول ص ١٥٣ .

عواد ، الذي كان يبغض الرهبان جدا . وكانت الرهبانية قد خسرت على هذا الدير ما ينيف عن الف قرشاً اصلاحاً وترميماً واثاثا وتنظيماً » .

« غير ان المطران الموما اليه ، عند آخر حياته ، اراد ان يخلّص ذمته ، فأوصى ابن اخيه القس سمعان حبقوق ان يردّ الدير المذكور الى الرهبان ، ففعل واتمّ الوصية ، وهكذا عاد الرهبان الى الدير ، واستملكوه ثانية ، وكان ذلك في سنة ١٧١٨ ، وجملة ما انفقت الرهبنة على هذا الدير بلغ ٤٥٦٧٠ قرشاً . وفي سنة ١٧٢٤ ، عمّر الرهبان كنيسة كبيرة على اسم ماربطرس القديس العظيم في دير ماربطرس كريم التين من مالهم الخاص[١٤] .

وهنا تجدر الاشارة الى القول بان الرهبنة انشأت عام ١٧٢٥ ، بالقرب من الدير ، محبسة أقام فيها على التعاقب حبساء متعددون نشروا عرف قداستهم في كل الاقطار اللبنانية . ولما تداعت سنة ١٨٩٤ ، اهتمّ بتجديد بنيانها وتوسيعها الحبيس المشهور الأب عبدالمسيح الحايك الشبابي . فجعلها اربع غرف ، وامامها ممشى وكنيسة جميلة صغيرة ، وبقي مستحبسا فيها الى ان توفاه الله برائحة القداسة عام ١٩١٧ . ومن بعده استحبس الأب سرابيون العكاوي وتوفي عام ١٩٢٧ . وقبل هذين الحبيسين ، اقام في المحبسة هذه الأب انطونيوس البطحاوي من بيت مبارك الذي توفي في الحادي عشر من تشرين الأول سنة ١٧٤٠ . ثم الحبيس الثاني الأب افرام باسيل الاهدناني الذي توفي في ١٧ آذار سنة ١٧٨٢ ، ويروى انه حين وفاته قرع جرص الدير من ذاته قبل نصف الليل بساعة واحدة . والحبيس الثالث الأب حنانيا القليعاتي الذي توفي في أول تشرين الأول سنة ١٨٤٨ . ثم الحبيس الرابع الأب لورنسيوس حيمري الديراني الذي توفي في ٢٩ شباط سنة ١٨٨٠ . والحبيس الخامس الأب مبارك العلماوي المتوفي في ٢٣ كانون الثاني سنة والحيس السادس الأب عبدالمسيح كـرم الشبابي السالف

---

١٤) وهنا جاء في كتاب اللآلي للخوري بولس قراعلي ص ٢٣٥ أن الرهبانية وسّعت هذا الدير ايضاً في سنة ١٧٢٧ ، وكان المعلمون البتّاؤون كلهم من الرهبان .

الذكر . والحبيس السابع هو الأب سرابيون العكاري الذي ذكرنا اعلاه . ومن بعد هؤلاء الحبساء الذين ذكرنا بالفخر والاعتزاز لم يستحبس احد ليومنا هذا[١٥] .

٨ ـــ العيشة الانفرادية :

كان الأب عبدالله الرئيس العام على الرهبانية الحلبية الجديد ينشيء الاديار والمراكز كدير مار ليشع ، ورشميا ، وصير . واللويزة وقزحيا . ومار بطرس ومرشللين برومه ، ومار بطرس كريم التين ودير السنديانة في عكار ، لكثرة الاقبال من العلمانيين عليه طلب للعيش في الاديار عيشة رهبانية تأملية منتظمة . يمارسون فيه وفقاً للقانون الصلاة ، والتأمل . والاماتات ، والاصوام الاختيارية والعمل اليدوي وغيرها . لكن « البعض من الأخوة الكهنة ، يقول الأب عبدالله[١٦] ، تحرك قلبهم لطلب السكوت والانفراد ، وهذ كانت شهوة المرحوم القس يوسف البتن ، فطاوعتهم الى ذلك . وافردتهم الى مكان في وادي قزحيا . أحدهما شيخ ويعرف بابن شوشان . والآخر شاب ويعرف بابن مبارك . وقد ضيقت عليهم القانون اكثر مما هو في الدير . وسلمتهما الكرم الذي هو امام محابسهما ليعملاه ويقاتلا الضجر . وميزاتهما قلاية جعلوهما كنيسة على اسم مار پولا أول الحبساء والمنفردين . وكان معاشهما من دير الأخوة في مار ليشع عوض تعبهما في الكرم » .

٩ ـــ اعمال الأب العام عبدالله العمرانية الزاهرة :

بعد شرحنا لهذه الاعمال العمرانية الزاهرة التي اتاها الأب الغيور والرئيس النشيط المحب . عبدالله قراعلي ، في مناسبة افتتاحه الاديار السبعة التي ذكرناها ، وقد قام رحمه الله بها في

---

١٥) راجع كتابنا عن ترجمة الآباتي جبرايل الشمالي الرئيس العام ، ص ٢٣ .

١٦) اقرأ مذكراته ، في المجلد الثالث من تاريخنا الرهباني ، ص ٢٦٨ .

عهد رئاسته العامة التي تجدّدت له عفوا سبع مرات متتالية ، منذ سنة ١٧٠٠ لغاية سنة ١٧١٦ التي فيها ارتقى ، قهراً ، الى الدرجة الاسقفية ، نتأكد بزيادة مما كان عليه الأب عبدالله من حكمة وحنكة ، ونسك وصلاة ، وتقشف واماتات ، ومثابرة على العمل في حقل الرهبنة التي كان يحبّها كثيراً ويضحي في سبيلها الغالي والنفيس ، وننتقل الى ذكر ما كتبه عنه تلميذه المخلص الأب توما اللبودي الحلبي في سيرة حياته الرهبانية[١٧] . قال :

« كان الأب عبدالله من حيث **صلواته** الفعلية يصلي على بكرة ساعة ، وبعد صلاة السواعي نصف ساعة ، واما هذيذه فكان متصلا ، وقد امتثل به جملة من رهبانه ... وكان في كل ليلة تلاميذه يمضون ويكشفون له افكارهم وما يعرض لهم من صالح وطالح . وكان بعد ذلك يعطي لجسمه راحةً في الرقاد ا وهو جالس الى نصف الليل ... وكان يبتدي الصلاة الفرضية بهدؤ مرتلا بنوع خشوعي . وبعد خلوص صلاة الليل كان الرهبان يمضون الى مراقدهم ، اما هو فكان ينتصب في الكنيسة للصلاة امام المذبح الى وقت صلاة الصبح ، حيناً جاثيا ووقتاً واقفاً ... وحين يقرع الناقوس صباحا لصلاة بكره كان يخرج من باب قلايته العام لئلا احد يعرف عمله الروحي ، واستمرّ على هذا العمل اكثر من سنتين حتى لا يعرف أحد بعمله ...

« ومن حيث **نسكه** ، فكان يأكل كل اربع وعشرين ساعة مرة في العشاء . وكان يمتنع عن أكل كل شيء يستلذه ... ومن حيث ضنك جسمه فكانت ركبه قد تكلكلت من ركوع المطانيات ... وكان مجتهداً على قمع جسده ، وضبط حواسه ... كانت غيرته على حفظ الطهارة تفوق عقلي على وصفها ... فهذا المغبوط كان مفعما من الله حكمة وافرازاً ونسكاً ، وكان محبوباً من كل من يراه ، ومهيباً من كل من يواجهه ومعتبراً ... وكان كل مرة دعي لاستلام دير جديد ، يستشير اولاً الآباء المدبرين حسب رغبة التوانين لاعطاء المثل الصالح ، ثم بطلب من المواهبين اثباتات شرعيةً تضمن للرهبنة

---

١٧) راجع المجلد السادس من تاريخنا عن سيرة الأب عبدالله تراعلي ، ص ٣٠٤ .

حرية التصرف به ، حسب الاصول . وكان يعمد بعد ذلك الى ترميمه وتوسيعه وتعيين الرهبان الذين سيسكنون فيه مع الرئيس الملائم ... » .

— وهنا نستطيع القول فضلاً عما شرحنا ، بأن **هذا الازدهار العمراني** الذي احرزه الأب الرئيس عبدالله لا ينحصر في رهبنته الحلبية الجديدة ، بل قد **امتدّ الى مختلف الرهبانيات الشرقية ،** وهي اولاً الرهبنة الانطونية لمار اشعيا برمانا ، وثانياً الرهبنة الباسيلية الحناوية المنقسمة الى اثنتين كرهبانيتنا ، اي الباسيلية الشويرية والباسيلية الحلبية . ثم الارمنية الانطونية ، والكلدانية الانطونية وغيرها ، وهذه كلمة وجيزة عن كل واحدة منها ، نقلاً عن كتاب اللآلي للؤرخ الخوري بولس قراعلي ، ص ٧٩ هكذا :

اولاً : الرهبنة الباسيلية ، المنسوبة الى القديس باسيليوس الكبير . والمعروفة قديماً بالحناوية ، والمنقسمة الى شويرية وحلبية . فهذه ظهرت للوجود في سنة ١٦٩٧ ، تحت اريج الصنوبر ، ووريف ظلاله ، وحفيف اوراقه في دير القديس يوحنا الصايغ المعروف بالطبشي بقرب ضهور الشوير في المتن . كان مؤسسوها ورهبانها الاولون حلبيين ، اشهرهم رئيسهم الخوري نقولا الصايغ صاحب الديوان المعروف باسمه والتأليف الروحية والادبية ، والشماس عبدالله زاخر مؤسس المطبعة الشويرية وصاحب الكتب التي ناضل فيها عن صحة المذهب الكاثوليكي . وهما من تلاميذ العلامة المطران فرحات ، وقد اتخذا دستوراً لهما ولرهبنتهما قوانين رهبنتنا الحلبية اللبنانية منذ نشأتهم حتى سنة ١٧٤٨ ، التي فيها تبعوا قانون القديس باسيليوس العظيم . وهذه الرهبنة الملكية انقسمت سنة ١٨٢٨ ، الى حلبية وشويرية .

ثانياً : راهبات البشارة الملكيات : يقول الخوري بولس قراعلي في لآلئه ص ٨٠ بهذا الخصوص ما يلي : « في سنة ١٧١٩ ، حرّك الله قلوب ثماني عذارى حلبيات من طائفة الروم الكاثوليك للسلوك في طريق العبادة ، والصوم ، والطهارة ، فقصدن الى لبنان محجة العبادة ، فأعطاهن الشيخ موسى الخازن محلاً في زوق ميكايل ،

حيث شيدن ديرا على اسم بشارة العذراء مريم . وكتب المطران مكسيموس اسقف حلب حججا مؤداها أن يكون هذا الدير تحت ارشاد رهبان ماريوحنا الصايغ وادارتهم . فسلكت هذه الرهبنة مدة حسب قوانين الرهبنة الحلبية المارونية . ولكن الآباء اليسوعيون الذين كانوا في مدرسة عينطوره على مقربة منهن رغبوا في تسلم شؤون الراهبات ، ووضعوا لهن قانوناً مؤلفا من رسوم القديس فرانسوا دي سالس اليسوعي وسموه قانون القديس اغوسطينوس ...

ثالثاً : رهبنة مار اشعيا الانطونية :

شرح هذه الرهبنة الأب عبدالله في مذكراته (ص ٢٥٠) بوجيز العبارة قائلا : « وفي هذه السنة (١٧٠٥) اخذ قانوننا الرهباني الخوري سليمان المشمشي الذي كان رئيسا على دير طاميش . ولرغبته بالقانون ترك دير طاميش برضى رئيسه المطران جبرايل البلوزاوي وسكن دير مار اشعيا مع من تبعه من الرهبان ، وسلكوا بالقانون مثلنا ، وما صعب منه عليهم كانوا يأخذون فيه مشورتنا . وبقوا عليه حتى الآن » . وقد نشر العلامة السمعاني قانون الرهبنة الانطونية بناءً على طلب رهبانها وهو قانون الرهبان اللبنانيون بعينه . ولكن في سنة ١٧٣٩ تدخّل المطران الياس محاسب الغسطاوي في شؤون هذه الرهبنة الانطونية وحمل بعض رهبانها على نبذ هذا القانون الحلبي ، والسير على حسب قانون القديس اغوسطينوس ، وحصل بين أبناء الرهبانية خلاف ...

رابعاً : رهبنة الارمن : قال المطران فرحات في تاريخه الذي نشرناه له في المجلد الأول من تاريخنا الرهباني انه « في سنة ١٧٠٨ ، اتى الى دير مار انطونيوس قزحيا شابان من طائفة الارمن الكاثوليك يدعى احدهما يعقوب ، والآخر يوحنا ، وارادا ان يتمرنا على الحياة النسكية والعيشة المشتركة ، ويتعلما السيرة الرهبانية ليتسنى لهما ان ينشأ رهبنةً لطائفتهما . ومكثا في الدير المذكور عشر سنوات لغاية سنة ١٧١٨ . ثم انضمّ اليهما شابان آخران

وهم ميناس وابراهيم وهما من حلب ايضا . فأسسوا رهبانية الارمن في دير المخلص في وادي الكريم ، وتبعوا قوانين وفرائض رهبانيتنا المارونية الى اليوم ... » .

وفي سنة ١٨٦٥ ، باع هؤلاء الرهبان دير الكريم الى المطران يوحنا حبيب مؤسس المرسلين اللبنانيين الموارنة ، وانتقلوا الى دير بزمار الذي اصبح مركزاً لبطريركهم ومدرسةً لاكليرسهم ...

خامساً : الرهبنة الكلدانية : كان قانوننا الرهباني دستوراً للرهبنة الكلدانية ايضاً ، فقد حمله الأب جبرايل دانبو مؤسسها الى بلاد الموصل ، بعد ان قصد لبنان ودخل بعض اديارها ليتمرّن على عيشة الزهد الرهبانية ، وتدبير شؤون رهبانها مدة ثلاث سنوات ، ورجع سنة ١٨٠٣ الى بلاده ، حيث رممً ديراً قديماً بالقرب من الموصل على اسم القديس هرميزدا وسكن فيه ووافاه كثيرون من الراغبين في العيشة الرهبانية معه . وتبعوا قانون رهبان الموارنة ... » .

وهكذا كانت الرهبنة المارونية الحلبية الأولى في الشرق منشاءً لجملة رهبنات شرقية غيرها أخذت قانونها المرتب ، وسارت بموجبه الى ان انشأت دستوراً خاصاً بها ملائماً لعاداتها وأخلاقها فسارت عليه الى الآن .

١٠ ـــ سيرة الأب عبدالله المثلى امام رهبانه :

ما كان المؤسس الأب عبدالله قراعلي ليكتفي بأن يسوس رهبانه بسلطته الابوية الحكيمة الكاملة ، كما رأينا لحد الآن ، بل كان كالمصباح الساطـــع امامهـــم ينير لهـــم السبيل ، ليمشوا وراءه مستضيئين بنوره الوضاح ، كما قال لنا الرب في انجيله الطاهر : امشوا في النور لئلا يدرككم الظلام فتقعوا في الحفر والمهاوي . بل كان كالقائد الشجاع الفطن يلهب منهم القوى بمواعظه وارشاداته ومثله الصالح النقي . واننا نعرف أعماله المثالية من اعمال رهبانه

الاولين . اذ من ثمارهم تعرفونهم . ومن الشهادات المباشرة عن سيرته الشخصية تدركون مناقبه وصفاته » .

اما الرهبان الاولون . فقد مدحهم المطران فرحات في تاريخه الرهباني قائلاً : « انهم كانوا حريصين جدا على حفظ القانون ، وكانوا بالطهارة غنيين جدا . وقطعوا كل سبب يوذيها . ومنعوا النساء من دخول اديرتهم قطعاً لكل سبب . ولم يكن راهب منهم يذهب دون رفيق » . ومن جهة الفقر ما كان احد يقول ان ثوبه هو له او يستقني شيئا خاصاً في قلايته . . . واذا شعر احدهم ان اخاه مغتاظ منه كان يسجد امامه ويطلب منه المغفرة . . . » .

وزاد الأب توما اللبودي في كتابة سيرة الاب عبدالله على ما قلنا ما يلي[18] . « لما دخلت الرهبانية وكان ذلك في ١٠ آب سنة ١٧٠٦ . رأيت كل ذلك بنفسي . . . فلننظر ماذا رأى هذا التلميذ الوفي ؟ . . . رآه يتقشف باكله . بنومه . بحركاته وحياته . كان يعطي جسمه راحة في الرقاد وهو جالس الى نصف الليل مسندا ظهره الى الحائط . . . كان ياكل كل ٢٤ ساعة مرة في العشاء فقط . . . و لهذه الاعمال ضعف جسمه حتى اعجزه يوما عن رفع ثلاثة ارطال بيديه . . . فلو اردت ان اوضح كل شيء بالتدقيق لطال شرحه علي . لكني رأيت من الانسب ان أبيّن عن فضائله التي اقتناها بنعمة الله وجهاده . وذلك لاتمم شوره ونصح من هو ذو فطنة وعقل وتمييز ابلغ مني فاقول **أولاً الفطنة** التي وهبها الله الى أبينا عبدالله كانت تفوق عقول الكثيرين . والأولى ان اقول انه بذلك كان فريد عصره . واريد ان ابرهن لك عن ذلك بقليل من الخطاب أيها القاريء . **أولاً** رشده للمبتدئين كان يفوق عقول السامعين . والرهبان الذين تقدموا في الفضيلة والزمان عن غيرهم فكان يرشدهم كرشد الآباء الاقدمين وكان رشده للديورة المشتركة شبيهاً بمار انطونيوس ، ورشده للحبساء شبيهاً بالقديس اسحق ورشده للعوام سوف يظهر من بيانه وهو مطران كما سترى . . .

---

١٨) راجع المصدر نفسه في الموضع عينه .

« وكانت **صلاته العقلية** اربع ساعات في الليل والنهار ما عدا الهذيذ المتصل ... وحبه للرهبان كان فريداً ... وطاعته للرؤساء كانت فريدة ايضاً ... واما طهارته فهي نفس طاهرة في جسمٍ ميت ... وكان عدواً للكذب والنفاق ... واما فضيلة ايمانه ورجائه في الله فكانت تفوق ادراكي واقر معترفاً بأني عاجز عن التبرهن عليها لضعفي ... » .

وبالنتيجة يمكنا القول ان الأب عبدالله الراهب والأب العام ثابر على هذه السيرة الرهبانية الطاهرة ، النقية ، الكاملة . التي شرحنا في ما كتبناه لغاية الآن ، حتى رقي الى الدرجة الاسقفية الرفيعة ، وذلك في ١٧ أيلول من سنة ١٧١٦ .

وشهد الأب اليسوعي بتيكوه الذي زار دير قزحيا سنة ١٧٢١ وكان المطران عبدالله هناك ، فتعرّف على مترجمنا قال : « يسكن في هذا الدير ثلاثون راهباً بينهم اثنا عشر كاهناً ويقيم فيه مؤسسهم الاسقف عبدالله الرئيس الأول عليهم قبل تسقيفه ، والذي قبلنا ببشاشة عظمى ، ان هذا الاسقف يحيا في هذا الدير حياة قراسة كابسط الرهبان ، وعيشة رهبانية أضيق عيشتهم الشظفة ، ولا يتميّز عنهم الا بثوبه البنفسجي[١٩] » .

---

١٩) راجع اللآلي للخوري قراعلي ص ١٦٣ ، وانظر الأب موراني في المصباح الرهباني ص ٢٣ .

الفصل الرابع

سيامة الأب عبدالله اسقفاً في الطائفة واعماله الاسقفية المتعددة :

١) تمهيد :

قبل ان نباشر الكلام على الرسامة الاسقفية ، نرى من الضرورة بمكان ان نبيّن المناسبة التي دفعت السيد البطريرك يعقوب عواد الحصروني الى انتخاب الرئيس العام الأب عبدالله قراعلي مطرانا على الطائفة المارونية ، وبعد الرسامة « انا وانت معاً نراسل المجمع المقدس وندافع عن الرهبنة ضد المشتكين عليها[١] » . ذلك كما قال قراعلي : « لأنه في اول أيلول وصل ليدي امر من المجمع المقدس بأبطال قانون رهبنتنا والرجوع الى قانون الموارنة القديم . لأن الجديد ، كما زعموا ، قد صار من غير اذن الرؤساء ومع الامر كلمات يوبخني بها المجمع المقدس . فلما قراته ملياً وتفهمّت كلامه ، تعاظم عليّ الغيظ والحزن كثيرا ، وكتبت جواباً أظهرت فيه كذب المشتكين علينا للمجمع ، وبيّنت له ان الموارنة ليس عندهم قانون رهبنة قديم ، وان هذا الجديد الذي جمعناه من كتب الآباء الاقدمين ، وقد وتمّ بأذن رؤساء الكنيسة من بطاركة ومطارنة ، وقد ارسلت من الجواب هذا صورة تثبيت القانون من السيد البطريرك المرحوم اسطفان الدويهي » .

---

١) هذا الكلام قال البطريرك للأب العام كما ورد في مذكرات الأب عبدالله ، ص ٢٦٩ من الكتاب التاريخي الثالث .

وتابع الأب العام عبدالله كلامه عن الرسامة في مذكراته (ص ٢٦٩) قائلاً :

« وقبل ان ارسل هذا الجواب الى المجمع المقدس ، سرتُ انا الى عند البطرك عواد وعاتبته عما اشتكى به علينا ، فنكر غبطته وقال : « ان هذا عمله غيره ولكنه بعلمه » . وبعد معاتبات ومخاطبات جرت بيني وبينه ، قال غبطته : « اريدك ان تطيعني حتى ارسمك مطراناً ، وبعده انا وانت معاً نراسل المجمع المقدس وندافع عن الرهبنة ضد هذا الامر » . وزعم قائلاً : « انت ملزوم ان تطيعني بذلك ، لأني آمرك بأمر الطاعة » . فأجبته قائلاً : « اريد ان استشير العلماء بذلك ، وكيفما أشاروا عليَّ ، افعل براحة ضمير » . ثم افترقت منه على مثل هذه الحال . واتيت الى اللويزة وتكلمت مع الرهبان فيه ، لأن السيد البطريرك كان وقتئذٍ في كسروان ، وترجّح الرأي بين الرهبان في اللويزة اني اطيع السيد البطريرك ، واقبل منه درجة المطرانية ، خوفاً منه ، لئلا يغتاظ من الرفض ، ويشهر منع القانون الذي جاء من رومية ، ويرعب قلوب الرهبان السذّج ، ويفتن ما بين الديورة ، ويخرّبها بشكل المنتصر لأمر رومية والمجمع المقدس .

« فاستولت الجبانة عليَّ ، وذبحتْ قلبي ، ولم يكن لي تسلية البتة ، ولم اعرف أن ادّبر نفسي بفعل الرجاء والاتكال على الله ، وانه هو تعالى الذي يميت ويحيي ، وينزل عن الكراسي ، ويقيم من المزبلة ان شاء لأنه هو كلي القدرة . ولا صار لي ايضاً من يشجعني في وقت محنتي هذه ، بل كنت افكّر أن البطرك صار يشهر الخبر للكل بأن القانون بطل ، بأمر رومية ، ويجتهد على بطلانه . وكانت ايضاً محبة الرئاسة تلعب بعقلي ، وتدفعني عن اتعاب النسك والمخاصمات الخاصة ، فمن قبل ذلك اسلمتُ ذاتي لرأي السيد البطريرك ، وقبلتُ منه درجة الاسقفية في اليوم السابع عشر من أيلول سنة ١٧١٦ ، وكنتُ ارى ذاتي ما بين حزين وفارح : حزين لفرقتي أخوتي الرهبان وقانوني ، وفارح لحمايتي لهم مع ملامسات المجد العالمي ورفعة الدرجة والعتق من ضيق القانون ، وامثال هذه الآمال المستقرة في حسن النفس » . . .

٢) قبل الرسامة :

ان السيد البطريرك يعقوب عواد ، بعدما تحدّث مع الأب العام قراعلي بشأن سيامته مطراناً على الطائفة معاوناً له في البطريركية الانطاكية ، لاسباب شخصيةٍ لم يظهرها للعيان ، وشعر منه بعدم قبول هذه الدرجة الاسقفية السامية ، مفضّلاً بقاءَه رئيساً عاما على الرهبانية مع أخوانه الرهبان حيث يعمل خيرا كبيرا مع الرهبان ومع العلمانيين على السواء ، أمره بأمر الطاعة المقدسة ان لا يبارح دير سيدة اللويزة اطلاقاً . وأوعز غبطته الى مشايخ عجلتون الخوازنة ، مريديه وابناء أبرشيته ، « أن يحرسوه في اللويزة لئلا يهرب » . فأحاطوا الدير المذكور بالرجال المسلحة ، ثم حملوه الى عجلتون وهو يبكي ويستغيث ، واقاموه بحضرة البطريرك ليرسمه مرغماً . ولما اشترط عليه اسقف حلب امرا تافها[٢] تمسّك الأب العام وصاح قائلاً : « لا امضي ولا ارتسلم » ، ولم يسلم قدسه بالرسامة الاسقفية الا لما رأى الخلاف يدّب بين المشايخ ، والفتنة تتفاقم ، والسلاح يلعلع ، والحزبين يتحفّزان لمعركة دامية . بعدئذ امره البطريرك امراً قاطعاً أن لا يبارح دير اللويزة الى ان يأتيه خبر منه قائلاً له : « أريد ان ارسمك مطراناً فتكون عندي لتدبير الطائفة » . فنزل عبدالله الى دير اللويزة منتظراً الخبر من السيد البطريرك .

والجدير بالذكر ان مشايخ عجلتون الخوازنة كانوا في تلك الايام طالبين مطرانا ، لأن مطرانهم يوسف الشامي كان قد توفي الى اخدار الله . وبعد ان توَجه الأب عبدالله في ذاك النهار الى اللويزة ، ارسل البطريرك الى مشايخ عجلتون واخبرهم ان مراده ان يرسم عليهم مطراناً جديداً بدل المتوفي ، الرئيس العام عبدالله قراعلي الحلبي ، وان المذكور نزل الى اللويزة . فارسلوا من قبلكم اناسا يحرسوه لئلا يهرب ، وهكذا صار .

« ففي تلك الليلة نزل احد المشايخ ومعه رجال مسلحون وقعد

---

٢) راجع كتاب اللآلي لقراعلي ص ٢٢٥ .

في الدير المذكور . ولما استحسن الأب العام عبدالله ان ما بقي فيه مهرب ، ورأى رهبنته مضروبة ضربةً قاتلة ، وعرف ضمير البطريرك ونيته ، وما بقي له مناص ولا مهرب ، التجأ الى الصلاة في الكنيسة ، ودام على ذلك ثلاث ايام صائماً مصلياً . أخيراً اعتمد على عمل طرائق الآباء عند اضطرابهم . فكانوا يلتجئون الى درع التواضع بطلب المشورة من غيرهم . والحال ان ما كان عنده في ذلك الوقت احد من اعيان رهبنته حاضراً في ذلك الدير ، لأن الدير كان بعده في ابتدائه بمنزل منزل . فأرسل طلب المرسلين القريبين اليه كالآباء اليسوعية (كانوا في مدرسة عينطوره) وغيرهم من المرسلين ، واعرض القضية بين يديهم وطلب منهم المشورة الواجب عملها ، وسبب طلبه للمرسلين بالعجل ، لأن البطريرك كان أرسل له امراً ثانياً في التوجه الى عنده . والذين جابوا الامر كانوا من المشايخ ومعهم رجال خلاف الذين كانوا في الدير . فلما رأى كثرة المشايخ والرجال في الدير ، طلب منهم مهلةً للمشورة .

« فالمرسلون بعد ان فهموا كل شيء منه ، حكموا عليه بأنه ملزوم ان يطيع ، وأنه بطاعته يرضي الله ، وينفع رهبنته . لانه حين شاورهم اجتمعوا مع بعضهم ، وبعد المفاوضة ، كانت اكثر راياتهم ان هذه الطائفة محتاجة الى رئيس كهنة مثل هذا . واما الرهبنة فغيرها اناس كفوء لتدبيرها وحمايتها وخاصةً بسيرتهم الصالحة ، حاشا الله ان يتخلى عنهم . هذا ما كان يتكلمه المرسلون علانيةً امام الغير ، وكانوا يوصّون المشايخ ليأخذوه ويرسموه بالعجل . وناهيك عن فرحة اولئك المشايخ . والمرسلون والعوام كانوا ايضاً فرحين ومتهللين .

« اما عبدالله والرهبان القلال الذين في اللويزة فكانوا في البكاء والنواح والصراخ بهذا المقدار حتى ان كثيرين من المشايخ والمرسلين وغيرهم ابتدأوا ان يهطلوا الدموع من جراء نظرهم الى بكاء اولئك ، والأب عبدالله كلف أحد المرسلين ليستقيم في اللويزة ذاك النهار ليسلّي الرهبان بأن يسلموا لمشيئة الله . والابلغ من ذلك ، أنه لما وصل الخبر الى بقية الديورة ، فذاك ابقيه الى القاريء ، لأن

المناحة التي صارت مدة انوف من خمسة عشر يوما وانا عاجز عن ايضاحها[٣] » . . .

٣ ـ الرسامة في عجلتون :

وهنا يتابع الاب توما اللبودي كلامه عن الرسامة في الموضع المذكور قائلا : « فحين اخذ المشايخ الأب العام عبدالله الى عند البطريرك لكي يرسمه ، حسب أمره ، فبعد وصولهم الى قرية عجلتون حيث كان البطريرك عواد يستنظره . حدثت مخاصمة بين المشايخ ، وهي هذه : ان المشايخ كانوا حلفين ، والحلفان يريدان ان يكون الأب عبدالله مطرانهما . أنما مطران حلب السيد ميخايل البلوزاني الاصل الذي كان ساكنا في دير طاميش ، ومسمّى في اولاد ابي ناصيف ، لما عرف برسامة الأب عبدالله المذكور توجّه حالاً لعند السيد البطريرك ليكون هو من الراسمين . فهذا المذكور توّهم من رسامة عبدالله انه اذا صار مطرانا ، ربما الحلبيون في حلب يطلبونه ليكون هو مطرانهم ، ويخسر هو رعيته ، حلب . وسبب الوهم هو انه في تلك الايام كان الاساقفة في يد البطريرك ، ينقل ويغيّر على خاطره . وهذا الامر على القول ، درج في الطائفة حين ابتداؤا يرسمون بطاركة من تلاميذ المدرسة الرومانية . فحلف من المشايخ المكنيين باولاد ابى ناصيف طلبوا من الاب عبدالله ان يكتب على ذاته تمسكا انه ما يطلب رعية حلب ابدا ، ولا يقبلها ولا ينزل الى حلب بنوع ما ، وان نزل يكون عنده خسارة مبلغ ثلاثة الآف قرش . . . » .

« فعبدالله اذ كان مرامه ان نبطل رسامته ، فنبه حضن الفرصة وصرخ بصوت عال : لا اكتب ولا ارتسم . اما الحلف المكنى باولاد أبي نوفل والجميع هم خوازنة اشتدوا ضد الاولين . وعظمت المخاصمة بينهم بهذا المقدار حتى كل واحد من الحلفين ركض الى سلاحه . فلما رأى البطرك والمطارين ذلك ارتموا على الأب عبدالله ،

---

٣) هذا الكلام للأب اللبودي في مجلة المشرق ، عدد ١ ، ص ٧٢٤ - وفي اللآلي القراعلي ص ٢٢٦ .

وامره البطريرك امراً بالطاعة ان يقبل ويكتب المطلوب . فما أمكن ، بل قال هكذا : « انا لا اريد الرسامة ولا اطلبها ، فكيف ارتسم بالسيمونيا المحرّمة تحت وعد ووعيد . ودامت هذه المخاصمة يوماً واحداً ، واخيراً لتنطفيء هذه الشرور والمخاصمات كتب عبدالله صكاً مضمونه « انا عبدالله أعطيت قولاً وقراراً انني لا اتغيّر عن رعيتي ، ولا افاوض بغيرها وبالخاصة رعية حلب » . هذا الذي كتبه من فطنته لكي يرجع المشايخ عن المخاصمة . فحينئذ ارتفع القيل والقال ، ورسموه اسقفاً في كنيسة عجلتون ، وصار ذلك في ١٧ أيلول سنة ١٧١٦ ، الف وسبعمائة وست عشرة مسيحية » .

٤ ــ بعد الرسامة :

وبعد الرسامة الاسقفية ، في عجلتون ، انتهت المناحة في ديورة الرهبانية بمظاهرها المؤثرة ، وسلّم الرهبان امورهم للمشيئة الالهية كما علّمهم رئيسهم الأب عبدالله . فاوحى الله لهم ان يختاروا رئيساً عاماً جديداً لا يقل فضيلةً وعلماً وتدبيراً عن الأب العام السابق . هو الأب المدبر جرمانوس فرحات الحلبي الذي كانت له مكانة كبرى ليس في الرهبانية فحسب بل في الطائفة وفي الشرق بكامله ، نظراً لعلمه الواسع ، وفضيلته الراسخة ، وصلاته المتواترة ، وادارته الرشيدة ، ومواعظه السديدة . وكان فرحات يومئذٍ مقيماً في مدينة حلب الشهباء لفرضٍ يتعلق برهبانيته . فارسلوا على الاثر في طلبه ليحضر فوراً الى اللويزة . فحضر الى الدير المذكور وعقدوا مجمعاً رهبانياً وانتخبوا فيه الأب المدبر جرمانوس فرحات الحلبي رئيساً عاماً عليهم . وكان ذلك في العاشر من شهر تشرين الأول . ثم انتخبوا الآباء المدبرين ، وهؤلاء المدبرون انتخبوا رؤساء الاديار في كل الرهبانية . وساروا جميعهم برئاسة أبيهم العام الجديد فرحات سيراً حسناً مشكوراً ، وفقاً للطريقة الرشيدة التي علّمهم اياها رئيسهم السابق عبدالله قراعلي في عهد رئاسته العامة المثالية كما رأينا .

٥ ــ المطران عبدالله قراعلي بعد الرسامة الاسقفية :

أولاً : كتب تلميذه الأب توما اللبودي عن **سيرة حياته** ما حرفيته[٤] : « لقد ابتدأ المطران عبدالله بسياسة رعيته بنوع ما كان احد يظنه أبداً . فقد بيّن غيرته على خلاص النفوس أولا ثم على الحق العام . ومع هذا فتواضعه يفوق معرفة الكثيرين وكذا ثباته وطول اناته ... يعسَر وصفه عليّ ... واما سيرته الرهبانية وصلواته وقداسته فما غيّر منها شيئا عما كان عليه في الديورة . فكان في بدء رئاسته الكهنوتية يستمر في أكل الصيامي مثل الدير . فحثّه كثيرون على ان يأكل اللحم ليقتات به . لأنه كان ضعيف الجسم . وما امكن الا بعد ان اخبروا السيد البطريرك . فأمره بالطاعة بأن يأكل زفرا ... وكان يعيش في دير اللويزة عيشة رهبانية مثل ما كان وهو راهب . وكان يطيع الرؤساء العاملين الذين اقيموا بعده . ويعمل ما كانوا يطلبونه منه . بحسن قلب وبسرعة اعظم من سرعة المبتدئين في الرهبنة ... كم وكم من المرات كان الناس يأتون اليه من المدن والقرى ومن الجبال وهم اناس معتبرون . وكانوا يواجهونه احيانا ويقولون عنه : ان هيبة الله على هذا الرجل . ومع هذا كنت تراه متواضعاً . اينساً ومؤنساً للمساكين والفقراء أكثر من السادات والرؤساء . والبطرك يعقوب وغيره من المطارين ما كانوا يتجرؤن على ان يحرموا احد المشايخ اذا زلّ زلة توجب ما ذكر ... » .

« والحال ان المطران عبدالله بعدما ارتسم مطرانا باربعة اشهر . أخبروه ان أحد الخوازنة المشايخ في رعيته ارسل الى السحراء ليخبروه عن جملة دراهم له قد اختفت عليه ... فحال ما تحقق المطران عبدالله الخبر اشهر حرمه على الشيخ المذكور ، وصار اضطراب ، وحين سمع البطريرك والمطارين بما صار . ظنوا ان عبدالله صار فيه طرف جنون . واخذ البعض يرسلون اليه تهديداً ليحلّ المحروم ... اما عبدالله فكان يظهر من الغيرة على الحق بشجاعة والحفاظ عليه مما جعلني عاجزاً عن وصف ذلك . وكان

---

٤) راجع المجلد السادس من تاريخنا الرهباني ، ص ٣٢٩ .

جوابه دائماً : « حاشا لي ان اترك الغنم يفترسها الشيطان من يدي ... وقد التزم الشخص المحروم رغم مشيخته أن يجيء الى عند المطران عبدالله ويستأذن ويستغفر ... » — تاملوا —

ثانياً : قال الأب توما عن **سياسة المطران عبدالله** في رعيته في المشرق ما يأتي(٥) : « ظنَّ الجميع أن المطران عبدالله رجل متوحد ، محب التقشف والانفراد ، وما باشر قط رئاسة الكهنوت وخاصةً امور الشريعة ، لانه مفهوم في الجبال ان المطارين هم الذين يشرعون للشعب ، فكان كثيرون من محبيه وغيرهم يقولون : مسكين عبدالله لقد ظلموه . هذا رجل خايف الله ، لكن رعاية الانفس تعسَر عليه . وفي ذلك الحين كان زمان زيارة الرعية التي ارتسم عليها . فاراد البطرك ان يطلع معه الى قرية بسكنتا (في أعالي الجبال بقرب كفرذبيان) ليزور تلك الرعية ، لكي يعلّمه كيف السلوك . هذا الظاهر والباطن الله أخبر به ، فحين انوجدوا في بسكنتا ، مرض عبدالله واستدام مرضه أنوف من اربعين يوماً طريح الفراش . وبعد ان تقوى قليلاً ، نزل الى قرية عجلتون ، وبعد مدةٍ قليلةٍ ابتدا بالوعظ على الشعب كمألوف الرؤساء الحقيقيين ، وابتدأ يشرح كأنه منذ صباه كان دارس الشريعة وحافظها غيباً . فعجبت الناس منه ، وظهرت له سطوة على الجميع بهذا المقدار حتى حين كان يأمر امراً في الكنيسة أو خارجاً عنها ، كانوا يظنون ان من خالفها خالف الله بالحقيقة . وظهر ما ذكر للعالي والدون ، حتى الحكام والامراء والمؤمنين وغير المؤمنين كانوا يتواردون اليه ليشرع بينهم ، والذي كان يحكمه جائز على الجميع ... » .

ثالثاً : في سنة ١٧١٨ وما قبلها **حصل خلاف** في الشام على كنيسة مارونية تدعى كنيسة سيدة العريانة بين ابناء الطائفة ورهبان الفرنسيسكان الذين كانوا منذ سنين يقومون بخدمة نفوس الموارنة في الكنيسة المذكورة . فأنتدب ، سنة ١٧١٩ ، البطرك يعقوب عواد المطران عبدالله قراعلي لحلّ هذا المشكل المستعصى ، واستخلاص

---

٥) راجـع اللآلي للخوري بولس قراعلي . ص ٢٣٧ نقلا عـن مجلة المشرق عد ١٠ / ص ٨٠٠ .

الكنيسة من يد الافرنج ، على الرغم من احتجاج المطران سمعان عواد ابن أخي البطرك عواد على ارسال اسقف غيره بهذه المهمة ، لأنه كان هو مطران الشام[٦] .

فسافر المطران عبدالله الى الشام على ضعف جسمه وانحطاط قواه . وبما أنه كان معروفاً عنه من حكمة وغيرة وتجرد ، ورأي صائب في معالجة الصعاب المتنوعة ، تمكّن من تذليل تلك الصعوبات ، وحلّ ذلك المشكل . فنال بغيته ، وحقّق للرؤساء رغبتهم ، ونال ابناء الطائفة مطالبهم ، واسترجع الكنيسة اليهم ، واقام بخدمتها وخدمة النفوس ، بكل غيرة واندفاع . وبقي في الشام مدة ثمانية أشهر يعمل بجد ومحبة وفطنة ونشاط حتى احبه كل الناس على اختلاف مذاهبهم . وكان يلقي عليهم الرياضات الروحية والتعاليم الدينية . ثم اهتمّ بأن يرسل اليهم رئيس الرهبانية بعدد المطران فرحات . فأخذ هذا يعظ كل أحد وعيد ، ويؤسس الأخويات ، وهو اول من أجرى عادة الوعظ كل يوم جمعة في الصوم الكبير عن الآم المسيح ، واول من انشأ في الشام شركتي الوردية وثوب السيدة . وكانت عناية المطران عبدالله بموارنة دمشق من اكبر اسباب الاضطهاد الذي ثار عليه في سنة ١٧١٩ ، وتحمّل فيه من الاهانة والتشنيع والغرامة ما لا يتحمّله الا الراسخون في فضيلة الصبر والاحتمال[٧] .

رابعاً : عن رسامة المطران الياس محاسب : لم يكن المطران عبدالله مترجمنا راضياً عن سيامة الخوري الياس محاسب الغسطاوي مطراناً في الطائفة ، لخوفه الشديد من اثارته الفتن في الطائفة بعد الرسامة التي حدثت في ١٤ ايلول سنة ١٧١٧ . وقد حقّق التاريخ كما قال عبدالله ان كل الاضطرابات التي ثارت في الطائفة في عهد المطران محاسب كان هو محرّكها ونافخ نارها ، كما اثبت ذلك الخوري بولس قراعلي في كتابه النفيس[٨] : واليك

---

٦) راجع تاريخ الرهبانية اللبنانية ، مج ٣ ، ص ٦٩٦ ، والمجلد الأول ص ١٠٢ .
٧) راجع المصدر نفسه .
٨) راجع اللآلي في ترجمة المطران قراعلي ، ص ٢٥٣ ، وانظر كتابنا عن البطرك يعقوب في الميزان وما قلناه فيه عن المطران محاسب ، ص ١٨٢ وما بعدها .

نص التقرير الذي رفعه المطران عبدالله قراعلي الى الكرسي الرسولي المقدس ، سنة ١٧٢٠ ، بهذا الخصوص :

« اعرض لدى سموكم أنه بعد أن عاد البطرك يعقوب عواد الى وظيفته البطريركية (بعد العزل سنة ١٧١٠) خضعت له انا ورهباني في كل شيء ، رغبةً في طاعة الكرسي الرسولي . وبينما كنتُ منزوياً بين رهباني ، استدعاني اليه السيد البطرك عواد بكثير من الالحاح ، ورفعني الى درجة الاسقفية ، على الرغم من عدم اهليتي لها ونفوري الطبيعي منها ، ولم يمضِ زمن طويل على ذلك حتى شاء أن يرسم غبطته المدعو الياس محاسب اسقفاً . فلما بلغني الخبر ، نفرت وقصدت الى بعض المطارنة ورجوتهم ان يبذلوا الجهد للحؤول دون هذه الرسامة . فقد كنتُ أرى من الشناعة بمكان أن يرقى الى هذه الدرجة السامية رجل ذو سمعة غير حميدة ، ولم يبلغ بعد السن القانوني المحدَّد لها . لأنه لم يكن قد تجاوز الـ ٢٥ سنة . وكنتُ منتظراً ان يعمد البطريرك الى استشارتنا ، حسب العادة المرعية في مثل هذه المناسبات . بيد أنه لم يفعل لعلمه بأننا سوف نعترض على هذه الرسامة .

« ولما علم هو والمطران سمعان عواد ابن أخيه، صديق المطران الياس محاسب بسَعيي لمنع هذه الرسامة ، كرهني كل الكره ، وحصل الاثنان بواسطة أحد مشايخ كسروان[٩] على اوراق واختام مصادقة المطارين ، دون ان يعلموني بشيء . ومنذ ذلك الحين نشأت الخلافات بيني وبين المطرانين محاسب وسمعان » .

وتابع المطران عبدالله كلامه في تقريره الايطالي الى المجمع المقدس ، شارحاً ، ضمن صفحات أربعة ، التهم المشينة التي ألصقها به الاسقفان المذكوران ، لما سافر الى الشام نزولاً عند امر السيد البطريرك لاستخلاص الكنيسة التي شرحنا امرها اعلاه . فنحيل القارىء الى مطالعتها في كتاب اللآلي في صفحات ٢٥٣ لغاية ص ٢٦٣ ، حيث يختم المطران عبدالله كلامه قائلاً :

---

٩) كان الشيخ نوفل الخازن قنصل فرنسا في بيروت وصديق البطرك يعقوب .

« هذا بالاختصار يا اصحاب السمو . سبب الانشقاق الناشب الآن اظفاره في الطائفة . ولا اتوخى من هذه الكتابة سوى ما اعرفه عن غيرتكم بأنكم لا تسمحون ان الخبث يدوس الحقيقة والبرارة . فحوّلوا انظاركم الى هذه الطائفة . وتأملوا في الاخطار المحدقة بها . انتم ملجأها الوحيد . ومنكم تنتظر الدواء الشافي لكل هذه الاضطرابات . فنحن والطائفة نتخبّط الآن في فوضى خطيرة . وسط الهراطقة والمنشقين والغير المؤمنين الذين يعيروننا بجور رؤسائنا . وانصرافهم عن محجة العدل والانصاف . هذا العدل يجب ان يصدر عن مجمعكم المقدس . وانا لا افتر عن طلبه حتى تعود الطائفة الى ما كانت تتمتع به من الراحة والسلام » .

الحقـــير

عبدالله مطران

\+ بيروت .

وتصديقا لكل ذلك نورد هنا عريضة رفعها الى المجمع المقدس المطران ميخايل البلوزاوي رئيس اساقفة حلب ومعه خمسة عشر من مشايخ عجلتون الخوازنة وهم رعايا المطران عبدالله . بتاريخ ١٨ تشرين الأول سنة ١٧١٩ . وهذا نص بعض مقاطع منها في آخرها . قال(١٠) :

« واخيرا سمح البطرك يعقوب عواد لابن اخيه المطران سمعان أنه يتشكى على المطران عبدالله عند الحكام المسلمين وقد حبسوه وبهدلوه ضد ناموس الكنيسة . وهذا شيء ما صدر مثله في بني مارون ابدا . ولا سمعنا به قط . والنتيجة ان سألتم عن طائفتنا اليوم . فالجميع هم حاصلون في غضب الله . لأن قلوبنا امتلئت تجاديف . وافواهنا افتراءً وكفر . وما بقي لنا قوة على طاعة هذا البطرك الذي غاية قصده ٍ في جمع الفضة . وتنفيذ اغراضه ، واخذ الثأر ، ولا يتوّقا الكذب ، ولا يمسك عن الحلف الباطل ، بل كلامه معوّج . ومكاتيبه مبرومة . . . فالله تعالى انكم ترحمونا وترفعوه

---

(١٠) انظر كتاب اللآلي ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

عنا . ولا تنظروا الى مكاتيبه ورسله ، لأن اقواله واعماله جميعها مزورة ، والفاظه مشبكة معانيها بكل حيلة ومرآياه ، وعديمة كل صدق وبساطة ، ونحن بريئين من خطر الانشقاق في هذه الطائفة ، فيبقى هو في ذمتكم ، والله رقيب قلوبنا ، وهو عالم اننا خاليين الغرض فيما اعرضناه على قدسكم . فنسأله تعالى ان يرزقنا بركتكم مع تقبيل اقدامكم والدعاء . تحريراً في ١٨ تشرين الأول سنة ١٧١٩ » .

الحقـــير

+ ميخايل مطران حلب .

وبعد هذا اسماء واختام مشايخ بيت الخازن ومنهم كولير القدس ، وكولير روماني ، وكولير روماني والقدس وغيرهم ، راجعهم في اللآلي ص ٢٦٧ .

خامساً : عريضة المطران عبدالله الى المجمع المقدس :

ولما عرف المطران عبدالله ان قضيته بلغت الى مسامع الكرسي الرسولي رفع عريضتين في آخر نيسان سنة ١٧٢٠ الى الحبر الاعظم والى المجمع المقدس ، وكلاهما بمعنى واحد ، فرأينا ان ننشر هنا الثانية منهما لأنها اكثر اسهاباً ، وهو وهو يطلب تعيين مجمع من المرسلين الاجانب لينظروا في دعواه ، وفي تقرير علاج واف للفوضى المستحكمة في الطائفة ، وهاك هذه العريضة بحرفيتها(١) :

« ايها السادة ذوي الشرف واجلال ... لما سمعت وتحققت أنه قد بلغكم اخبار المنازعة الواقعة من مدة ما بيني وبين البطرك يعقوب عواد وابن أخيه المطران سمعان والمطران محاسب ، وكنتُ بعد ما تجاسرتُ على ان انبيء المجمع المقدس عن هذه الامور ، لظني ان غيري يعرض ذلك عليكم ويفهمكم عن تبريء حالي ، وكيف

---

(١) راجع اللآلي لقراعلي ، ص ٢٦٩ وما بعدها .

اجتهد اعدائي لكي يوجبوا عليّ الذنب . واهانوا درجة المطرانية التي انا غير اهلٍ لها . وحقّروا قيمتي الكهنوتية وغرّموني مالي ، وكنتُ ارجو بلوغ الاخبار لكم بالتفصيل ان ترسلوا تتلافوا هذه القضية . وتطبّبوا هذه الخصومات . حتى لا احد ينسبني الى الاغراض القديمة ضد البطريرك . كما ظن البعض فيّ سابقاً . . .

« واذ حصلت الآن المنازعة على ازدياد . واشرفت على الضرر العام . اسمحوا لي ان اسألكم بكل خضوع ان تتلفتوا الى هذه الطائفة الفقيرة التي لها سنون عديدة تحت يد ونير امور شيعية . وان تدبروا كيف نعمل مع هذا البطرك ومع مطارينه الذين بيّنوا غرضا كبيرا بسبب ميل اللحم والدم واغراض خصوصية . فانا لهذا السبب قد التزمتُ ان اسألكم ان تفضّوا هذه المنازعات بموجب الشريعة . والشريعة لا تصلح عند البطرك ولا عند مطارينه . لأن البطرك له غلطة بالامور التي جرت ويميل ميل الطبيعة . والمطارين لأنهم يخافونه وايضاً لأنهم سادجين . وقليلي المعرفة . فما يقدروا على أثبات الحق الاّ مع الارجح والاقوى ضد العدل والحق . فينبغي ان رسمتم ان تعيّنوا من يقضى ويشرح بهذه الامور . ولا يكون له غرض ولا هوى الا مع الحق . فيفحص الفحص اللايق ، من غير التفات الى احد الفريقين . ويحكم بالحق ما بين البريء والمذنب . وان لاق بنظركم فليكن المتشرع بهذه القضية المرسلون من كل رهبنة واحد . من الرهبنات الموجودة في طرابلس . او صيدا سواء كانوا من رهبان القدس او الكبوشية او الكرملية او اليسوعية . فهؤلاء بأمر البابا يجتمعوا ويقضوا بالحق حسب قوانين المجمع المقدس . . .

« وحضرتكم ما تقدروا ان تعرفوا طبع بلادنا الشرقي . ولا كيف هم مطارينا ومشايخنا . والبعد بيننا وبينكم هو السبب في عدم مقدرتنا على تخبيركم عن كافة الامور مفصلة . لأن الاخبار التي نرسلها احيانا تتمسك في الطريق اليكم . واحيانا تفسّر على غير معنى . وترى لعين الحبر الاعظم ولاعين المجمع المقدس بالخلاف . وهذا جميعه يصطلح في جمعية المرسلين التي ذكرناها . . . لقد زادت الشكوك بين السدّج لهذه الطائفة . واصبحت درجة

الاسقفية مثل مذمة ، ولا عاد يلتفت الى الشرائع والقوانين ، ولا من يخشى من تسليم المطارين ليد أهل السلاح والسيف كما جرى فيّ انا من مدة ، وانحبست ارجح من شهر بواسطة البطرك وابن أخيه سمعان ومنعوني عن القداس بعض الآحاد والاعياد ، وهذا ما صار قط في غير طائفة في بلادنا الا في دولة البطريرك يعقوب ، وربما يعتذر البطرك عن نفسه ويجعل الذنب على ابن أخيه ، لكن عندي البيّنة بعدم تصديق كلامه ، وكنت باستطاعتي يا سادة ان افعل معهم اقبح مما عملوا معي ، ولكن حاشا لي ان ادوس شرائع البيعة بل انني طرحت ذلك لهمتكم الشريفة . ويجب أن تعلموا ان اعدائي المذكورين عمالين يسعوا في ان يطرحوني ثانيةً لاهل السيف، والظاهر من عملهم لو امكنهم قتلي لما تأخروا عن ذلك ... » .

« اسألكم ان كنت بريئاً أو كنت مذنباً في الامور الواقعة ، فما أريد شيئاً الا ان يصير شرع حقيقي وخالي من الغرض ، وانا خاضع لامر الشرع مهما كان . وان كنت لا اظهر بريئاً فاريد ان اكون تحت القصاص حسب القوانين المفروضة من المجامع حسب حكم الذين يشرعون بهذه القضية ، وان ظهرت بريئاً فلي ان اطرح ذاتي وحقي للمتشرعين ، واطابق بما يحكمون به حسب الحق ... والآن ارجع باعادة الكلام على حضرتكم ، واقول ان هذا أمر مختص بكم وهو أن تطبّبوا شعبكم من الطاعون ، والطاعون ان كان ليس له دواء فعال ، وتريدوا حضرتكم أن تتركونا لنفسنا ، نسأل الله أن لا يتركنا وحدنا ، وان يلهمكم أن لا تتركونا في مصابنا هذا ، بعد تقبيل ايديكم المقدسة والدعاء . تحريراً في دير مار انطونيوس قزحيا بناية شهر نيسان سنة ١٧٢٠ .

الحقير
+ عبدالله مطران
بيروت .

ولما راى المطران عبدالله قراعلي تباطؤ المجمع المقدس في حل قضيته مع البطرك وابن أخيه المطران سمعان عواد ، رفع عريضةً أخرى الى الحبر الاعظم بتاريخ ٢٣ أيار سنة ١٧٢٠ ، وهي كالأولى ، واليك حرفيتها ، وهناك عريضة ثالثة وجهها المطران عبدالله الى

المجمع المقدس بذات المعنى . يمكن الوقوف عليها في ارشيف المجمع تحت رقم ٦٢٧ ص ٦٧ بالسنة نفسها :

« المعروض بعد تقبيل اقدامكم المقدسة أني في الايام التي مضت التزمت اعلم قدسكم في الحال الذي هي فيه طائفتنا بسبب الفتنة الواقعة ما بين البطرك يعقوب وابن أخيه وبيني . وتوسلت الى قدسكم بتطبيب هذه الخصومات الناتجة عن اعمال البطرك الرديئة واعمال ابن أخيه ايضا (ومساعدهما المطران الياس محاسب) الذي في الباين ما يفتكرون ولا يهتمون في شيء آخر الا بضرري وفضح عرضي . ليس فقط عند أهل طائفتنا بل وعند قداستكمو المجمع المقدس . وبما ان امرا مثل هذا ما له دواء اقوى من عدالتكم ، فلهذا طلبت من قداستكم ان توكلوا بفحص هذه القضية الرهبان المرسلين في طرابلس اعني الاربع رهبنات الموجودة هناك . ولا ازال استغيث بشرعكم ضد الاهانة التي صارت ضد الدرجة الاسقفية حيث سلموني الى ايدي الامم الاجنبية وغرموني بثلاثة آلاف غرش، ... والآن البطرك يعقوب اجتهد اكثر من السابق على مضرتي وارسل جمع مطارينه عنده طمعا في ان يخترع علي الحكم بموجب المقاصرة بغضا وظلما . ولما لم يطاوعه المطارين كلهم على ذلك وضاددوه في بعض اشياء ، اخذ يعمل بالتخابث كعادته . ولعب بعقل بعض المطارين ، وكتبوا كتبا في الافرنجي (الايطالية) وارسلوها الى قنصل فرنسا السيد بولارد يشتكون علي باشياء رديئة كثيرة جداً ، وقصدهم ان المكتوب ينعرض على قدسكم وعلى المجمع ، لأن المجمع كان قد كلف القنصل تبليغه كل ما يحدث في الطائفة والسعي في تلافي هذا الانشقاق ...

« فتأملوا يا قدس سيدنا الى اعمال بطركنا والبعض من مطارينه كيف هم مستغرقين بالخبث والغش . ومنه استدلوا على اعمالهم ومكاتيبهم التي هي مضادة للشريعة . فالبيّنة ان كل اعمالهم مبطنة وداخلها خلاف خارجها . والذي يساعدهم بالزايد على ذلك هو سذاجة بعض اساقفتنا الذين ما يعرفون من أين يسرقهم . ولهذا نقول ان حضرت أهل الشريعة الرهبان المذكورون العارفين بلغة

البلاد وطبع اهله تظهر جيداً الحقائق وتنفضح الخباثة ... تحريراً في ٢٣ آيار سنة ١٧٢٠ » .

ولدكم الحقير

+ عبدالله مطران بيروت

الضعيف .

استدراك :

مما يجب الانتباه له هنا ان البطرك يعقوب كان في البدء صديقاً للمطران عبدالله ، وقد ساعده على تثبيت قانون رهبنته وائتمنه على سره وماله . ولما شاهده قد اصبح برهبانيته قوة عظيمةً في الطائفة حاول الاستعانة بها على خصومه ، فلم يشأ المطران عبدالله زجَّها في هذا الميدان المفسد لروحها وتعاليمها وخطتها ، فاستاء البطرك من موقفه وحاول تشريد رهبانها والغائها ، فاصطدم بها كمن يصطدم بصخرٍ عظيم فلن ينثنِ . ولما عُزل ورجع الى بطريركيته بقوة المجمع المقدس ضد أكثر مطارينه ، استجمع قواه واخذ يهاجم الرهبنة ويهاجم مؤسسها والمحامي عنها ضد الرؤساء فاصطدم هذه المرة ليس بالرهبنة وحدها وبرئيسها بل بالشعب بأسره . ولو لم تسنده رومية لما وصلها من تقارير ولو كاذبة ، لكان تحطم تحطيماً ورجع عن كل تهمة اثارها ضد المطران عبدالله البريء النقي ... وبعد وفاته ، ابن أخيه استغفر من المطران قراعلي وصار صديقاً حميماً له ، وكذلك السمعاني عرف الحقيقة وصار للمطران عبدالله صديقاً حميما . وهذا للدفاع عن الحق ، ولسَحق البطل والنفاق .

سادساً : المجمع اللبناني :

وهنا لا بد لنا من ان نذكر ما كان من الغيرة والهمة والاندفاع للمطران عبدالله قراعلي مع العلامة الكبير يوسف السمعاني القاصد الرسولي في عقد المجمع اللبناني دستور الطائفة المارونية ، سنة ١٧٣٦ ، في دير سيدة اللويزة . لم تقف همة المطران عبدالله عند هذه المساعي المبرورة التي بذلها بسخاءٍ لتحقيق هذا الامر الخطير ،

بل كان في عقد هذا المجمع وبعد عقده من اشد منفذي احكامه . فكم كدّ ، وجدّ مع آباء الرهبانية . ولا سيما الأب الفيور توما اللبودي تلميذه المخلص في هذا السبيل . فضحّوا بالكثير من راحتهم ومن مال الرهبانية . وكانوا له اليد اليمنى في اتمام مهامه كما بين السمعاني نفسه في عريضته التي رفعها الى قداسة البابا اكليمنضوس الثاني عشر كما جاء في ذيل المجمع اللبناني ص ٧٨ .

وقد شدّد المطران عبدالله على تنفيذ حكم المجمع اللبناني بفصل اديار الرهبان عن اديار الراهبات . بناء على اوامر المجمع المقدس والكرسي الرسولي الروماني . ولما كان **دير ماريوحنا حراش** واقعا في أبرشيته . وكان هو رئيسا عليه يتدّبر شؤون راهباته من جميع الوجوه . وكان هذا الدير مزدوجا اعني سكن الرهبان ملاصق لدير الراهبات . فانه عملا بأحكام المجمع اللبناني . الغى بناء دير الرهبان . وانشأ بناء آخر مع كنيسة . بعيدا عن دير الراهبات وخصّصه بسكن الرهبان وحدهم . ولما لم يكن للراهبات قانون مكتتب وضع لهن قانوناً خاصا . وبسلطانه الاسقفي وبولايته على الدير . اثبته واوجب عليهن السير بموجبه(١٢) . وحذرا من ملاشاة عمله هذا بعد وفاته . نظرا الى ما كان يلاقيه من المعاكسات في هذا السبيل . طلب من الرئيس العام والمدبرين في الرهبانية ان يتسلّموا تدبير هذا الدير . ولما رأهم مترددين في أجابة طلبه لاعذار مادية وسياسية ، رفع عريضة مسهبة الى قداسة البابا وأخرى الى السمعاني ضمّنها مخاوفه من ملاشاة عمله . مستحلفا اياهم بجراحات السيد المسيح ان يعيروا التماسه التفاتاً . ويأمروا رئيس الرهبانية العام ومدبريه بأجابة طلبه ويتسلّموا تدبير الدير بحسب الرسوم التي وضعها للراهبات .

واليك أيها القارئ الكريم صورة العريضة التي رفعها المطران عبدالله الى الحبر الاعظم في ٤ كانون الأول سنة ١٧٢٩ . كما وردت في اللآلي(١٣) :

---

١٢) راجع تاريخ الأب بليبل الأول ، ص ١٦ و ٩٧ .
١٣) راجع كتاب اللالي لقراعلي ، ص ٣٩٩ .

« ايها الأب الاقدس . المعروض بعد تقبيل اقدامكم الطاهرة
أني لما رأيت اديار رهبان طائفتنا الموارنة في تبلبل مذموم من
خلطة الرهبان بالراهبات ، بنوع لا يعتذر عنه بدفع الخطاء والع
الفظيع اللاحق من ذلك . فرأيت انا ولدكم ان اصوّن أحد الاد
التي في رعيتي المختص بالراهبات البنات دون غيره ، وحفظته
هذا التبلبل السابق ذكره . وعملت حسب ضعفي وقوتي الوا
في أني قطعت الخلطة ما بين الراهبات والرهبان . والعـ
الموجودين هناك . لأجل عمار رزق الدير الضروري لمعاش سـ
الدير عموماً . وميزّت لكل من الفريقين مطبخه . وكلارود
ومساعيه . ولوازمه . بحيث ان يبتعد الرجال عن النساء بالسـ
والنظر والسمع . ويستريح العقل من تعب الشكوك . وحقاً
الى الآن لم اعمل كل شيء اراده مشيئة الله بالتمام . وذلك لسببين

« أولا لكسلي ونقص غيرتي على الخير . والثاني لحال الـ
وضيق المعاش . لكني قد وضعت اساساً كبناء الحكمة . وكتـ
للراهبات اثني عشر باباً قانوناً لسيرتهن . ولم ازل اسعى في
اكمل ما اظن أنه مشيئة الله . غير اني صرت في خوف من انتقـ
من هذه الدنيا . والعقل يدلني ان بعد موتي يبطل ما عملت . وينـ
ما أسست لحال زي البلاد . وسهولة رجوع النفس الى عوايد
الواسعة . واظن ان ثبات ما نريد ثباته لا يكون قوامه ودوامه
بان يتسلم تدبير هؤلاء الراهبات الى احد الرهبان الرجال المثـ
رهبنتهم . وعندنا الآن لا يوجد هذا المقصود الا بالرهبان الحلبيـ
اللبنانيين . فاذا كان هؤلاء برأي قدسكم وامركم يتسلمون ولا
هذا التدبير . وينسب اسم الراهبات الى اسم اللبنانيين ، والخضو
الى رئيسهم العام ، اظن انا ان ترتيب الراهبات يستقيم ، ويدوم
ويصير ، سبب واصل لنمو الترتيب في باقي اديار بني مارون
وتنقطع خلطة الرهبان بالراهبات ، كما جارية عندنا في كل مكان
وفي رعيتي ايضاً ، وليس لي يد في منعها ، لحال ان ليس لي مسعـ
من بطرك أو اسقف ليسندني في العمل الى بلوغ الارب . . .

« بل ان البعض يضاددوني بذلك . وليس لي بعد الله الا ا
اعرض ذاتي ومقاصدي على قدسكم . وانا ساجد وخاضع لابوة

لتأمروني بالذي ترونه من الهامات الروح القدس المحرّك لكم في التدبير المختص بحبريتكم وحدكم حقاً . ثم اقبل اقدامكم والارض امامكم . وارجو رضاكم وبركتكم والدعاء . تحريراً في ٤ كانون الأول سنة ١٧٢٩ .

ولدكم الحقير

+ عبدالله مطران بيروت

الضعيف .

سابعاً : الضيق على الرهبان واديارهم :

البطرك يعقوب عواد ضيّق على الرهبان الموارنة بمنعهم من التجوال لأجل التبشير وعمل الرسالة والرياضات . فزاد في ضيقهم ضيقاً لانحباس حسنات المؤمنين عنهم . واضطرارهم لاخلاء اديارهم في الشمال مثل دير ماراليشع ودير مار انطونيوس قزحيا في سنة ١٧٢٦ . لأن والي طرابلس لما علم بأن الرهبنة اخفت البطرك عواد في دير مار اليشع عن عساكره وديره الآخر قزحيا(١٤) . اثقل هذين الديرين بالضرائب الفاحشة والغرامات غير العادية واضطر الرهبان الى اخلائهما وتوسيع بقية اديارها لايواء رهبانها فيها . وقد كتب بهذا المقام المطران عبدالله قراعلى الى الرئيس العام يومئذ الأب اسكندر الاهدني بتاريخ آذار من سنة ١٧٢٩ مكتوبا هذا نصه :

« البركة والنعمة والسلام على حضرة الأخ العزيز الأب ميخايل الرئيس العام المكرم كرّمه الله تعالى بأفضل بركاته امين . اولا نحن كثيرو الاشواق الى مشاهدتكم بالخير . وبعده قد سبق لكم جملة مكاتيب في اخبار احوال الأخوة . وانشاء الله وقفتم عليها بالخير . ومن جهتهم اعني الأخوة والديورة لا يكون خاطركم عنهم الا طيب . لأن امورهم وان كانت تحت تجاريب . لكن الدنيا ما يمكن ان تخلو من مثل ذلك .لكن التجارب التي يخاف منها كثيرا الحمد لله ما عليهم شيء من ذلك . وسلوكهم الآن مع قدسه ومع الحكام

(١٤) راجع اللآلي للخوري قراعلي ، ص ٤١٦ .

مصطلح بحسب ما يمكن . كذلك السلوك في الديورة بالقوانين والرياضات دارج مليح ، وما عليهم خطر تجربة يخاف منها غير واحدة . وهذا حسب العقل البشري الملزومين بمراعاته . وهذا الخطر هو الديون الكثيرة التي ترتّبت عليهم وقد أخبروكم بها ، ويخشى أنه غدا في الموسم ينكشفوا ، ويحدث من ذلك صدمة عظيمة للرهبنة . وذلك تفهمونه أكثر منا ، لأن ما احد يترك ماله . فالمراد لنا مدة نفكر بذلك ، ورأينا ان هذه المصيبة ما لها دواء . غير انكم تخرجوا اثنين من الرهبان يشحدوا صوبكم ، ويكون ذلك من غير اهمال . لأن كيفما حسبتموها انسبقتم بها ، لكن المثل يقول ، من سار على الدرب وصل . فمتى ما طلع راهبان يشحدان يقوى القلب ويضعف الخوف ، ويبعد الاضطراب عن الأخوة ، ودعوة شحادة الرهبان صوبكم ما هي عار ولا أمر غريب القصد ، لا تستهتروا بذلك ، لأن هذا صار شيء لازم ، ويكون بوجه السرعة ، ومن دون ذلك فكل شيء سهل بقوة الله ، وناموس الرهبنة في ازدياد ، وليس في نقص ، وسابقاً كتبنا لكم مكتوباً مع القس اندراوس الذي ارسلناه يشحد للراهبات ، فأن توّجه صوبكم دبروه بمعرفتكم . لاننا أوصيناه ان يسمع لكم ، ومثلكم لا يحتاج الى شرح المعاني . والبركة عليكم وعلى الأخوة فرداً فرداً والدعاء . تحريراً في اوائل آذار سنة ١٧٢٩ .

الحقــير

+ عبدالله مطران بيروت .

وهنا لا بدّ لنا ان نلاحظ ان البطرك يعقوب واعوانه لما عرفوا بالتدبير الذي اعتمده المطران عبدالله درءاً للخطر المالي المهدّد لكيان رهبانيته التي كان يحبها كثيراً ، ولو بعيداً عنها في أبرشيته ، سبقوه وارسلوا راهبين من رهبنة مار أشعيا لاستدرار حسنات المؤمنين في الغرب ، فيسدّوا الطريق على الرهبان الحلبيين اللبنانيين ، وزوّدهم البطرك بكتابٍ الى المجمع المقدس الروماني مؤرخ في ٢٥ أيار سنة ١٧٢٩ ، يوصيه بهما خيراً **مادحاً** رهبنتهما بأنها طائعة

فاضلة ، **وطاعناً** بالرهبنة الحلبية بأنها عاصية وخالية من الصلاح ... وغير ذلك من الكلام المضر[١٥] ... » .

ثامناً : البطرك الجديد يوسف الخازن :

قال المطران عبدالله في احد مكاتيبه الى العلامة السمعاني برومه ان المطران الياس محاسب راغب بكل قواه ، وساعي فوق الحد بأن يكون البطرك الجديد بعد يعقوب عواد الذي كان مريضاً ومشرفاً على الموت ، ولذلك كان قد تمكّن بسعيه المتواصل من رسم جملة مطارين استعداداً لهذه المناسبة حين يحين وقتها[١٦] . وما كان المطران الياس محاسب يتورّع عن دفع الاموال ، واستعمال قوة الحكام المدنيين ، واجراء الوعود بالمكافآت المتنوعة اذا ما حصل على هذه الدرجة الرفيعة في الطائفة . وتعبيرا عن ذلك لنقرأ مكتوباً رفعه المطران عبدالله قراعلي الى المجمع المقدس ، نقلا عن كتاب اللبودي رقم ١٠٤ ، وهو مؤرخ في آخر شباط سنة ١٧٣٣ . وهذا نصه :

« المعروض على المسامع الشريفة بعد تقبيل اياديكم المقدسة هو قد بلغكم من مكاتيبنا الى المجمع المقدس ما قد عرض لحضرة رؤساء طائفتنا واعيانها من المشاجرات وتعب القلب لمّا كان البطرك يعقوب مشرفا على الموت . ثم بعد انتقاله ، عرض ايضا تجارب اصعب واكثر من الأول بسبب انتخاب بطرك جديد ، لاننا لما كنا مهتمين في عمل القرعة ، وقعت التهمة في احد المطارين أنه ساقط في السيمونيا (ويقصد المطران الياس) . فاجتمعنا كم واحد من المطارين المتقدمين وتشاورنا في امره ، ورأينا الصواب أن لا نفضحه، بل تكلم بعض أخوتنا المطارين المكرمين ، بأن لا يرموا له القرعة ، أولاً لأجل سترة عرضه ، وثانياً لقطع الفتن بين الطائفة ، وبالاكثر

---

١٥) انظر اللآلي للخوري قراعلي ، ص ٤٢٠ .

١٦) راجع المطران يوسف الدبس في تاريخه عن الموارنة ، ص ٤٢٥ وما بعدها ، وانظر اللآلي ص ٤٢٨ ـ ٤٣٠ .

بين المشايخ . فالبعض من حضرة المطارين استقروا بأن هذا هو الواجب ، والبعض حلفوا بأنهم لا يرموا له القرعة . ولما صارت القرعة ظهر ان فعل البعض هو خلاف كلامهم . ولذلك صار سجس عظيم في عقولنا نحن الذين كنا اجتمعنا على هذا الراي ، ولأن القرعة ما تمّت من أول مرة ، واحتجنا أن نرميها ثانية . فصرنا نخاف ان تطلع بالثاني للمتهوم بالسيمونيا . والحال أنه ما كان يمكننا أن نضع يدنا عليه ونكرسّه بطركاً ، ونشترك بالحرم المعلوم ، فصرنا حايرين وخايفين من الخطية والفتنة ايضاً .

« فلم يحتمل ذلك البعض منا ، واظهروا المشاجرة والمنازعة ، وابطلوا القرعة بكلام ظاهره غير باطنه ، ولخوفنا من خصومة المشايخ اذ يسمعوا الخبر ويهجموا علينا ، لأنهم قريبين الينا ، وتصير الفتنة بيننا وبينهم ومع بعضهم البعض ، لأن أغراضهم منقسمة . فلذلك اسرعنا وانتخبنا حضرة بطركنا الجديد الواصل اليكم اسمه (وهو البطرك يوسف الخازن) في غير هذا المكتوب ، وقبلناه علينا بطركاً برضانا من غير قرعة ، ولأنه هو من المشايخ آل خازن . ولما وصل المشايخ الينا ، وتحققوا ما عملناه ، رضوا به ، وما احد منهم اظهر غيظاً البتة ، وحصلنا بالسلامة . وقد اخبرنا جنابكم الشريف ليبقى معلومكم ونرجو على الدوام مستجاب دعاكم وحسن شريف نظركم والسلام » .

الحقـــير

+ عبدالله مطران بيروت

الخلاصة من كل ذلك هي ان المكانة التي نالها المطران عبدالله لدى الكرسي الرسولي باحتضان ابنائه الرهباني ، وتثبيت قانونهم ، ولدى الشعب والاعيان بمناصرته في محنته وترشيحه لأعلى مقام في الطائفة ، يعدّ نصراً مبيناً للفضيلة ، بعد تلك الاهانات التي الحقها به وبرهبانه خصو"مه الالداء ، والاضطهادات التي اثارها

عليه وعليها . والشناعات التي روّجوها عليهما . والحق يقال ان الطائفة قامت وقعدت لنصرته . لما كان عليه من فضيلة وعلم ودراية ، بافرادها واعيانها وكهنتها ورهبانها واحبارها . وجاهرت بسخطها على السلطة البطريركية المسؤولة عن هذه الاهانات . وقاطعتها مدى اربع سنين متوالية كما ذكرنا . ولما توفي البطرك يعقوب رشّحه الاحبار والاعيان خلفاً له . ولولا دسيسه الدسّاسين لكانوا اجلسوه على كرسي البطريركية الانطاكية . وسوف نبيّن فيما بعد مساعي المطران عبدالله في الاصلاح الذي قام به في الطائفة .

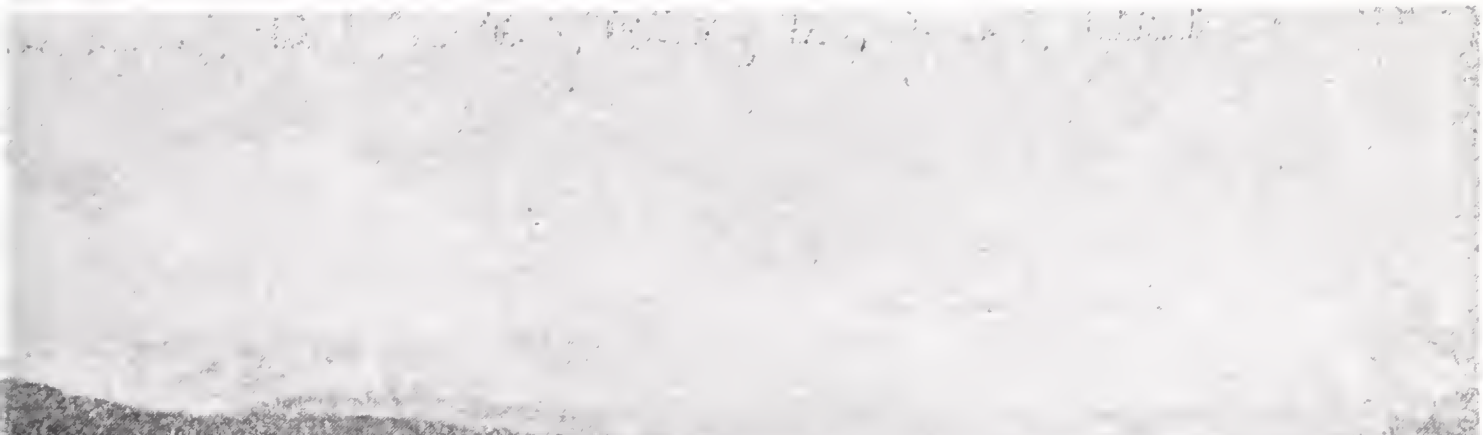

دير مار ليشع الجديد

الفصل الخامس

المطران عبدالله والاصلاح في الطائفة

بعد أن دأب الاب العام عبدالله قراعلي ، مدة ست عشرة سنة مع رفقائه الرهبان العلماء ، حوا والبتن وفرحات ، على تأسيس الرهبانية الحلبية اولاً ، لكونهم جميعهم من حلب الشهباء ، ثم اللبنانية ، لأنهم اسسوها في لبنان ، وذلك بالوادي المقدس بتنوبين تحت رعاية السيد البطريرك القديس اسطفانوس الدويهي الاهدنى سنة ١٩٦٥ . وسموها المارونية الحلبية اللبنانية ، ونظّموها تنظيماً حسب الترتيبات الغربية ، مع الاحتفاظ بالقوانين القديمة المتعلقة بالقديس انطونيوس كوكب البريـــة ، ودبرّوا شؤونها وجعلوهـــا تنمو وتزدهر بتقواهم واعمالهم وصلواتهم وتعاونهم ومحبتهم العميقة واتكالهم على الرب ، وقد اصبح هؤلاء المؤسسون جميعهم احباراً كباراً في الطائفة ، فخدموها أجل الخدم وجعلوها مثالاً يحتذى امام الجميع في كل الطوائف المسيحية ، وتركوا فيها الآثار الجلى التي تذكر بالشكر والفخر مدى الدهر . ولم يكتفوا بذلك فقط بل سعوا جهدهم وبعناد مستمر لتثبيتها في لبنان أولا لدى البطريرك العظيم اسطفان الدويهي سنة ١٧٠٠ ، ثم لدى البطرك يعقوب عواد الماروني سنة ١٧٢٥ ، واخيرا لدى الفاتيكان بروميه العظمى سنة ١٧٣٢ ، لكي تستطيع ان تجابه الاعداء وتقاوم الخصوم أعداء الرهبنات والتنظيم ، الذين كانوا متكاتفين على هدمها في المهد ، قبل ان تثبتت جذورها وانتشرت في كل الانحاء .

١ — وبعد جهاد كثيف متواصل في حقل الرهبانية ، وضيقات متعددة تحمّلها المطران عبدالله بصبر وتسليم وصولا لتثبيت الرهبنة

وتكثير اديارها وانماء رهبانها ، عيّنه البطريرك يعقوب عواد مطراناً على ابرشية بيروت ، دون ان يسلّمه مقاليدها مدّعياً ان ابن اخيه المطران سمعان عواد مرسوم عليها ، مكلفاً اياه بخدمة ابرشية كسروان والمتن ، وسوف نذكر ذلك في فرصة اخرى مناسبة ، شارحين عدم رغبته في ان يكون مطراناً بل يفضّل بقاءه في الرهبنة يخدم اخوته ويصلي معهم ويعطي المثل الصالح للجميع . فكانت هذه الدعوة الى الاسقفية التي اقتلعته من بين احضان رهبانيته ، مناحةً لديه ولدى اخوته الرهبان في دير اللويزة ، مع ان الاسقفية انما هي عمل صالح كما قال الكتاب الكريم .

اما المطران عبدالله بعد ان صار اسقفاً مارونياً بعيداً عن امور الرهبنة التي نجح كثيراً فيها ، فلم يترك ابناءه الرهبان أيتاماً ، بل عمل معهم على اختيار رئيس عام بدله متحلٍ بالعلم والكمالات والخبرة والصفات الرهبانية الحقة هو العلامة الأب جرمانوس فرحات الحلبي الذي كان له اليد اليمنى في تنظيم الرهبانية وتدبير شؤونها ، وتكثير اعداد الرهبان الفضلاء فيها ، وازدهار الحياة الرهبانية ، ليزداد عمل الخير والتقوى في الطائفة ، وقد عملا جاهدين على مداواة مساكنة الرهبان والراهبات في دير واحد ، كما كانت العادة القديمة ، مثلاً في دير سيدة طاميش الذي سبق الكلام عليه اعلاه وغيره من الاديار كما سيجيء .

والمطران عبدالله لكثرة ما كتب واستكتب ورفع من العرائض بهذا الخصوص الى المجمع الروماني المقدس ، شارحاً فيها ضرورة فصل الاديار المزدوجة عن بعضها بعضاً ، نال رغبة قلبه وتحقق ما تمناه لخير الرهبانيات ، وذلك في انعقاد المجمع اللبناني في دير سيدة اللويزة سنة ١٧٣٦ برئاسة القاصد الرسولي العلامة يوسف السمعاني ، بأمر من قداسة البابا اكليمندوس الثاني عشر . واليكم رسالةً من المطران قراعلي رفعها في ٢٢ أيلول سنة ١٧٢٢ الى الحبر الاعظم بواسطة المجمع المقدس جاء فيها ما نصه :

« اعرض لقداستكم بعض عوايد رديئةً قد استولت على طائفتنا المسكينة ولا تزال تنمو وتزيد يوماً فيوماً ، خلافاً للعوائد الحميدة

التي كانت منتشرة في طائفتنا . وضد الشرائع الالهية والديانة المسيحية . وبكل توجع اعرض على مسامع قداستكم هذه الاحوال الذميمة وهي : **أولاً** قلة الاعتبار والتكريم للاسرار المقدسة . وبالاكثر سر الكهنوت المعطى للكهنة غير المستحقين الكهنوت لأجل الموانع التي تمنعهم من قبول الدرجات المقدسة — **ثانياً** : السهولة بفسخ الشرائع بالرشوات والاغراض البشرية المولدة للابرياء من التبعات مضرات كثيرة . وذلك كله ناتج عن حب الفضة والذهب — **ثالثاً** : ثلب اعراض الناس بالكذب والغش . وقد نتجت عن ذلك اشياء نجسة تضاد وصية الله والكنيسة والطبع البشري لئلا اهين مسامعكم الطاهرة ... وانا معتقد يا أيها الأب الاقدس اني ملزوم بالذمة ان اعرض على مسامعكم الطاهرة كل هذه الاشياء . لكي ترسلوا قاصداً رسولياً من قبلكم ليعقد مجمعاً يدرس كل هذه الامور ... وسابقاً كتبتُ عنها مراراً للمجمع المقدس . ولكن ظهر عندي واضحاً ان برومية ايضاً اناساً ذمتهم لا توجعهم ويفشّون المجمع المقدس فيفهموهم هذه الشرور بالعكس . خلافاً للحق والصواب . وعلى ما يناسب اغراضهم . ولذلك انا سلمتُ ذاتي لغيرتكم الرسولية تسليماً كلياً . فان رأيتم مناسباً . امروا بتطبيب هذه الاحوال الضرورية جداً لتثبيت الحقيقة . ولمجد الله تعالى ...

الحقير ولدكم المطيع

+ عبدالله مطران بيروت .

ومما لا شكّ فيه ان المطران عبدالله لما علم ان **ملاحظاته** التي رفعها الى الكرسي الرسولي قد وصلت الى مقام المجمع المقدس ولم يبد اعضاؤه المحترمون حركة للاصلاح . اتبعها سيادته بملاحظات أخرى ابلغ واقعية واشد تاثيراً . فأخبرهم بما جرى معه ومع السيد البطريرك يعقوب عواد قائلاً :

« رسمني السيد البطريرك مطراناً على أبرشية بيروت دون ان يسلّمني مقاليدها . بل خوّلني السلطة على قسم من كسروان والمتن ، وكنتُ اقيم في دير حراش الراهبات لانشيء لهن قانوناً . ثم كلفني تسليم رعية دمشق الشام . فقبلتُ تسلّمها مع بُعدها

وصغرها وفقرها ومشاكلها . وقد تجشّمت السفر اليها ، ونازعتُ المرسلين الكبوشيين ورؤساء بعض الطوائف المتنفذين لأجل استخلاص كنيسة الموارنة فيها ، وما زلتُ انازع عليها حتى استرددتُ حقوق كنيستنا القديمة . فرتّبت رعيتها وخدمتها وكل امورها ، ولما عدتُ الى لبنان مع وفد من وجهائها لمقابلة السيد البطريرك ، قابلنا غبطته بالخشونة ، وصرّح لنا جميعاً ان الابرشية هي لابن أخيه المطران سمعان عواد ، لأنه قد رسَمه عليها . فرفض الدمشقيون الذين كانوا معي التخلي عني ، لانني خدمتهم باخلاص ، وخلصّتهم من استبداد الغريب .

« ومع ذلك انا رضختُ لغبطته وضحّيت باتعابي ومساعي الناجحة . لكني طلبتُ من السيد البطريرك تسليمي رعية بيروت التي رسمتُ عليها ، عملاً بالمبدأ عينه الذي ذكره غبطته . فرفض طلبي المحق هذا ، واستاء ابن أخيه سمعان عواد مني . فتآمر المطران سمعان هذا مع المطران الياس محاسب الذي كان مستاءً بدوره مني ، لانني مانعتُ بشدةٍ في رسامته اسقفاً في حينه ، وشكاني الى الحاكم الدرزي ، وقد قاسيت من جراء ذلك سجناً ودفع غرامة ، كما سبق ذلك والحقت بي اهانات عديدة .

« لذلك ارجو من سمو مقامكم الشريف ان تتحققوا من كلامي هذا ، وتعملوا على معالجة هذا **الفوضى والتعديات** على الشريعة المسيحية والانظمة البيعية بوضع دستور واضح رادع ، او بارسال مندوب من قبلكم (أي قاصد رسولي) يقضي ، ويشرع ، وينظم في هذه الامور الرديئة قبل استفحالها كثيراً جداً . . . » .

فنزل الكرسي الرسولي عند طلبه واوفد القس جبرايل حوا الحلبي قاصداً رسولياً الى الطائفة ، وامره ان **يعقد مجمعاً طائفياً** يضمّ البطريرك والاساقفة والعلماء والمرسلين ، حسب طلب المطران عبدالله ، ليحكموا في الخلافات بين المطران عبدالله وبين البطريرك والمطرانين سمعان عواد والياس محاسب ، وان يصفوا الدواء الناجح للامراض التي اشار اليها في عرائضه ورسائله الى المجمع المقدس . على ان الأب حوا مندوب المجمع انحرف عن الحق واهمل

المهمة الرسولية التي كلفه بها الكرسي الرسولي المقدس . فسعى للحؤول دون عقد المجمع الطائفي المنظور . خوفا على اصدقائه : البطرك يعقوب عواد والمطرانين المذكورين سمعان عواد والياس محاسب من ان يخرجوا من المجمع المرتجي مغلوبين على امرهم ومشجوبين ايضاً .

اما المطران عبدالله وابناؤه الرهبان فلم يسكتوا على الاهانات الملحقة بهم وبه ولو على عدم وصف المعالجات لها بوضع دستور رادع منتظر يصف لكل داء دواء . فكتب سيادته باسمهم وباسمه الى المجمع المقدس ايضاً وعرض عليه بالتفصيل ما حصل له مع مندوبه الرسولي الأب جبرايل حوا نسيب السيد البطريرك . مكرراً سرد الامور التي حدثت في الطائفة . الى قداسة البابا الجديد زخيا الثالث عشر . لمناسبة ارتقائه الى السدة الرسولية سنة ۱۷۲۱ . ملتمساً من قداسته ان يصدر امره السامي بعقد مجمع طائفي يتولى معالجة كل تلك الامور الشاذة . ويكون مؤلفا من جملة اساقفة ومرسلين وعلماء وقانونيين ليتبصروا في كيفية اظهار الحق والعدالة . ويطلعوا بذواتهم علـى اسباب الفتن والمؤامرات لاستئصالها . ويحكموا بالذين تراه ذمتهم الصالحة .

الخلاصة من كل ذلك ان المطران عبدالله لم يقصد من عقد المجمع الطائفي في البلاد تبرئة نفسه والتعويض عليه فقط مما لحق به من اهانات وتحقير بل كان همه الأول استئصال العلة من جسم الطائفة ومعالجتها بوضع دستور يحول دون انتكاسها مرة ثانية . فتكون الطامة الكبرى والخسارة الفادحة .

۲ — وفي اوائل سنة ۱۷۲۲ . عندما دار الحديث بجدية على الصلح بين المطران عبدالله والبطرك يعقوب عواد . اشترط هذا المطران الجليل على السيد البطريرك ان يترك للاساقفة حرية تدبير أبرشياتهم القانونية ، حسب سلطاتهم الشرعية . وان لا يرسم مطراناً الا بمشورتهم الصالحة . وان لا يقضي بامر ثقيل يخص الطائفة الا بمشورة المطارنة . وان لا يحلّ امرا ثقيلاً رسمه البطاركة او مجمع المطارنة الاّ بمجمع المطارنة . وان يوزّع الكتب

والحسنات الواردة اليه من الكرسي الرسولي ، حسب الاوامر التي يتلقاها من هذا الكرسي الرسولي . واذا حكم المطران على شخص من رعاياه فلا يجوز له ان يسمع دعواه الا بحضور مطرانه او بعلمه الخ[1] .

وهنا لا بدّ لنا من ذكر رسالة هامة بعث بها الى الحبر الاعظم قنصل فرنسا بصيدا السيد دي كريموي ، وهي مؤرخة في ٢٣ أيلول سنة ١٧٢٢ ، يشهد فيها شهادةً حسنة بالمطران عبدالله قراعلي وتجرده وما توخاه من الاصلاح الطائفي . وقد نشرتها مجلة المصور الفاتيكانية[2] (Illustration) الصادرة سنة ١٩٣٦ . قالت ما ترجمته :

ايها الأب الاقدس . . .

« تجدون بطيه كتاباً قدّمه المطران عبدالله الى قداستكم اني شاهد ايها الأب الاقدس ، ان هذا الحبر الجليل قبل الصلح من صميم قلبه . بل أنه سهّل سبيله ضد مصلحته الخاصة ، وعدّه صلحاً كاملاً ثابتاً . وما ذكره في كتابه من العيوب فلا يمسّ بشيء هذا الصلح . وما أقدم على ذكرها الا تلبيةً لواجب ضميره . هذه العيوب متغلغلة منذ زمن بعيد في الطائفة ، ولا يسعني ان اشك بحقيقتها ، ما دام هذا الحبر قد جرؤ على تاكيد وجودها لقداستكم . فهو معروف كاعظم أحبار هذه البلاد قداسةً وعلماً ، وسيرته طاهرة صالحة ، وغيرته شديدة على ديانتنا المقدسة والف ميزة حميدة يتحلى بها ، وقد جعلته موضوع احترام جميع أهل الصلاح .

« تأكدوا ايها الأب الاقداس ، ان الحقيقة وحدها تدفعني الى اداء هذه الشهادة التي لا ينكرها الا حساده واعداؤه . فقد تحريت عن سيرته وعن اعماله فلم أجد فيها الا ما يحملني على زيادة الاعتبار

---

١) راجع هذه المعلومات من كتاب اللآلي ، ص ٤٧٦ .

2) cf. Illustratione Vaticana 1936

لشخصه . وارى من واجبي ، ايها الأب الاقدس ، ان أخصه بالثناء على ما بذله بارتياح من الجهود ، وما قدّمه من التسهيلات للوصول الى الصلح المنشود ، ولاتمام هذا العمل الحميد ، طبقاً لرغبات قداستكم ... ولم يعد امامي سوى رفع الرجاء الى قداستك مبكل خضوع لتشملوني ببركتكم الرسولية ، وترونني سعيداً لو استحققتها باحترامي العميق لشخصكم المعظم ، وبمواصلة السهر على مصالح الكرسي الرسولي ، مؤكداً اني باق حياتي كلها في خدمتكم والسلام .

ولدكم
وخادمكم الكلي الخضوع
كريموي

وفي أواخر ايلول سنة ١٧٢٩ ، كتب الآباء المدبرون رسالةً الى رئيسهم العام الموجود في رومه الأب ميخايل اسكندر الاهدني ، وهي جواب على مكتوبه اليهم الذي يقولون فيه بما حرفيته :

« ذكرتم سابقاً انه عما قريب جدا يصل أمر سام الى السيد البطريرك في قيام مجمع طائفي . ونحن واكثر ابناء الطائفة منتظرين هذا كثيراً جداً ، لأن الجميع راغبون في هذا المجمع البلدي الذي ينتج عنه خير كبير للطائفة » ومعالجة دقيقة لهذه الامراض الرديئة التي عدّدنها اعلاه .

ولا شك بأن الأب العام ميخايل اسكندر عمل في رومه حثيثا مع صديقه العلاّمة يوسف السمعاني الشهير على تحقيق هذا المجمع المنظور ، وذلك بناءً على تحريضات وعرائض المطران عبدالله قراعلي وتلميذه الأب العام توما اللبودي اللذين كانا لا يفتران عن هذا التصريح(٢) : « ان اعداء الرهبنة هم فاغرون أفواههم لابتلاعها بعد تحطيم ركائزها ، وهم كثيرون من أصحاب الحكم والسلطة والنفوذ . فاسعوا جهدكم يا أبانا في اقناع المجمع المقدس بارسال

---

٢) راجع تاريخ الأب لويس بليبل المجلد الأول ، ص ١٥٣ .

مندوب رسولي كامل التفويضات ليعقد مجمعاً طائفياً برئاسته ليداوي كل هذه الامراض السارية المؤذية » .

٣ — وبالواقع حضر القاصد الرسولي العلاّمة الماروني يوسف سمعان السمعاني الى دير سيدة اللويزة ، حاملاً معه كل التفويضات اللازمة والبراءات البابوية لعقد مجمع طائفي هو دستور المجمع اللبناني الشهير فأستقبله قدس الرئيس العام الأب توما اللبودي الحلبي المشهور بالعلم والفضيلة والغيرة والحركة استقبالاً منقطع النظير ، ونوّرت الاديار في كل المنطقة ، تعظيماً لشخصه السامي ومعارفه الكثيرة ومطبوعاته الجليلة . وبعد اسبوع من حضوره الى اللويزة ، وتقبل التهانيء ، توّجه مع الرئيس العام وحضرات الآباء المدبرين وبعض الرهبان الى عند السيد البطريرك في وادي قنوبين بالشمال ، السيد يوسف ضرغام الخازن . وقد استقبله غبطته اعظم استقبال ، فالبسه الشارات الحبرية الفاخرة ، وقرعت الاجراس وادخل باحتفال الى الكنيسة ، وكان الرهبان يرتلون ويقرعون النواقيس والسنوج . وفي الكنيسة تليت البراءات البابوية باللغتين اللاتينية والعربية .

وبعد الاجتماع بين البطريرك والقاصد الرسولي ، تعيّن ميعاد عقد المجمع اللبناني في دير مار سركيس بريفون ، وكان هذا الدير موضوعاً تحت ولاية السيد البطريرك ، لترهبه فيه ، وترأسه عليه ، وترقيته فيه أسقفاً ثم بطريركاً . فضلاً عن أنه كان واقعاً في حكم اقاربه مشايخ آل الخازن الكرام . وما عقدت فيه الجلسة الأولى حتى انفرط عقدها ، لأن البطريرك صرّح في الجلسة بعزمه على الاحتفاظ « باحتكار السلطة والامتيازات والمنافع وكل الابرشيات وتقديس الزيوت المقدسة وتوزيعها . وجلّ ما رضي به من اصلاح هو بعض التوافه من العيوب والنقائص » .

ولما اشتمّ في بعض المطارين رائحة المعارضة والمطالبة الشرعية بحقوقهم المسلوبة ، استعان عليهم باقاربه المشايخ اصحاب السلطان في المنطقة ، فهبّوا حالاً لنجدته بخيلهم واسلحتهم وتهديداتهم .

فلما رأى المطارين هذه الثورة العارمـــة يقوم بها السيد البطريرك ، انصاعوا لاوامره صاغرين ، ولم يسع العلامة السمعاني مقاومة هذا التيار الجارف ، فعمد ايضاً الى المداراة تلافياً للشر ، وضناً بقيام المجمع ، على ان يتسلّح بعد انعقاده بسيف الكرسي الرسولي الروماني ، فيملي الدستور الذي جاء به املاء ، فينصاعون اليه . وهكذا كان ، اعني ان السيد البطرك وحزبه لم يسعهم ان يقاطعوا انعقاد المجمع اللبناني المنوي عقده ، لئلا يظهروا عصاة متمرّدين على الكرسي الرسولي المقدس ، ولا سيما بعد ان كلم غبطته بهذا الخصوص نسيبه الشيخ ابو نوفل الخازن ، نزولاً وخضوعا لامر رئيسه الكبير قنصل فرنسا العام المقيم في صيدا .

وكان ايضا المونسنيور يوسف السمعاني قد ارسل الى غبطته كتابة صريحة بهذا الشأن مع رئيس دير سيدة اللويزة يطلب منه ان ينزل الى دير سيدة اللويزة حيث ينتظر عدد كبير من المطارنة والمرسلين والاعيان والمشايخ وتلاميذ مدرسة رومية ، لكي يتابعوا اعمال المجمع اللبناني ، تكملة لما بوديء به في دير مار سركيس ريفون . فنزل غبطته مع المطارين الذين من حزبه ، وتباحثوا مع القاصد الرسولي والحاضرين من اساقفة ورهبان وغيرهم ، ومن ثم تمموا اعمال المجمع اللبناني في مدة ثلاثة ايام في دير اللويزة ، وليس في دير مار سركيس ريفون .

وكذلك لم يذهبوا الى دير قنوبين المقر البطريركي الرسمي ، كما يدعـّي البعض حسداً لتكميل المجمع هناك ، خوفاً من « جيش الاسلام » الذي كان مقيما في طرابلس . ولان كثيرين من المدعويين للاشتراك في المجمع اعتذروا عن الحضور الى قنوبين للسبب نفسه. وجاء في سجلات اللويزة الرسمية القديمة ان هذا الدير العامر تكلف على المجمع اللبناني واعضائه البالغ عددهم فوق المئة مشتركا مبلغ سبعة الآف قرش ذهبا ، ما عدا ما انفقه من مصاريف متنوعة على مكوث العلامة السمعاني في دير اللويزة وضيافته وروحاته وتنقلاته وما الى ذلك(٤) .

---

٤) انظر كتاب اللآلي المذكور ، ص ٤٩٢ وما بعدها .

٤ ــ **مذكرات العلامة السمعاني** توضح وتؤكد ما شرحناه اعلاه ، وهذا ما جاء فيها لتحقيق ذلك :

« يوم الاثنين الذي هو السابع عشر من ايلول سنة ١٧٣٦ ، استقاموا ايضاً على تلك الحال ، والسادات المطارين جميعاً قالوا للبطريرك ان راي المطران عبدالله قراعلي مليح جداً ، وان كنت تريد نغيّر جميعنا الورقة وتكتب حسب ما كتب المذكور ، اي ان رضي المجمع المقدس بذلك . واخيراً ابتدا البطريرك يقول : انا ما عدت اريد المطران عبدالله يحضر معنا في المجمع ... فقال له حضرة المونسنيور السمعاني ، ليس لك أن تمنعه عن الحضور من غير سبب داعي لذلك . واخيراً حضرة المونسنيور هتف قائلاً : انا ماضي الى مكان الجلسة لكي اتممّ عملي الذي اتيت من اجله من قبل الكرسي الرسولي المقدس . فالذي له ارادة فليحضر معي لأجل العمل الجماعي . والذي لا يريد فعلى خاطره .

« نتوجّه مع حضرة المونسنيور المطران سمعان عواد ، والمطران عبدالله قراعلي ، والمطران جبرائيل عواد ، والمطران اغناطيوس شرابيه وكتبوا هناك عرض حال للمجمع المقدس في هذه الاحوال التي جرت لكي أن استقاموا عليها يرسلوه . وحين توجّه حضرة المونسنيور بغيظ الى مكان الجلسة ، فابتدأ الشيخ نوفل بن حصن القنصل الفرنسوي يتكلم كلاماً غير لائق : أي ان كانت الامور هكذا على هذا الحال ، بقى دين السيف اصلح من دين النصارى . وغير ذلك كلام كثير . ثم ابتدا يقول للبطريرك : انت مفوض الامر على خاطرك ان اردت أن تعمل مجمع ، وان ما اردت فلا . والذي انت تريده ان يحضر والذي لا تريده فلا يقدر أن يحضر . وكلام غيره مما يزيد البطرك ثباتاً بما هو فيه . فابتدا البطرك يتكلم مثل هذا الكلام ، أي اني انا مفوض في عمل المجمع ، وكل شيء يصير على خاطري ومثل ما اريد افعل .

« اخيراً ارسل حضرة المونسنيور البعض من المطارين ومعهم اثنان من المرسلين هما البادري فرنسيس القدسي ورفيقه البادري يوسف وتكلموا مع السيد البطريرك ، لكي أنه يترك هذا الشيء

ويتوجّه معهم ويكملوا جميع ما ابتدأوا به . فنفر غبطته بالرهبان المذكورين وقال لهم : انا ما اريدكم تحضرون معنا في المجمع لأن فراماني الذي من الحبر الاعظم لا يذكر ان تحضروا معنا . فرجعوا من عنده الى عند حضرة المونسنيور مغتاظين جدا . فلما نظر حضرة المونسنيور هذه الحال ، وان ما امكن يصير اتفاق ، قام حالاً من هناك وركب متوجهاً مغتاظاً راجعاً الى دير اللويزة . وتبعه من هناك حضرة المطران سمعان عواد والمطران عبدالله والمطران جبرايل عواد والمطران اغناطيوس سرابيه ، والقس توما اللبودي أب عام الرهبان الحلبيين الموارنة (لأنه كان ينوب في المجمع عن مطران حلب السيد جبرايل حوشب) ، ورهبانه ، والخوري اسطفان ورد سكرتير البطريرك . وحين خروجهم ، طلع من فوق الدرب شماس المطران اسطفان الدويهي يرشق الخيل بالحجارة احتقاراً . . . » .

وجاء في **المذكرات** نفسها ما يلي :

« ان القاصد الرسولي المونسنيور السمعاني ، بعد كل ما جرى اعلاه بخصوص الاساقفة وحاله ، كتب من دير اللويزة الى قنصل فرنسا العام في صيدا يشكو اليه الشيخ نوفل الخازن قنصل الدولة الفرنسية في بيروت ، وهو نسيب السيد البطريرك ومشجّعه على تلك الاعمال الشاذة . فكتب القنصل العام من صيدا يؤنبه على تصرفاته الرعناء ، بهذه المناسبة الدقيقة ، ويوعز اليه ان يشدّ ازر القاصد الرسولي ، نزولاً عند التعليمات الواردة اليه من جانب الكرسي المقدس . فعاد الشيخ نوفل واقنع البطريرك بأن يوافي القاصد الرسولي السمعاني الى دير سيدة بكركي . فكتب له السيد البطريرك بقبول هذا الحل شرط ان يجلب معه كتاب المجمع اللبناني اللاتيني ليطالعه وينظر ما فيه من قوانين . فأجابه العلامة السمعاني مثنياً عليه ، ومظهراً استعداده لملاقاته الى ذلك الدير ، على ان يتوّجها بعد ذلك الى دير سيدة اللويزة . لأن هذا الدير موافق حداً من جهاتٍ كثرة للمجمع وما يكون المجمع الا فيه . . .

« ويوم الاثنين الواقع في الـ٢٤ من أيلول سنة ١٧٣٦ ، كتب حضرة المونسنيور صورة وكالةٍ لحضرة المطران طوبيا الخازن لكي

يأخذ كتاب المجمع معه ، ويتوجّه لعند السيد البطريرك لكي يفحصوه جميعاً . وذكر له في الوكالة ، من قبل كل شيء يوضع البطريرك مع حضرة المطارين ختوماتهم في ورقة الاثني عشر قضية المختوم بها من المجمع المقدس[٥] . وبعد ان يختموا يسلّمهم الكتاب المذكور . وان ما رضيوا ان يختموا فلا يسلّمهم اياه بل يرده معه . وذكر له ان الشيء الذي يرضوه يبقوه في الورق . وارسل حضرة المونسنيور السمعاني في هذه الوكالة حضرة الأب العام توما اللبودي الى عند حضرة المطران طوبيا الخازن وصحبته القس جرجس الرزي رئيس دير سيدة اللويزة ، وكتبوا ايضاً مكتوب حضرة المطران عبدالله قراعلي والمطران اغناطيوس لحضرة المطران طوبيا يذكروا له فيه اننا نحن راضيين أولاً في الاثني عشر قضية المختومة من المجمع المقدس ، وراضيين في كل شيء موجود في كتاب المجمع اللبناني الذي جاء به حضرة القاصد الرسولي . فلأجل ذلك لا يلزم حضورنا مع حضرة السيد البطريرك والمطارين . . .

« ويوم الاربعاء الواقع في السادس والعشرين من أيلول من السنة نفسها ، توجّهوا من دير ريفون حضرة السيد البطريرك والمطارين جميعهم الى دير سيدة اللويزة ، وهم المطران الياس محاسب والمطران فيليب الجميل ، والمطران اسطفان الدويهي ، والمطران حنا حبقوق ، والمطران ميخايل البلوزاوي وياصجي السيد البطريرك ، ومعهم الشيخ كسروان ابن حصن الخازن . وحين وصول المذكورين ، طلعوا جميع السادات المطارين الذين كانوا في اللويزة مع رهبان الدير جميعهم صحبة حضرة المونسنيور يوسف السمعاني ، ولاقوا السيد البطريرك وحاشيته المذكورين ودخلوا جميعاً بزياح حافل . . .

« ثم بعد ذلك ، في هذا النهار اجتمع حضرة البطريرك مع المطارين الذين وصلوا معه وكتبوا ورقة شروط ، وهي أن المرسلين

---

٥) القضايا الاثنا عشر التي حكم بها المجمع المقدس ذكرها بكامل اعدادها الخوري بولس قراعلي في كتاب اللآلي ، ص ٥٠٧ ، يمكن الاطلاع عليها هناك حسماً للتطويل .

والرهبان اللبنانيين وتلاميذ المدرسة الرومانية . لا احد منهم يحضر بالمجمع غير حضرة المونسنيور والبطريرك والمطارين فقط . ثم ارسلوا الورقة الى المطران عبدالله والمطران اغناطيوس شرابيه ، فردّوا لهم الجواب ان هذا الشيء هو بيد حضرة القاصد الرسولي المكلف بعقد المجمع . فاعرضوها عليه لكي يختمها لهم . فما رضي بذلك . واخيراً بعد ان اجتمعوا مرار عدة في ذلك النهار . وتشاوروا ولم يجتنوا ضفعاً . فعادوا وارتضوا بورقة الاثني عشر قضية المذكورة اعلاه . والمرسلة من جانب المجمع الروماني المقدس ...

« ويوم الخميس الواقع في ٢٧ أيلول من السنةنفسها . اجتمع حضرة البطريرك والمطارين جميعا . وابتداوا يفحصون الكتاب الذي اتى به حضرة المونسنيور السمعاني من رومه . ورفعوا بعض قضايا لكي يبقوا يراجعون بها . ويوم الجمعة ٢٨ أيلول اجتمعوا ايضاً واكملوا فحصهم في الكتاب . واعتمدوا على عمل المجمع اللبناني بعد يومين . ثم ابتدا حضرة المونسنيور يكتب في هذا اليوم مكاتيب للذين يريدهم ان يحضروا بالمجمع اللبناني . وكان حضرة السمعاني قد احضر معه من رومية كتاب المجمع جاهزا باللغة اللاتينية ، فضلاً عن الملخص المعروف بالقضايا الاثنى عشر[٦] .

« ولما اعتمد الجميع على عقد المجمع اللبناني في اللويزة . أشهر البطريرك والقاصد الرسولي دعوة عامةً الى كل المطارين والاساقفة

---

٦) يقول هنا المؤرخ بولس قراعلي معقباً على ذلك ما يلي : عرفنا ذلك من شهادة عثرنا عليها في ارشيف المجمع المقدس برومية . بين سجلات الوثائق المارونية في المجلد ٥ ص ٩٢ ، وقعّها المطران عبدالله قراعلي ومؤازروه من المطارنة الذين رافقوا السمعاني الى دير سيدة قنوبين وهم طوبيا واشرابيه وسمعان عواد وهذه حرفيتها :

« نحن المدونة اسماونا ادناه نشهد اننا لما رحنا مع حضرة المونسنيور السمعاني الى دير قنوبين لعند السيد البطريرك ، طلب قدسه منا كتاب المجمع اللاتيني . لكن المونسنيور لم يرضى بذلك ، لكون الكتاب لم يفهموه . ثم لما اعتمدوا على فحصه بالمجمع بعد ترجمته العربية اعطاهم اياه وفحصوه بدون حضوره . وبعد الفحص صار المجمع وسجلوه الجميع بخاطرهم ورضاهم تحريراً في ٩ حزيران ١٧٣٦ » . الامضاءات اعلاه .

والمرسلين والخوازنة ورؤساء الاديار والكهنة وباقي أهل الاكليروس والرهبان مع حضرة المشايخ وسائر الشعب . والدعوة مؤرخة في ٢٩ أيلول سنة ١٧٣٦ . وقد اصدر كلاهما (البطرك والقاصد) منشوراً بتاريخ ٢٩ أيلول ضمّناه نظام المجمع وعيّنا فيه موظفيه : الخوري اسطفان عواد ابن شقيقة السمعاني مرتباً ، والخوري اسطفان ورد ، والخوري الياس سعد سكريتريه . والشدياق ابراهيم الحاقلاني وجرجس حبيب مسجلين . والقس ارسانيوس عبدالاحد الراهب الحلبي اللبناني ، والشدياق انطانيوس الغسطاوي قارئين .

« اما آباء المجمع فكانوا فضلاً عن السيد البطريرك والقاصد الرسولي السمعاني ، عشرة مطارين موارنة ، ومطران وكاهن ارمنيان ، ومطرانان من الروم الكاثوليك ، ومطران سرياني ، ومندوبون عن الرهبنات المارونية ، بينهم الأب يوسف قراعلي المدبر ، ورئيسان عامان للرهبنة اللبنانية والانطونية ورؤساء الاديار ، ومشايخ آل الخازن ، وحبيش ، وشلفون ، ودحداح ، ومندوبون من المرسلين : الكرمل ، واليسوعيين ، والفرنسيسكان ، والكبوشيين . فضلاً عن جمهور ، غفير من الكهنة والرهبان والمشايخ والعوام غصّ بهم دير اللويزة على رحبه ، وقد وضع مشايخ آل حقلاني بزوق مصبح تحت تصرف المجتمعين أربعين رأس خيل مسروجة ، كما جاء في مذكرات السمعاني المذكورة .

بعد كل هذه الاجراءات ، ابتدأت جلسات المجمع اللبناني يوم الأحد في ٣٠ من أيلول ، ودام المجمع ثلاثة أيام متتابعة لغاية اليوم الثاني من تشرين الأول سنة ١٧٣٦ ، فعقدت في أثنائها ست جلسات . راجع شرحاً مستفيضاً عن ذلك في كتاب المجمع اللبناني المطبوع في جونيه سنة ١٩٠٠ ، ص ٢٧ . وعند الانتهاء وضع جميع الاعضاء المشتركين تواقيعهم واختامهم في آخر كتاب المجمع اللبناني .

٥ — **زمن التطبيق** : بعد الانتهاء من عقد المجمع المذكور ، جاء وقت التطبيق ، وتأسيس دير خاص بالراهبات اللبنانيات في دير مار الياس الرأس القائم فوق دير سيدة اللويزة على رابية جميلة

تشرف على البحر وعلى العاصمة وبلاد كسروان . فاتفق القاصد الرسولي والمطران عبدالله والأب العام اللبودي على انشاء دير قانوني خاص بالراهبات . فقبلت الرهبنة المهمة . وباشرت سنة ١٧٣٧ بتأسيس دير مار الياس الرأس . وفتحت أبوابه سنة ١٧٤٠ لقبول طالبات الترهب فيه . بحسب قوانينها . مستدعية لارشادهن ثلاثة راهبات من دير حراش . وترأست عليهن الراهبة الام دومنينا من بلدة درعون . (راجع الأب جورج موراني في كتاب المصباح الرهباني . ص ٣٢) وسنتكلم على هذا الدير باسهاب في الفصل التابع . وقد قام بتنفيذ القرارات المجمعية واحكام الدستور الجديد العلامة القاصد الرسولي يوسف السمعاني لعلو مقامه . وسمو سلطانه . ومعارفه الكثيرة . ومقدرته العلمية . وكان أول قرار مجمعي **الاصلاح الرهباني** أي تحقيق القرار القاضي بفصل اديار الرهبان عن اديار الراهبات استئصالاً للمساوي . والاخطار التي كان يشكو منها المطران عبدالله قراعلي في شتى كتاباته الى المجمع المقدس .

وغني عن الاسهاب ان الأب عبدالله قراعلي عندما صار مطراناً عرضت عليه قضية تسليمه دير راهبات حراش لتنظيمه وتدبير راهبانه . وتكوين قانون خاص بهن . فتريّث أولاً الى ان تعهّد له السيد البطريرك يعقوب عواد ومشايخ آل الخازن والراهبات انفسهن بحرّية العمل ليكون الاصلاح الرهباني عندهن كاملاً غير منقوص . وهذا ما دعا تلميذه الأب توما اللبودي أن يبادره القول بدهشة قائلاً(٧) :

« انت يا سيدي قلت مرات عديدة بشأن الله طالب منك ان تنشر قانوناً للراهبات وترتيباً رهبانياً تاماً . ومع الزمن تتمثّل بهذا الدير النموذج بقية ديورة الراهبات ، وخاصةً الاماكن التي بها يقيم الرهبان والراهبات معاً بغير حجاب كامل . فلماذا تمانع الآن ؟ فأجابه قائلاً : حقاً يا ولدي كلامي السابق الذي قلته

---

(٧) راجع اللآلي المذكورة ص ٤٧٠ .

ليس هو عبثاً وغير صحيح . لكني الآن قد طالبني الرب لكي اخدمه بهذه الطريقة ، فأن امتناعي هو لكي اشترط شروطاً على خاطري حتى لا احد يعارضني في تدبير الدير والراهبات » .

ولم يمض على تسلمه دير حراش وقت طويل ، حتى صار كوردة بين الاشواك كما لا يخفى ، وسمّى القانون « بقانون راهبات مار انطونيوس حراش للراهبات » آملاً في تعميمه على كل المؤسسات الرهبانية المختصة بالراهبات . بعدها درّب راهباته على طريقة السير بموجب القانون الجديد . ثم سعى كثيراً لدى الكرسي الرسولي في إلحاق هذا الدير برهبانيته الحلبية اللبنانية لكي تسهر على تحقيقه وتنظيمه وترتيباته وعلى موارده وتكثيرها .

وجدير بالذكر ان الاصلاح الرهباني الذي اجراه الأب عبدالله إذ بدأ به راهباً ثم مدبراً ثم رئيساً عاماً ثم مطراناً ، مدة ١٦ سنة قضاها في رهبنته هو ومناصروه الكثيرون صادف عقبات كاداء ومشاكل صعبة ومطامع لا تحصى . ذلك لأن الاديار كانت عهدئذٍ واقعة تحت سيطرة الحكام ، والعائلات الواقفة لها والاساقفة ، وخاصة تحت رعاية السيد البطريرك الذي هو كان الكل في الكل « وكان يدعّي أنه هو صاحب الابرشيات في الطائفة المطلق الحرية ، يتصّرف بها على هواه . وما الاساقفة الا وكلاء فقط عنده ينقلهم البطرك منها متى شاء ، وعندما يشاء ، وقد يحرم اسقفاً من أبرشيته دون أن يلتزم بالتعويض عما يلتحق به من اضرار . . . وكان ينقض سلطتهم وأعمالهم دون مسوغٍ قانوني . . . وكان يقفل الكنائس في أبرشياتهم ويفتح بدلها أخرى . . . ولم يكن في الطائفة من يردعه ، لأنه لم يكن يوجد قانون أو دستور في الطائفة يمنعه أو يحدّ من سلطته(٨) » .

وهنا مناسبة أن نذكر ايضاً ما حدث للمطران عبدالله قراعلي بعدما رسمه البطرك يعقوب عواد رغماً عنه ، اسقفاً على بيروت كما ذكرنا اعلاه ، ليبعده عن أخوانه الرهبان لنيات مبيّتة . أنه

---

٨) راجع كتاب اللآلي المذكور ، ص ٤٧٢ .

رسمه مطراناً على بيروت ولم يسلمه مقاليدها بل خوّله السلطة على قسم من أبرشية كسروان والمتن معا . ثم نقله الى أبرشية الشام في سوريه . وهي أبرشية فقيرة صغيرة ومشاكلها كثيرة . فقبلها المطران عبدالله . متكلاً على مراحم الرب . عاملا بكل قواه على ترتيبها وتسييرها . باذلاً الجهود المضنية ليستطيع القيام بالابرشية ويجعلها مزدهرة . شأنه في كل عمل اتاه مدة حياته .

وهناك في دمشق الشام اضطر الى منازعة المرسلين الرهبان الفرنج الكبوشيين الذين كانوا قد استولوا على كنيسة الموارنة في الشام وصاروا يقدسون فيها . وبعد البذل والجهود الكثيرة تمكن من استرداد الكنيسة . وصار يستعملهالخدمة رعاياه واقامة الاسرار المقدسة فيها . وازدهرت الرعية ازدهاراً باهراً . وكان الجميع مسرورين من خدماته واعماله المتنوعة .

ولما رجع الى لبنان . بعد زمان طويل . زار السيد البطريرك ليقدم تقريرا عاما عن اعماله . قابله غبطته بالخشونة وقال له : « ان أبرشية الشام هي لابن اخي المطران سمعان عواد » الذي صار فيما بعد بطريركا على الطائفة المارونية . وذلك لانه مرسوم عليها منذ الابتداء . فرضخ المطران عبدالله لامر السيد البطريرك . ولكن الدمشقيين لم يقبلوا وظلوا متمسكين بمطرانهم عبدالله الذي ضحّى كثيراً في سبيل خدمتهم الروحية وغيرها . وقال المطران عبدالله للسيد البطريرك أنه يا سيدي عملا بالمبدا الذي استعملته غبطتك ارجو ان تسلّمني أبرشية بيروت التي رسمت عليها منذ الابتداء .

فرفض السيد البطريرك طلب المطران عبدالله ، لأن المطران سمعان عواد والمطران الياس محاسب كانا قد تآمرا على المطران عبدالله ، لأن هذا المطران لتقواه ومحبته لطائفته ما كان يريد ان يرتسم الخوري الياس محاسب مطراناً في الطائفة ، لأنه كان يعرفه جيداً ويعرف أنه لا يريد الهدؤ والخير للطائفة . بل يرغب في التآمر

واشعال الفتن والمشاكل . وكان يمانع في رسامته الى الدرجة الاسقفية لئلا يقع في السيمونية الممنوعة في الكنيسة . اما المطران سمعان عواد فكان يخاف من ان يؤثر على عمه السيد البطريرك فينحرف عن جادة الصواب . لهذه الاسباب وغيرها كان المطرانان المذكوران يشاكسان المطران عبدالله لعلمهما بأنه رجل الله وعالم بالقانون لا يحيد عن النطق بالحقيقة مهما كان الامر صعباً .

الفصل السادس

في الاديار الواجب تنظيمها حسب القرارات المجمعية .

تحمل القاصد الرسولي يوسف السمعاني والمطران عبدالله قراعلي والأب العام اللبودي الحلبي في سبيل فصل الاديار المزدوجة وتنظيمها ووضع قوانين لها ثابتة . الشيء الكثير من الاتعاب والجهود . ذلك لأنه كان للحكام حق الجباية على الاديار . لأنهم يحمونها كما يدعون من كل عدوان . ويحافظون عليها وعلى رهبانها وراهباتها . وكان للاساقفة حق الولاية على غالبية الاديار . لأنهم مترأسون عليها ويدبّرون شؤونها . مثلاً دير قزحيا يترأسه مطران . ودير مار ليشع عليه مطران . ودير سيدة طاميش عليه مطران . ودير مار يوحنا حراش عليه مطران . ودير عين ورقة عليه مطران . ودير الرومية في القليعات عليه مطران . ودير مار سركيس ريفون عليه مطران وغيرهم ايضا . وكان للعائلات الواقفة الاديار حق الاشراف والمداخلة والانتفاع ليحصلوا على بعض ما يطلبون منها[1] .

علاوة على ذلك . كانت هذه الاديار القديمة التي سنتكلم عليها . مثقلة بواجبات الضيافة . ودفع الاموال الاميرية . والاطماع الحكومية . ولهذه الاسباب المتعددة كان الرهبان والراهبات مضطرين الى اشغال الحقول . واقامة موسم الحرير . « وشيل القز » ليتمكنوا من القيام بأود حياتهم . وترميم اديارهم . واستقبال ضيوفهم عند قدومهم الى الاديار . وقد صرّح بذلك البطريرك يوسف الخازن في رسالته المؤرخة في التاسع من كانون الثاني سنة ١٧٣٧ .

---

1) راجع المجلة البطريركية لصاحبها الخوري بولس قراعلي . ص ٤٤٦ .

في قنوبين . الى العلامة يوسف السمعاني ، مكتفين هنا بنشر بعض
ما جاء فيها ، قال :

« اعلموا ان ديورتنا معاشهم من كدهم . وان رهباننا يوف
المال الاميري ، ويقوموا في معاش ذواتهم ، ومعاش الضيو
الواردين اليهم ؛ لأن الديورة صارت مثل التكايا ، وما عاد الرهب
يردون احداً ، واذا كان مدخولهم لا يكفيهم ، نزلوا تحت ديون باهظ
ما عاد فيهم يوفوا فوائدها . فكيف الآن تلزموهم بمطبخين وكلار
وكنيستين بمدة عشرة أيام تحت رباط وحرم كأنهم ملوك وعند
خزانات . . . » .

من يقف على هذه الرسالة البطريركية الهامة لا بدَّ له من
يلمس فيها بعض الحقائق التي دوّنها البطرك يوسف الخازن ليحوّ
ضد المطران عبدالله قراعلي ، ويجعله أن يتخلّى عن هذه الأمور
الصعبة . لأن غبطته ما كان يريد فصل الاديار المزدوجة عن بعضه
حسب قرارات المجمع اللبناني ، لأن اغلبها كان واقعاً تحت سيط
ورعايته وسيطرة الاساقفة معاونيه كالياس محاسب وغيره وتد
سيطرة الحكام كما اسلفنا .

لا شك أن المطران عبدالله كان شاعراً بالخطورة والصع
وبكثرة المشاكل التي تحول دون تنفيذ عملية الاصلاح الرهباني ا
يريدها الكرسي الرسولي لخير الرهبان انفسهم ، وازدهار اديار
ونشر اعمال التقوى والعلوم في الطائفة . فلأجل ذلك كوّن المط
عبدالله لجنةً رسمية عالية الشأن لتتولّى معالجة هذه العراقيل
وهي مؤلفة من القاصد الرسولي يوسف السمعاني نفسه
المطرانين طوبيا الخازن صاحب الكلمة المسموعة لدى المش
والحكام ، والمطران اغناطيوس سرابيه تلميذ المطران عبدالله ا
وصاحب الرأي السديد في هذا الامر ، والأب العام توما اللبو
صاحب الهمة العالية والفطنة النادرة والمقدرة الادبية والمالية مع
والغاية من كل ذلك أقناع المشايخ واصحاب الوقوفات والاس
بضرورة الاصلاح المنشود ، أو وقوفهم على الحياد ليست

المسؤولون القيام بواجباتهم الرسولية بوجه هذا المشروع الخطير ، أي الاصلاح الرهباني .

وعلاوة على ذلك ، حاول المطران عبدالله اقناع سكان الاديار المزدوجة ورؤساءها ، بفائدة هذا المشروع الروحي والادبي والرهباني ، وبالخضوع التام لاوامر الكرسي الرسولي الذي لا يفتر ابداً عن البذل والعمل بشتى الطرق في سبيل احياء الحياة الرهبانية وانعاشها وازدهارها في كل الاديار ، مقدِّمةً المساعدات في شتّى الميادين . ولنجاح هذه المهمة أقترح سيادته طريقة عملية فعالة تقوم بفرز جناح خاص في كل دير مزدوج ، مستقل عن المباني الديرية الأخرى تقيم فيه الراهبات موقتاً لبينما يشاد لهن دير خاص بهن بحوشه ومطبخه وكلاره ومعبده ، ان امكن .

اما الاديار الصغيرة التي فيها عددٌ قليل من الراهبات اقل من اعداد الرهبان ، فقد عزم المطران عبدالله أن يوعز الى رئيس عام رهبنته الأب توما اللبودي الغيور ان يشيد دير مار الياس الرأس السالف الذكر لتقيم فيه الراهبات المنفصلات من الاديار المزدوجة ، وهكذا يتمّ الاصلاح الرهباني المنشود . وبناء على ذلك ، باشر سيادته باصلاح الاديار الواقعة في أبرشيته وأبرشية زميله المطران طوبيا الخازن ، والتابعة لفرعي مشايخ ابي نوفل الخازن وابي صعب الخازن ، المؤيدين لافكاره واصلاحاته الرهبانية . وهذه لائحة بهذه الاديار المزدوجة التي قامت بأعملها اللجنة المذكورة اعلاه :

أولاً : دير مار الياس الرأس في منطقة كسروان :

هذا الدير صغير جدا ولا يستحق ان يدعى ديراً لحقارته ، فهو مؤلف من ثلاث قلالي ، ولكن منظره جميل للغاية ورائع ، لأنه قائم على رابيةٍ عالية فوق دير سيدة اللويزة ، وقرية زوق مصبح الكسروانية ، ويشرف على البحر الازرق ، وعلى العاصمة بيروت ، وجونيه وقرىكسروان الاصطيافية ، وعلى نهر الكلب وصخوره

القديمة المكتوبة بالاثار المتقادمة العهود . اشترى هذا الدير بناءً على رغبة المطران عبدالله والعلامة السمعاني ، الأب العام توما اللبودي سنة ١٧٣٦ ، كما جاء ذلك في حجة التسليم التي وقعها يوسف السمعاني القاصد الرسولي ، والمطران عبدالله قراعلي ، والمطران طوبيا الخازن ، والشيخ ابو فياض الخازن ؛ وشاد مكانه ديراً كبيراً منظماً لتقيم فيه الراهبات المارونيات المسكرات اسوةً براهبات دير حراش ، يمارسن حياتهن الرسولية حسب القانون الذي وضعه المطران عبدالله لراهبات حراش . واليك ما جاء في سجل دير اللويزة المحفوظ فيه كالآتي :

« المطران عبدالله والمونسنيور السمعاني خاطبا الأب العام توما اللبودي وحثّاه على عمل دير للراهبات ليتشبَّه به بقية الراهبات . وقد وعد القاصد السمعاني أن يقدم لهذا الدير كل سنة خمسماية قرش ، وكان الدير القديم مؤلفاً من ثلاث قلالي صغيرة ، وبيت بشكل عمار الفلاحين[٢] » . وسمّوا الراهبات لبنانيات ويتبعن قانون الرهبان اللبنانيين ويتدرّبن منهم في كل احوالهن . وقد تكلّفت الرهبانية على أصلاح الدير وتنظيمه مبلغ ١٨٨٦٥ قرش على عمار الدير وترميم كنيسته ومشترى اراضيه » .

اما هذا الدير قبل اصلاحه وترميمه فكان في يد القس بطرس صفرونيوس من رهبان العباد . فأتفق معه الأب العام توما بأن يسلّمه ديره هذا ليخصصه بالراهبات اللبنانيات ، والرهبانية تعتني بعماره وقيامه وترتيبه ، ويعيش هو فيه رفيقاً لمعلم الاعتراف الذي يتعيّن في الدير لخدمة الراهبات وغيرهن ، من غير أن يعترض على هذا الامر ... « وفي العاشر من كانون الأول من السنة نفسها ، كلم المطران عبدالله المشايخ آل خازن بهذا الخصوص وطالع منهم مكاتيب لحضرة المونسنيور السمعاني ، مضمونهم أنهم راضون في كل شيء يريده السمعاني ، وأنهم مستعدون بالطاعة

---

٢) راجع اللآلي ، ص ٥٢٧ ، وانظر تاريخ الأب لويس بليبل ج أول ص ٥٧ نقلا عن مخطوط دير اللويزة وسجله الخطي .

للكرسي الرسولي وبخدمته في كل شيء يتمكنون منه . فكتب حينئذ سيادته الى رؤساء الديورة المزدوجة : الرومية ، وسيدة الحقلة ، ومار عبدا هرهريا ، والبقيعة وغيرها يعلمهم أنه عما قريب سيتوجّه الى ديورتهم لأجل تنظيم الرهبان والراهبات ، عملاً بقرارات المجمع اللبناني واتماماً لاوامر الكرسي الرسولي » .

ثانياً : دير مار جرجس الرومية بالقليعات :

هـذا الدير قديم جـدا ، لأن صاحب المقاطعة الكسروانية (ص ١١٥) يقول ان الابوين سمعان وانغرام من عرامون اشتريا محل الدير المذكور من الشيخ نادر الخازن بعد خرابه في سنة ١٣٠٥ ، واقام فيه بعد ترميمه[٣] . وهذا الدير قائم على كتف نهر الصليب على قمة عالية فوق النهر ، تشرف على المتن بكامله ، وعلى جبل صنين المكلل بالثلوج ، وعلى القرى الكثيرة التي تحوط به وترى امامه جميلة . وكان يقيم فيه رهبان وراهبات على السواء ، كما يظهر جليا من مذكرات المونسنيور السمعاني حيث قال :

« يوم الاحد الواقع في ١٦ كانون الأول سنة ١٧٣٦ توجّه حضرة المونسنيور من دير سيدة اللويزة الى زيارة الاديار المزدوجة ليسعى في نظامها وترتيبها ... فذهب هو والمطران طوبيا الخازن والمطران اغناطيوس سرابيه اصحاب الفكرة الاصلاحية ، والقس توما لبودي الرئيس العام للرهبانية المارونية والقس مبارك المدبر الثاني ، ورافقهم بعض الرهبان ، وحضرة الشيخ فياض الخازن والشيخ انطانيوس ابن ابي النصر الخازن ، الى دير مار جرجس الرومية في القليعات . وحين وصلوا ، طلع الخوري الياس رئيس الدير مع رهبانه الى لقائهم ، ودخلوا قدام حضرة المونسنيور ، بزياحٍ الى الكنيسة . وكان الخوري الياس قد ارتضى سابقاً مع حضرة المونسنيور ان يجعل ديره للراهبات ، وعددهن ستة راهبات ،

---

٣) راجع كتابنا « دليل الاديار » الذي طبعناه سنة ١٩٩٠ ، ص ٥١ .

وتكلم معه المونسنيور السمعاني لكي يجيب معهن ايضاً ست راهبات آخرى ، ويكون من جملتهن راهبتان من راهبات المطران عبدالله من حراش ، لكي يستقيموا عندهن مدة ليعلموهن طريقة القانون الرهباني الذي هم سالكون بموجبه في دير حراش .

« الخوري ارتضى أولاً بكل هذا ، ولكن بعدئذ اخذ يتعلل في بعض اشياء ، تارة يقول أنه يجعل الدير للرهبان ، ويطالع الراهبات من الدير ، وتارةً بعكس ذلك . فالمونسنيور أجتمع مع المطارين والخوري الياس وقالوا له ان يتفق على احد الامرين المذكورين ... لأن هذا غرض الكرسي الرسولي ، وكما الامر مطلوب منه ومن المجمع الروماني المقدس بدون تأخير ... واخيراً هدده المونسنيور بقوله له : انه سيحرم الدير وكل اعضائه اذا كان لا يتمم الاوامر الرسولية المقدسة ويحرم الجميع ... اخيراً رضي الخوري الياس بجعل ديره للراهبات فقط ، وانه يسلك بموجب قانون راهبات دير حراش الرسمي ، وان المطران عبدالله يعتني بهذا الدير وراهباته شأنه براهبات دير حراش نفسه ، وانه يعين لهن معلم اعترافه ليرشدهن ،ويعلمهن . وكتب حجةً على نفسه هذا الخوري ، واشهد المطارين والأب العام توما على ذلك . وهكذا ارسل المطران عبدالله راهبتين من دير حراش الى دير الرومية للقيام بهذا الواجب المقدس . وتمَّ كل شيء حسب أوامر الكرسي الرسولي والمجمع المقدس وقرارات المجمع اللبناني ... » .

ثالثاً : دير سيدة الحقلة في دلبتا :

هذا الدير ايضاً قديم جداً ، وهو كائن في اعلى بلدة دلبتا الكسروانية ، على رابية مكسوة بالغابات وشجر الصنوبر الجميل قال صاحب المقاطعة الكسروانية (ص ٥٧) أنه تجدد بناؤه في سنة ١٧٤٠ بعناية الأب الغيور الخوري يوسف آصاف العراموني . وبعد مضي نحو مئة سنة ترهب فيه الأخوان القس الياس والقس جرمانوس ولدا ابي مثلج يوحنا صقر اللذان خرجا من هذا الدير لمشاحنة حدثت بينهما وبين رئيس الدير الخوري بطرس ديب

وتوجّها الى دير مار دوميط البوار . واقاما فيه مع راهبتين تقومان بالخدمة الديرية اللازمة . وكان هذا الدير يخصّ ايضا دير سيدة الحقلة . وكان الامير يوسف الشهابي قد وهبه الى الخوري بطرس ديب في سنة ١٧٦٦(٤) .

وجاء في **مذكرات** المونسنيور السمعاني (ص ٨١) ان المطران عبدالله قراعلي توجّه من دير الرومية مفتاظا . « يوم الخميس الواقع في العشرين من كانون الأول من السنة المذكورة الى دير سيدة الحقلة . حيث كان المونسنيور يوسف السمعاني قد وصل قبله . واخبره عن رئيس دير مارجرجس الرومية ورهبانه أنهم رجعوا تقلبوا عن وعدهم ورضاهم الذي كتبوه بخطوط ايديهم . ورجع الأب الرئيس يتعلّل كالأول . ويقول أنه بطل عن الراهبات . ويريد ان يكون ديره للرهبان ...

« فكتب المونسنيور السمعاني . لما سمع هذا الكلام . الى رئيس دير الورمية ورهبانه ورقة حرم ان كانوا لا يرجعون عن كلامهم ويكمّلوا المطلوب منهم . ولا احد يستطيع أن يحلّهم من حرمهم هذا ولا السيد البطريرك . بل يكون الحرم محفوظا للحبر الاعظم نفسه وحده دون سواه ... فرجع الخوري الياس . وتمسّك بكلام المونسنيور السمعاني . وهكذا نجا من الحرم ... » .

ولنتابع كلامنا عما قاله المونسنيور السمعاني في مذكراته بشأن دير الحقلة (ص ٨٣) قال :

« وصل الخوري بطرس ديب رئيس دير سيدة الحقلة الى دير الرومية ، وتكلم مع المونسنيور السمعاني وقال له : « ان السيد البطريرك قال لهم انكم لا تعملوا شيئا من غير ورقة مختومة بختمي انا ... ولما ابان له الشكوك والخطايا التي تصدر من مخالفتهم الامر الصادر من الكرسي الرسولي والمجمع اللبناني .

---

٤) راجع كتابنا عن دليل الاديارا للبنانية ، ص ٣٧ .

عاد الرئيس فارتضى باكمال امر المجمع المقدس بشأن تنفيذ الاصلاح الرهباني . وفي يوم الجمعة الواقع في ٢١ كانون الأول تكلم المونسنيور مع رئيس دير سيدة الحقلة واعطى قبولاً على انهم يتفق رهبان ديرهم مع رهبان دير سيدة البقيعة ، ويجعلوا دير سيدة الحقلة للراهبات وحدهن ، ودير البقيعة للرهبان بدون اختلاط ، وكان حاضراً رئيس دير البقيعة ورهبانه ، وعملوا حجةً في هذا الاتفاق ، وكان حاضراً ايضاً هذا الاتفاق كل المشايخ والاساقفة والأب العام وبعض الرهبان ، وكلهم وقعّوا على هذه الحجة ، وهي محفوظة في ارشيف بكركي في الجارور المخصّص للصكوك القديمة(٥) .

رابعاً : دير مار عبدا هرهريا في غزير :

أسس هذا الدير آل آصاف الموارنة الذين يلقبوّن ببني معتوق المقيمين في المجدل ، ثم انتسبوا الى بني آصاف الكرام من الخوري آصاف نفسه ، الذي زهد في الدنيا هو وامرأته واولاده الاربعة ، وجاوؤا الى بلدة عرامون واسسوا هذا الدير سنة ١٦٥٥ وسكنوا فيه(٦) .

وقال المونسنيور السمعاني في مذكراته المذكورة في الموضع نفسه ما يلي : « وبعد الظهر من يوم الأحد ٢٧ من كانون الأول سنة ١٧٣٦ ، توّجه السمعاني مع رفاقه المطارين عبدالله ، وطوبيا الخازن ، وشرابيه والأب العام توما ، الى عرامون لعند الشيخ ابو ابراهيم الدحداح الذي كان داعيهم للعشاء . ومن هناك كتب السمعاني مكتوباً الى الخوري عبدالله رئيس دير مار عبدا هرهريا الذي كان في دير ميفوق من بلاد جبيل ليحضر الى ديره حالاً ، لأنه هو ورفاقه المطارين متوّجهون الى ديره ليسعى في نظامه مثل باقي

---

٥) راجع كتاب اللآلي للخوري قراعلي ، ص ٥٢٣ .

٦) راجع كتابنا عن دليل الاديار ، ص ٣٦ . وانظر مذكرات السمعاني ص ٨٣ .

الديورة • ويفصل الراهبات عن الرهبان • حسب أمر المجمع المقدس والكرسي الرسولي ...

« ويوم الأحد بعد الغداء • توجّه حضرة المونسنيور وكل رفاقه الى بيت الشيخ عماد في قرية عرامون لتناول العشاء عنده كما قلنا . وبعد العشاء توجّهوا الى دير مار عبدا المذكور . فخرج الرهبان لملاقاتهم كالعادة ...

« ويوم الاثنين • وصل مكتوب من السيد البطريرك لحضرة المونسنيور مضمونه الاعتذار عن الخوري عبدالله رئيس الدير المذكور بأن حضوره الآن متعسّر لأجل أنه اخذ ديرا جديدا آخر • وعمال يسعى في عماره . وبالوقت نفسه يذكر غبطته بأن الخوري عبدالله المذكور هو راضي وقابل بكل شيء يعملوه بهذا الخصوص • وهو ايضا راضي ومستحسن هذا التدبير • وبالوقت نفسه يحثّ القاصد الرسولي بأن يساوى جميع الاديرة بهذا الترتيب الحسن »[7] .

« عندئذ نظم حضرة المونسنيور احوال ديرهم هذا • وعيّن مكانا آخر لينتقلوا اليه الراهبات بعيدا عن الرهبان حتى يكنّ وحدهن مفترقات بالكنيسة • والمطبخ • والكلار • عن الرهبان . وامرهم ان يعيّنوا لهم معلم اعتراف ...

« ثم جاء الخوري عبدالله الرئيس طائعا ورضي بالذي عمله السمعاني بأمر البابا • واعطى قولا بأنه يرسل راهباته الى المكان الذي تعيّن لهنّ خارج الدير • بينما يعمّر لهنّ مكاناً مناسباً . وكتب على نفسه حجةً بذلك ممهورة بتوقيعه وتوقيع القاصد الرسولي والسادة المطارين والأب العام توما • وهي مؤرخة في ٢٥ كانون الأول من سنة ١٧٣٦ . وهذه المكاتيب والحجة محفوظة في ارشيف بكركي المعلوم ... » .

---

٧) راجع اللآلي نفسها ، ص ٥٣٤ .

خامساً : دير عين ورقة في غوسطا :

فهذا الدير التاريخي العظيم تائم في وادي عين ورقة الشهيرة . لكنه تحوّل الى مدرسة فيما بعد مشهورة جداً في كل الانحاء ، وقد جاءت بعد مدرسة رومه المارونية التي انجبت علماء موارنة وكهنة فضلاء ورهبانا مثقفين وكتبة معروفين في تاريخ الطائفة(٨) .

اسس هذا الدير القس جرجس خيرالله اسطفان الغسطاوي الذي زهد في الدنيا ، وانفرد في دير مارشليطا مقبس بغوسطا . ولما رأى ان اديار النسك والعبادة والصلاة قليلة جداً ، انشأ دير جديدا في عين ورقة نفسها ، عاونه على ذلك مشايخ بيت الخازن بناه في سفح الوادي المسمّى « المشرح » بالقرب من هذه المدرسة سنة ١٦٦٠ وشاد بقربه كنيسة صغيرة(٩) .

ولم يمضِ عشرون سنة على ذلك ، حتى نقل بناء الدير من مكانه الى حيث هو الآن ، وشاد بقربه كنيسة كبيرة على اسم مار انطونيوس الراهب سنة ١٦٩٠ . فكرستها البطريرك اسطفانوس الدويهي العظيم ، وقال عنه في عظته : « ان هذا الدير سينتج عنه خير عظيم للطائفة العزيزة » . وهكذا صار .

فقد تولّى ادارة هذا الدير القس جرجس المذكور زماناً طويلاً حتى بعدما رقاه البطريرك الدويهي الى الدرجة الاسقفية المقدسة على بيروت . لكنه تخلّى في حياته عن ادارة الدير الى ابن أخيه المطران يوسف اسطفان الغسطاوي . وبعد هذا جاء المطران يوحنا اسطفان ، وبعده المطران بولس اسطفان الذي في أيام رئاسته تحول الدير الى مدرسة مشهورة ، كما ذكرنا ، وقد وقّع وثيقة التحويل اخوه البطريرك يوسف اسطفان الغسطاوي(١٠) .

---

٨) وقد طبعنا هذا العام (١٩٩٢) كتاباً خاصاً عن المؤرخ الآباتي طوبيا العنيسي الذي نشر اسماء العلماء الذين انجبتهم هذه المدرسة المارونية الرومانية في ايطاليا .

٩) راجع كتابنا « دليل الاديار » المذكور ، ص ٤١ .

١٠) راجع المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

ولنرجع الى موضوعنا ، فلما اراد السمعاني الحضور الى هذا دير قبل تحويله ليقوم بالمهمة الاصلاحية المعروفة ، حسب ارادة لجمع الروماني المقدس ، كتب الى المطران يوحنا اسطفان الذي ان مطران بيروت ، ليحضر الى ديره « عين ورقة » ويشرف بنفسه لى النظام الجديد والتنظيم المنوي تنفيذه ، وقد سبقه السمعاني لى هذا الدير في يوم الجمعة الواقع في ٢٨ كانون الأول من سنة ١٧٣٠ ، وحضر معه المطران عبدالله الذي كان في دير البقيعة في لمهمة نفسها ، وسائر الرفقاء في اللجنة المعيّنة لهذا الامر الاصلاحي لمعروف .

« وحين وصول السمعاني الى دير عين ورقة ، طلع رئيس الدير الأب سمعان قزيله مع رهبانه واستقبلوا القاصد الرسولي والسادة المطارين والأب العام توما اللبودي ، ودخلوا معهم بزياح حافل الى الكنيسة كالعادة المعتادة . . . وبعد العشاء وصل مكتوب من المطران يوحنا اسطفان الى القاصد الرسولي السمعاني يتعلّل فيه عن الحضور ، ويقول فيه ان الدير هو في حكم المشايخ ، وبغير رضاهم ورضى السيد البطريرك لا يمكنه ان يعمل شيئا . فأجابه السمعاني بكتاب آخر يقول له : ان البطريرك والمشايخ هم راضون في نظام الديورة وترتيبهم ، ويذكر له ان حضوره لازم وبسرعة ، واذا لم يحضر لتكميل المطلوب ، يضطر الى وضع الحرم على الدير وعلى جمهوره ، ويكون الحرم محفوظا لقداسة الحبر الاعظم وحده . . . »[1] .

« ومساء يوم الأحد ، في ٣ كانون الأول من السنة نفسها ، اتى جواب المطران حنا اسطفان مثل الأول يعتذر ويتعلّل كالسابق ، فاغتاظ المونسنيور السمعاني من الجواب ، وحالا كتب ورقة حرم وربط الرهبان والدير ، وجعل لهم مهلة خمسة ايام لكي يختاروا احد امرين ، اما الانفصال حسب الاوامر الرسولية واما البقاء في الحرم والربط . . . وقد وقّع الحرم المطران عبدالله ورفقاؤه جميعا ، والحرم مؤرخ في ٣١ كانون الأول سنة ١٧٣٦ . ولكن المطران حنا

---

(1) راجع مذكرات السمعاني ، ص ٨٧ — ٨٩ .

رفع استغاثة الى قداسة البابا ، وشرح له بأن الديرين منفصلان عن بعضهما بواسطة دولاب توضع فيه الاشياء المطلوبة من احد الاديار ، وان ولداً يقوم بهذا العمل من غير أن يخالطوا الرهبان أو ينظروهن[١٢] . ولم نعد نعلم ماذ حدث بهذا الموضوع . اما فصل الاديار المزدوجة تحقق تنفيذه فيما بعد تماماً حسب الاوامر الرسولية .

سادساً : دير مار انطونيوس في بقعاتة كنعان :

انشأ هذا الدير سنة ١٧٦٤ البطريرك طوبيا الخازن اذ كان بعده مطراناً . وقد توفي في ديره هذا سنة ١٧٦٦ . وكان يعيش في الدير رهبان وراهبات ، حسب عادات تلك الايام . ولكن لما خاطبه العلامة السمعاني ورفيقه المطران عبدالله بفصل الراهبات عن الرهبان قبل المطران طوبيا الخازن الامر الرسولي ، بدون معاندة ، وفقاً لقرارات المجمع اللبناني المعمول بها من جانب الكرسي الرسولي . فنقل الراهبات من عنده الى دير مارجرجس الرومية بالقليات المخصص لهؤلاء الراهبات[١٣] .

سابعاً : دير مار موسى بللونه :

قال صاحب المقاطعة الكسروانية ان الشيخ عبدالسلام بن عبدالملك الخازن ، جدّد بناء هذا الدير سنة ١٧٦٤ ، وهو الدير الثلاثون من اديار منطقة كسروان المتجددة ، وكان فيه رهبان عبا وراهبات مسكرات يقمن بالخدمة في المطبخ والكلار والكنيسة[١٤] وكان ذلك تحت رئاسة المطران اغناطيوس شرابيه تلميذ المطران عبدالله قراعلي ، فكتب اليه القاصد الرسولي الى ديره في بللونة

---

١٢) راجع كتاب اللآلي نقلا عن مذكرات السمعاني ، ص ٥٣٨ .

١٣) راجع كتابنا « دليل الاديار » ، ص ٧٤ .

١٤) راجع المصدر نفسه في الموضع ذاته .

يرسل راهباته الى دير الرومية في القليعات . لانه كان قد تعوق عن ارسالهن بسبب مرض احداهن التي انتظروها الى ان شفت من مرضها . فارسلهن الى الدير حيث يصبح عددهن اثنتا عشر راهبة .

ثامناً : ديرمار شليطا مقبس في غوسطا :

بنى هذا الدير القس حنا محاسب سنة ١٦٤٠ . ومات في الدير بشيخوخة صالحة . وخلفه ابن أخيه البرديوط سركيس محاسب الذي دخل الرهبنة هناك منذ صغره . تحت اشراف عمه الرئيس الأول المذكور بالرحمة والبركة . وازدهر الدير في عهده بالعلم والفضيلة وجمع المال . وفي سنة ١٦٧٢ . سقطت كنيسة الدير . فجدّدها رئيس الدير نفسه . اما الرئيس الثالث هو المطران يوحنا محاسب الذي بقي مترئسا على الدير نحو ثلاثين سنة ومات فيه . ثم خلفه المطران الياس محاسب الذي رقاه الى الاسقفية البطريرك يعقوب عواد ضد ارادة المطران عبدالله قراعلي الذي كان يشتم فيه روح السيمونية . وكان قد حاول عند وفاة السيد البطريرك ان يكون هو المرشح بدله بأي ثمن كان . وقد تولّى ادارة الدير طول حياته ومات فيه سنة ١٧٤٨[١٥] .

كان يعيش في هذا الدير الرهبان والراهبات حسب عادة تلك الايام . فاراد القاصد الرسولي السمعاني ورفقاؤه المطارين عبدالله . وطوبيا . وسرابيه والأب العام توما اللبودي . ان يحققوا تنفيذ اوامر المجمع المقدس والمجمع اللبناني على هذا الدير ايضا . ولكن المطران محاسب وكان مستشار السيد البطريرك عواد النفعّال لديه . تمكّن بمحاولاته المريبة ان يمنع تحقيق القرار على ديره . كما جرى مع المطران حنا اسطفان رئيس دير عين ورقة السالف الذكر . . .

---

١٥) راجع « دليل الاديار » المذكور اعلاه . ص ٢٩ .

فكتب المونسنيور السمعاني الى السيد البطريرك في اليوم الثالث من كانون الثاني سنة ١٧٣٧ ، يخبره عن كل هذه الاحوال الشاذة في بعض الاديار المزدوجة ، ويذكرله بأنه اتاه مكاتيب من البلاط الروماني يلزموه في تنفيذ جميع الامور التي حضر الى لبنان لقضائها ، لكي يسعى في اكمالها وتحقيقها ، وعلى الخصوص في تنظيم الاديار المختلطة وفصل الرهبان عن الراهبات .

وقد كثرت المكاتبات بين القاصد الرسولي والسيد البطريرك بهذا الشأن ، ويمكن الوقوف عليها في كتاب اللآليء من صفحة ٥٣٨ الى صفحة ٥٥٠ . وقد توسط مشايخ آل الخازن أخوة السيد البطريرك مع المطران عبدالله قراعلي لما كانت بينهم من روابط محبة وتقدير ، وعلاقات طيبة ، ولما كان لهذا المطران عبدالله من كلمة مسموعة لدى العلامة السمعاني ومكانة عظمى . فكتب العلامة السمعاني في ١٥ كانون الثاني سنة ١٧٣٧ الى مشايخ بيت قنصوه الخازن أخوة البطريرك رسالة يقول لهم فيها :

« حضر لعندنا حضرة أخينا المطران عبدالله المكرم وتكلّم معنا بخصوص الدعوى الواقعة المعلومة ، وطلب منا أن نوضح لحضرتكم الامر الهام الذي لا بد منه ، وهو مقصودنا أولاً وآخراً ، وذلك اننا نريد بموجب امر قداسة الحبر الاعظم أن حضرة السيد البطريرك الكلي الاحترام ان يسلّم برضى وقبول بالاثني عشر قضية المحتوم بها من لدن الكرسي الرسولي المقدس . اما دعوى الراهبات والرهبان الواقع الاختلاف عليها ، وتفسير الانفصال المحتوم به ، فذلك الانفصال يكون خصوصاً في المطبخ والكلار وسدّ الباب بين الحوشنين ، وان أمكن في الكنيسة أيضاً . واذا لم يكن ذلك ممكناً ، وكان للراهبات « شعرية » فيمكنهم أن يحضرن القداس من وراءها في كنيسة الرهبان ، بحيث ان الراهبات يتممّن صلواتهن في ديرهن مثل راهبات الدنيا جميعهن . وهذا الترتيب يكون في الديورة الثلاثة اعني دير ريفون ، ودير مار شليطا مقبس ، ودير عين ورقة . واما في الديورة التي رتبّناها فيجب ان تبقى على ترتيبها . واما الديور الصغيرة مثل دير بحردق في جوار بيت شباب ، ودير بللونه وامثالهم

فهؤلاء لا بد من انعزالهم الكلي عن بعضهم البعض ... »[16] .

والخلاصة من هذا الفصل ، ان المغفور له المطران عبدالله قراعلي كان السند القوي للعلامة يوسف السمعاني لتحقيق اوامر الكرسي الرسولي المقدس الذي بذل ، كما رأينا ، الجهود الجبارة في سبيل ايصالها الى الكمال ، وكان الوسيط الوحيد بين السمعاني والسيد البطريرك وأخوته الخوازنة ليجعلهم يرضخون لاوامر رومه الخالده ويقبلون بتنفيذ القرارات المجمعية اللآئلة لخير الطائفة وتنظيمها وتحقيق آمال الرهبانية التي عملت حثيثاً في هذا الخصوص. وكان المطران عبدالله رجلاً تقياً متشرعاً ، ومحيطاً بكل احوال طائفته ورهبنته التي كان يحبها كثيراً ، وراغباً في ايصالها الى الكمال مهما كلفه ذلك من تضحيات وبذل جهود .

---

١٦) راجع كتاب اللآلي ، ص ٥٤٩ .

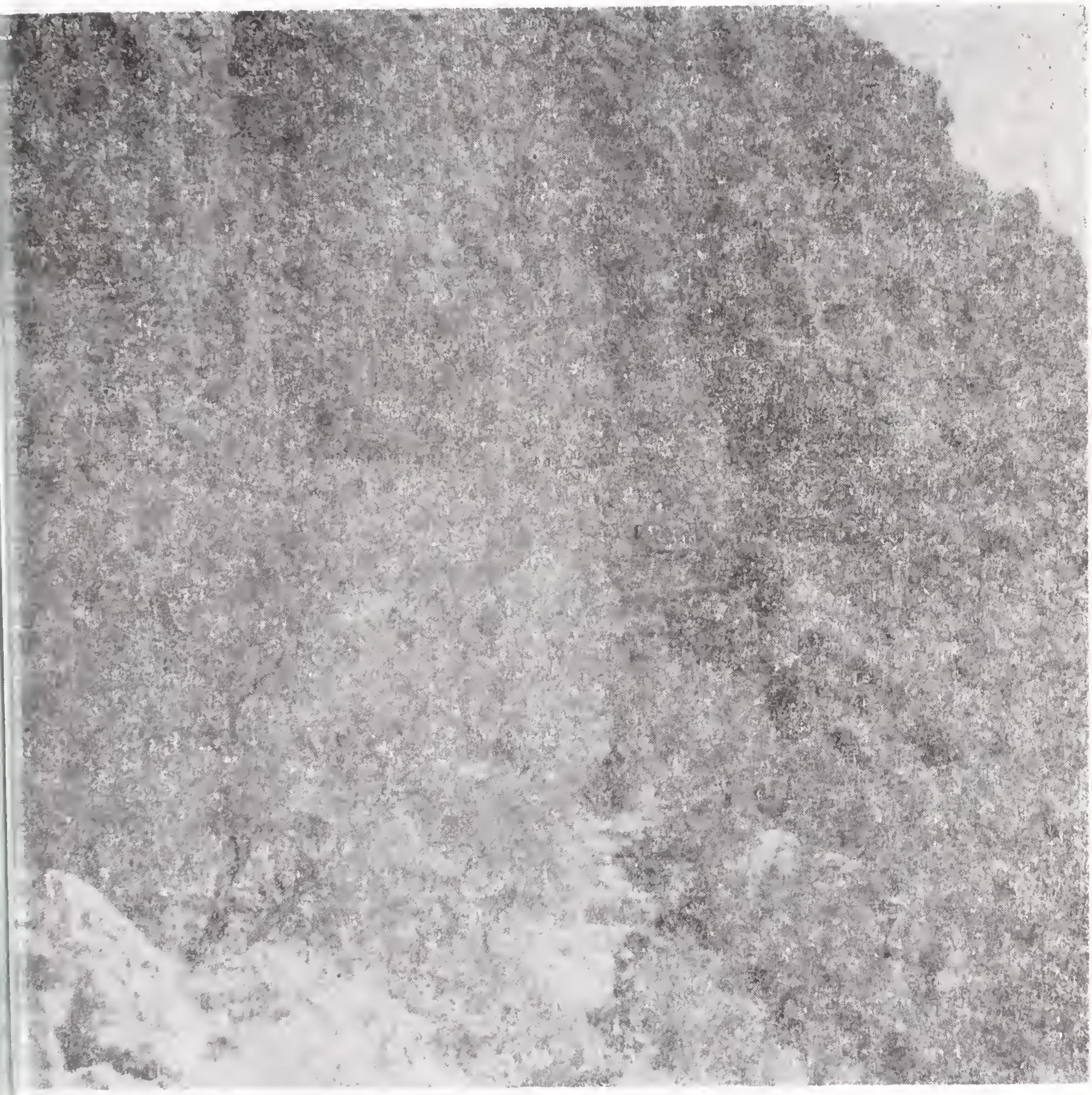

دير مار ليشع القديم حيث أسس المطران عبدالله رهبنته
سنة ١٦٩٥

الفصل السابع

في الدعاوى المقامة على المطران محاسب المناويء لتنفيذ الاصلاح في الطائفة والرهبنة .

١ — عقد المجمع اللبناني دستور الطائفة المارونية بين جميع الطوائف ، بناء على اوامر الكرسي الرسولي ومندوبها الرسولي العلامة يوسف السمعاني ، وبناء على طلبات السيد البطريرك الماروني واصحاب السيادة الاساقفة ، ورغبات الرهبان وكتاباتهم وكتابات الاعيان في لبنان سنة ١٧٣٦ ، في دير سيدة اللويزة ، بعد جهود وتضحيات لا تحصى . فجاء هذا الدستور بلسماً للنفوس العطشى الى النظام ، وحلاً للمشاكل التي كانت متفشية بين كل الطبقات ، وتذليلا للصعوبات الشائكة المختلفة ، وتنفيذا للطلبات اللازمة من كل المواضيع ، وشرحا لكل امر مستعص لا يوجد قانون يفضّه ، وحفظاً للعلاقات الطيبة المستحبة التي تنشيء السلام والمحبة والتعاون والاستقرار .

ولكن ابليس خزاه الله ، عدو الخير ومخترع الشر ، لا يريد ان تنشر الوية السلام والمحبة بين البشر ، بل يخترع النفاق والخلافات ليعكّر صفو الجو بين كل انسان وأخيه الانسان ، وفقا لوصية القديس بولس الرسول : ان الخير الذي اريده لا اعمله والشر الذي لا أريده اياه اعمل . فالخوري الياس محاسب الذي صار مطراناً بطرق غير مستقيمة ، كما يقول بصراحة المطران عبدالله قراعلي في شتّى كتاباته كما رأينا ، كان مستشاراً لغبطة السيد البطريرك يعقوب عواد الذي كان من طبعه بسيطاً في افكاره ومحبا لطائفته ولكنه ضعيف الرأي على رغم علومه الواسعة ، كما قال

المطران عبدالله ايضاً . فثأر هذا الخوري محاسب على مراقفه واعماله . فكان محاسب في كل عمل لا يرضيه يحاول ابعاد سيده البطريرك عن تتميمه ليوقع الشر في خصومه مهما كانوا . ولو كان هذا العمل مرضياً وموافقاً لخير الطائفة كما رأينا في المبحث عن فصل اديار الرهبان عن الراهبات ... مَن يا ترى يجرؤ على ابعاد البطريرك ابي الطائفة ومرشدها ومصلحها والمسؤول عنها . عن اجراء الاصلاح الذي طلبه هو نفسه من الكرسي الرسولي سوى المطران الياس محاسب ؟ مَن الذي حاول مراراً ان يختلس أبرشية جبيل والبترون من صاحبها المطران اغناطيوس شرابيه غير المطران محاسب الذي استعان بقوة الحكام المدنيين لنيل مرغوبه ؟ مَن الذي تآمر على المطران عبدالله قراعلي أخيه في الاسقفية لما رجع من الشام مع وفد دمشقي حيث كان يخدم ابناء الطائفة بتقوى ومحبة وغيرة واندفاع ؟ مَن الذي قاوم تنفيذ قرارات المجمع اللبناني والكرسي الرسولي المقدس عن الاصلاح الرهباني والطائفي والقانوني غير المطران محاسب ؟ وتوضيحاً لهذه التساؤلات اليكم رسالة مؤرخة في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٣٥ ، أي قبل انعقاد المجمع اللبناني بسنة واحدة ، بعث بها الأب العام توما اللبودي الغيور الى رئيس ديره في رومه الأب العالم يواصاف الدبسي البسكنتاوي لكي يطلع عليها نيافة الكردينال زندداري محامي الرهبنة عهدئذ ويعرف بعض هذه الحقائق المشوهة التي تحصل في الطائفة(١) . قال :

« اخبار بلاد جبيل هو ان الرعية معطاة الى سيدنا المطران شرابيه تلميذ المدرسة المارونية ، من قبل المغفور له البطريرك يعقوب عواد . وقد اثبته فيها فيما بعد البطريرك يوسف ضرغام الخازن القائم حالياً على الكرسي البطريركي الانطاكي . فأن حضرة المطران الياس محاسب لما رأى ذاته فارغ اليدين من السدة البطريركية التي كان راغباً فيها **بالمكر والحيل والسيمونيه** المحرّمة من جانب الكنيسة المقدسة ، ارسل الى اسماعيل حماده الحاكم في

---

١) راجع سجل الأب العام اللبودي عد ١٢٢ الذي نشرناه اخيراً في الكسليك .

قنوبين . والى بعض اناس من بلاد جبيل الذين هم ليسوا بمستقيمين السيرة . طالباً منهم ان يطردوا المطران اغناطيوس شرابيه من الرعية (الابرشية) وان يطلبوا مكانه المطران الياس محاسب . وهكذا صار . واستمرّ المطران اغناطيوس شرابيه المسكين مختبئاً في مزرعة بلاد البترون عند اناس فقراء مساكين . . . » .

واستطرد الأب توما يقول : « وبعناية من عند الله أمرتني الطاعة ان اتوجّه مع المطران طوبيا الخازن الى قنوبين حيث تولّى وكالتها . فمررنا في مدينة جبيل وكان هناك لحسن الحظ الشيخ اسماعيل حاكم البلاد . وكان لي عليه دالة كبيرة . فاستعطفت خاطره في تلك الليلة بشأن سلوك صديقنا المطران اغناطيوس شرابيه في رعيته (أبرشيته) . فتمّ مطلوبي بعون الله تعالى . ولأجل ناموسه . طلب مني ان سيدنا المطران طوبيا الخازن يستمنّه بذلك ليربّحه جميله . وبعد ذلك صرّف المطران اغناطيوس شرابيه في رعيته (ابرشيته) . . .

« وبعد كمال السنة . تحرك ثانية المطران الياس محاسب بحريكة أخرى ونجاهى بالمقتدرين بطلب الرعية المذكورة . واستمرّ هو وحزبه يضطهد المطران شرابيه انوف من ثلاثة أشهر . فاجتهد المطران عبدالله قراعلي وحزبهم في اصلاح الحال . وبعون الله تعالى تصرّف المطران اغناطيوس شرابيه في رعيته الى هذا الزمان . . .

« والآن نظر المطران الياس محاسب انه مستفرس على قيام الشرور كعادته . فاقتنع غبطة السيد البطريرك متسلحا بالمقتدرين ان يرفع يد المطران شرابيه من رعيته ليسلّمها اليه . والان القضية واقفة هنا . والمطران شرابيه ساكن بالقرب منا . وعلى ما ارى . وهو الحق الصريح . أن كل عمل خير هو مطارد من عدو الخير . لأن . كما تفهموا . بلاد جبيل والبترون وما يليهم هم مفتقرون الى الرشد الروحاني جدا . ومع هذا فالسكان مايلين الى الخير في الغاية . ولهم منذ سنين ما حظوا براعي صالح . وكهنة تلك البلاد اكثرهم غشم . وغشمهم اثقل من اسم بلادهم (أي اثقل من جبل على الصدر) . وحين رزقهم الله هذا المطران الصالح شرابيه في

سيرته واعماله وكان لهم في علمه ايضاً وغيرته في لوازم حفظ وظيفته ، حرّك عدو الخير أبليس عليه الاشخاص المذكورين لمضادة سعيه بعمل الخير . ورهباننا منذ دخول هذا المطران الى رعيته في جبيل والبترون لم يزالوا جايلين (متجولين) في البلاد لأجل الوعظ والارشاد والتعليم حسب الامكانات . . . » .

ومما نعرف من التاريخ ، فأن المطران محاسب نجح في مساعيه الأخيرة لدى السيد البطريرك وعزل المطران شرابيه من أبرشيته وحل مكانه المطران محاسب .

وقد اقام المطران شرابيه دعوى على زميله المطران محاسب ، وقد شهد على صدق ذلك المطران عبدالله قراعلي ورفقاؤه المعروفون، وذلك بعد الانتهاء من عقد المجمع اللبناني . واليكم شهادة المطران عبدالله في هذا الخصوص :

« نحن المحرّرون اسمنا في ذيله نشهد أنه في يوم الأحد الواقع في اليوم الثاني من كانون الأول سنة ١٧٣٦ ، في الصباح ، طلب المطران اغناطيوس شرابيه من غبطة السيد البطريرك أن يتواقف بالشريعة (أي يتقاضى) مع حضرة المطران الياس محاسب . وكان سابقاً قد كتب حضرة الامير الى السيد البطريرك والى المطرانين المقدم ذكرهما (أي محاسب وشرابيه) لكي يتشارعا في المحكمة عن دعوة الرعية وقدام حضرة المونسنيور يوسف السمعاني القاصد الرسولي . فكان جواب السيد البطريرك هذا الكلام : « انا ما اخلّي احداً منكم يتشارع ، لأن الرعايا هي اليّ ، وبيدي ، وانا اعمل بها ما اريد ، انصّب من أريد ، وأعزل من أريد ، ولا أحد له حكم على ذلك ، وان اردتُ فأني أبقيكم أثنينكم بلا رعايا » . فتأمل يا قاريء واحكم ما تراه عادلاً . وهذا والحق يقال هو نقض فاضح لرسوم وقرارات المجمع اللبناني ، وقد وقّع قراراته السيد البطريرك والمطران محاسب مــع سائــر الاساقفة والمطارين والمرسلين والرهبان » .

وهنا نقرأ توقيع المطران عبدالله ، والمطران طوبيا الخازن ،

وتوقيع قدس الأب العام رئيس رهبان مار انطونيوس الكبير الأب توما اللبودي والمدبر الأول يوسف قراعلي . والتاريخ في ١٧٣٦/١٢/٢ . فتأملوا واحكموا .

اما المطران عبدالله رئيس الحزب المساند للمونسنيور السمعاني ضد الحزب الذي يتزعمه المطران الياس محاسب . فقرر مع رفقائه المؤيدين للاصلاح الطائفي وهم المطارنة عبدالله قراعلي . واغناطيوس شرابيه . وطوبيا الخازن . وحنا اسطفان . واسطفان الدويهي وغيرهم والأب العام توما اللبودي والمدبر يوسف قراعلي وغيرهم ان يرفعوا القضية الى الكرسي الرسولي برومه ويشرحوا اعمال المطران الياس محاسب الذي يثير القضايا التي تحطم مقررات المجمع اللبناني . وتؤول الى خراب الطائفة . وشل قوانين المجمع المذكور . وهي مؤرخة في ٣ كانون الاول سنة ١٧٣٦ . وهي منشورة في كتاب اللآليء للخوري اسقف بولس قراعلي . ص ٥٦٣ . وقد جاء فيها ما حرفيته :

« هذه الامور الشاذة الصادرة من السيد البطريرك هي بامداد حضرة أخينا المطران الياس محاسب مطران عرقا . فهذا المذكور لم يزل يفعل ما يراه برأيه . ويطلب هوى نفسه الامارة بالسوء ، ويدخل على السيد البطريرك ويقنعه بحيله في ان يفعل ما يفعله من اختطاف رعايا . او بعض قرى من رعية (أبرشية) غيره . واختلاس المال بحيلة التحليل والتحريم والقداس والرسامات . ويخترع بين المطارين والرعية سجساً وفتناً متلاحقة . ويتلف كثيرا من القوانين المحكوم بها في مجمعنا اللبناني . بعد ان رضي به . كما رضينا به كلنا ، من حيث أنه يصنع ما يصنع : وهو مستظل تحت كنف السيد البطريرك ومحتزبيه . . . فما لنا حيلة في ان نردّه ونصدّه عن تحريفه وزوغانه الا بأمر جلالتكم وبموجب حكم صادر من شرفكم السامي . . . تحريراً في ٣ كانون الأول سنة ١٧٣٦ ربانية » .

٢ ـ اضطهاد السيد البطريرك للرهبنة :

جاء في تاريخ الأب المؤرخ لويس بليبل الأول ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٩ ، ان المونسنيور يوسف السمعاني وجّه الى الرهبانية الحلبية اللبنانية بتاريخ ١٥ تشرين الأول سنة ١٧٣٦ منشوراً حضّهم فيه على السير بموجب قانونهم الذي ثبّته لهم الحبر الاعظم ، وذكّرهم فيه ان هذا القانون يفرض عليهم أن يتابعوا أعمال الرسالة في كل أنحاء البلاد اللبنانية ولا سيما في الاماكن البعيدة عن لبنان مثل طرسوس ، واللاذقية ، وحلب ، وجزيرة قبرص ، ومصر ، وقبرص ، وصرّح لهم بأن رئيسهم العام له الحق كله بأن ينزل الحرم بالراهب المذنب المقاوم لشريعة القانون الرهباني ، مهما كان نوعه ، ومهما كان يحمل من وظائف واشارات ، وذلك اسوةً بزملائه في الغرب ، دون ان يمانعه في ذلك بطرك او اسقف . . .

وكان الأب العام توما مزمعاً ان يسافر الى القدس بمعية القاصد الرسولي العلامة السمعاني ، لكنه علم بأن السيد البطريرك ومؤيديه ومن جملتهم المطران الياس محاسب عازمون ايضاً على معاكستهم واضطهاد رهبانه ومنعهم من القاء الرياضات الروحية والتقديس خارج الاديار في اثناء تنقلاتهم واسفارهم في سبيل أعمال الرسالة الروحية . فاستدرك الأب العام هذا الشر ورفع مع مدبريه عريضةً أخرى الى نيافة الكردينال زندداري محامي الرهبنة بهذا الخصوص . وتحفظ نسخة من هذا التقرير في أرشيف بكركي في المجلد الثاني ص ١٨٠[٢] .

وذكر الأب المؤرخ بليبل أيضاً في تاريخه المذكور ، اضطهاد السيد البطريرك للرهبان لممارستهم أعمال الرسالة بين الناس ، وقال أن الأب العام توما أصدر يوم ١٥ أيار من سنة ١٧٣٧ ، بياناً الى ابناء رهبانيته يقول لهم فيه ما نصه :

« بعد هذا الالتجاء منا الى الكرسي الرسولي المقدس ، اذا

---

٢) راجع كتاب اللآلي ص ٥٦٦ وانظر تاريخ الأب بليبل في المجلد الأول ص ٢٧٠ .

وافت عليكم حكومات (أي احكام) متعددة من قدس السيد البطريرك المحترم . مثل حرم وربط اشخاص وكنائس . فبنعمة الله لا تلتزموا بحفظ شيء منها . ولا يلحق ذمتكم أي عايق يعيقكم عن كمال خدمة الاسرار . لاننا قد رفعنا دعوانا الى الكرسي الرسولي المقدس . واستغثنا به . وعندئذ يبطل كل مداخلات من قبل الكرسي الانطاكي الماروني » .

ومن يرجع الآن الى أرشيف الصرح البطريركي في بكركي[٣] يجد منشورا هناك ممهورا بتوقيع الاحبار الاربعة الذين كانوا حزمة واحدة في الضراء والسراء مع الاصلاح . وهم المطران عبدالله قراعلي . والمطران طوبيا الخازن . والمطران اغناطيوس شرابيه . والمطران سمعان عواد وغيرهم نبّهوا فيه غبطة السيد البطريرك عن الامور الشاذة التي يدفعه الى ارتكابها مستشاروه ، مستشارو السوء والاغلاط . ومعاونوه المنحازون . وعلى رأسهم المطران الياس محاسب . وهم يجرّونه الى ما لا تحمد عقباه . والى امور بلغت رومــــه كرسي الحق والصواب . وسوف تقاصص عليها وعلى مرتكبيها . وهذا المنشور مؤرخ في آواخر أيار سنة ١٧٢٧ وهذا نصه :

« المعروض على قدسكم هو ان الامور الواقعة في طائفتنا قد بلبلت الذمم . وكل انسان ملزوم ان يدافع عن ذاته . ويدفع الضرر عنه . والآن الضرر بلغ الى انفسنا ونحن ساكتون . فيلزم لنا ان نتكلم لأجل السلامة والاطمئنان . وهناك أربعة اشياء لأجل السلامة لا بد منها لتستقيم الحال . والا فلا يهدأ لنا بال بل يدوم الضرر لاحقاً لنا . وهي التالية :

« **أولاً** : انكم تقاومون رسوم الحبر الاعظم الروماني من مقاومتكم لتنفيذ قوانين المجمع اللبناني .

---

٣) انظر سجل ٢ هناك ص١٩١ .

« **ثانياً** : وكالة أخينا المطران الياس محاسب المكرم هي غير لائقة ، لأن وكالته هذه هي محل المطران طوبيا الخازن التي كانت راضية لكل احد في قنوبين .

« **ثالثاً** : لا بد ان الرعايا (أي الابرشيات) تكون بيد اصحابها بدون تبديل أو تغيير كما هو مرسوم في مجمعنا اللبناني وباقي المجامع المقدسة ، ويلزم ان تكون رعية حضرة أخينا المطران طوبيا الخازن كباقي المطارين . وكذلك حضرة أخينا المطران شرابيه يجب ان يتسلّم رعية (ابرشية) جبيل والبترون .

رابعاً : للمطارين حق التصرف في ان يرسلوا مرسلين الى رعاياهم للتبشير متى ارادوا للقيام بواجب الرسالة . وليس لكم ان تمانعوهم في ذلك ... واذا لم ترتضوا بذلك ، فأننا نرفع امرنا الى الكرسي الرسولي المقدس ...

٣ ـــ جواب السيد البطريرك :

اما السيد البطريرك فقد تصلّب في تصرفاته واجوبته ، واخذ الامر لذلك يتصعّب ، وهكذا بلغت الامور الى مقام الكرسي الرسولي المقدس .

وهكذا الاحبار المذكورون اعلاه لما رأوا أنهم لم ينالوا نتيجة كتاباتهم واحتجاجاتهم لدى السيد البطريرك رفعوا الامر الى الكرسي الرسولي على يد القاصد السمعاني ، وهذا نص عريضتهم المحفوظة في المجلد الثالث المكتوبة بالكرشوني في الفاتيكان ، ص ٣٣[٤] .

« المعروض على حضرة القاصـــد الرسولي السيد يوسف السمعاني المحترم .

---

٤) راجع محفوظات بكركي مج ٣ ص ٣٣ ، وانظر جواب السمعاني هناك في الموضع نفسه ص ١٢٧ .

بعد المقدمة . . . « هو انه ليس يخفى عنكم الحال السيء الذي نحن فيه من مناقضة قدس سيدنا البطريرك المحترم لاحكام مجمعنا اللبناني في اشياء كثيرة . ولا سيما **خاطة وخبطة واجبات درجتنا وحدود رسومنا واحكام وظيفتنا** . ولذلك نطلب من حضرتكم بما انكم جئتم الينا لأجل تلافي هذه الامور وامثالها . ان تتبصّروا بواقع الحال . وتحكموا بما يمكنكم الحكم فيه . وان ترفعوا ما يفوق سلطانكم الى الكرسي الرسولي الروماني الاعلى ليعرف ما يحدث عندنا ويحكم بما يراه . . . لنفلت من السجس والاضطراب اللاحق بنا . . . لا سيما افعال واحوال حضرة اخينا المطران الياس محاسب ولعبه بعقل السيد البطريرك . ومدّ يده الى حكام السياسة واخذ خواطرهم ضدنا . . . » .

وعلاوة على ذلك . بتكديسه الديون على دير قنوبين من يوم استلام المطران محاسب ادارة هذا الدير التاريخي العزيز على قلوب الموارنة . بدلا من المطران طوبيا الخازن . مما ادخل الريب في نفس السيد البطريرك من سوء تصرفات وكيله هذا . ولهذا تباعد غبطته عن وكيله المطران محاسب وزعل منه . كما هو ظاهر من كتاب وجّهه الأب العام توما اللبودي الى المدبر يوسف قراعلي الموجود في قبرص . وهو مؤرخ في ١٤ نيسان سنة ١٧٣٨ . وهذه حرفيته :

« الظاهر ان حضرة السيد البطريرك مفتون (زعلان) مع وكيله المطران الياس محاسب . لأنه دخل عنده شك كبير بان المطران المذكور يتلاعب في سحت (مدخول) الكرسي البطريركي في قنوبين . لأن اناساً مثل السيد طربيه (ترجمان قنصلاتو فرنسا في طرابلس) وغيره كثيرون قد راسلوا السيد البطريرك عن هذه الامور » .

وكتب ايضا الاب العام توما اللبودي من قبرص الى العلامة يوسف السمعاني القاصد الرسولي في ٢٥ آذار سنة ١٧٣٨ . وكان هناك يقوم باعمال تختص بالكرسي الرسولي المقدس وهذا كلامه الى سيادته[1] :

« قبل تاريخـــه . ارسل المطارين سمعان عواد . وعبدالله

قراعلي ، واغناطيوس شرابيه ،وطوبيا الخازن ، مكتوباً الى قنصل طرابلس السيد طربيه ، مضمونه يعرّفونه فيه أن كل من يتديّن دراهم للكرسي في قنوبين على يد المطران الياس محاسب ، ولو كان بختم السيد البطريرك ، فاذا مات البطريرك ، فما بيلتزموا بها اطلاقاً . وطلبوا ان يسجّل ذلك في مكاتب الكنشلارية الفرنسية في طرابلس ... » .

وتوجد غير ذلك امور عديدة يمكن الاطلاع عليها في كتاب اللآلىء للعلامة الخوري بولس قراعلي عن ترجمة حياة المطران عبدالله قراعلي موضوعنا في هذا الكتاب ، في صفحات ٥٨٠ وما بعدها . اقتصرنا هنا عن ذكر ذلك حسماً للتطويل ، وخوفاً من الملل والضجر، لأن التقارير المحفوظة في أرشيف بكركي كثيرة ومؤلمة عن هذا الموضوع .

الفصل الثامن

في المدارس التي افتتحها المؤسس عبدالله قراعلي

صحيح ان المؤسس الاصلي العظيم المطران عبدالله قراعلي الحلبي قاوم في بدء التأسيس انشاء المدارس والرسالات . وتخصيص رهبانه في الاعمال الرسولية والعلمية . لعلمه اليقين ان الرسالة تتطلب رجالا اكفاء علماء . واموالا كثيرة لم يكن لديه من الاثنين شيء يذكر . لأن الرهبانية الحلبية في بدئها كانت مؤلفة من بضعة اشخاص كانوا منصرفين الى الصلاة والعبادة والتجرد . وتأمين السكن والمعاش والنظام الرهباني .

ولكن لما رأى الأب العام عبدالله رهبنته قد نمت وازدهرت واصبح فيها رجال علماء ووعاظ مشهورون . ولديهم المعاش الكافي من اتعاب اخوانهم الرهبان الكادحين الذين يقومون باعمال الصناعة ، والزراعة والبناء والاعمال المنزلية . دفع بهم . اثنين فاثنين ، الى ميدان العمل الرسولي الروحي والعلمي وما اشبه ذلك ، وفتح المدارس في الاديار وخارجاً عنها . وارسل الوعاظ الى القرى والمدن لعمل الرياضات والرسالات الروحية التي كان الشعب الماروني معطشاً لسماعها .

١ — **وأول مدرسة** افتتحها كانت مدرسة مارت موره باهدن ، وكان هذا الدير الصغير الذي وهبه اياه السيد البطريرك العظيم اسطفانوس الدويهي سنة ١٦٩٥ . في مطلع التأسيس المبارك ، حيث استقر فيه المقام مع رفيقيه الغيورين الأب حوا والأب البتن الحلبيين .

ففي صيف تلك السنة ، جمع الأب تراعلي حوله احداث القرية تحت شجرة كبيرة من الجوز قائمة شرقي الدير المذكور ، واخذ يلقنهم مبادىء الدين والاخلاق والتعليم المسيحي والعلوم العربية ، ويدرّبهم على خدمة القداس الالهي واقامة الحفلات البيعية ، والاشتراك في الصلوات الخورسية السريانية . فانتعشت تلك الناحية المنعزلة بترانيمهم وصلواتهم واعمالهم الروحية والعلمية ، وصارت الناس يترددون اليها ، ويشتركون معهم بالحفلات الروحية ويفرحون مع اولادهم الذين يمتنعون عن ارتكاب أي منكر متشبهين بمثل هؤلاء الرهبان الاتقياء الفضلاء .

ولكن لما زحف الشتاء بهوائه القارص ، وثلجه الكثيف والصقيع المضر ، انحدر الاهلون الى بلدة زغرتا ، بلدتهم ومشتاهم ومحل سكناهم في الشتاء . فلحق بهم الأب عبدالله تراعلي مع أولاده التلاميذ الذين كان يحبهم ويربّيهم الى المستقبل . فافرز له المطران الغيور جرجس بنيمين الزغرتاوي راعي الابرشية هناك مكاناً واسعاً دافئاً لقيام مدرسةٍ حديثة ، ووقف لها ارزاقاً كافية ، ودعاها باسم القديس يوسف البتول ، وهي الآن قائمة تنطق بفضل المؤسس . وهذه المدرسة الصغيرة الأولى كانت نواةً لانشاء مدارس مارونية أخرى كثيرة بجانب الكنائس والاديار وتحت ظلال أشجار السنديان والجوز وما الى ذلك(١) .

٢ — عندئذ غار أهالي بشراي من جارتهم اهدن ، فقدَّموا للأب عبدالله ديراً في وادي قاديشا المقدس ، وهو منقور في بطن الصخر الضخم العظيم الذي تقوم عليه بلدة المقدمين كما هو معروف عندها ، وهي مدينة بشراي العظيمة . فأخذته الرهبانية شاكرةً وتولت توسيعه وترميمه وتنظيمه ، وقد اشترطت البلدة على الرهبنة ان تفتح فيه مدرسةً لتعليم الاحداث . وهكذا صار وكان الأب تراعلي يتولى تعليمهم وتهذيب اخلاقهم . وكثير من أبناء البلدة دخلوا الرهبنة ليترهبوا اسوةً برهبانها الفضلاء . واليوم تقوم الرهبنة الحلبية

---

(١) راجع كتاب اللآلي ص ٤١ — ٤٣ . وكتابنا الموجز التاريخي عن الاديار .

المريمية بترميم هذا الدير الاثري لمناسبة احتفالها بيوبيل الرهبنة المئوي الثالث سنة ١٩٩٥ .

٣ — **وثالث مدرسة** كانت في بلاد الشوف . فقد توالت على الأب عبدالله طلبات وتقادم مغرية ليفتح لهم مدرسة في بلاد الشوف وذلك في بلدة رشميا ، باسم القديس يوحنا الرسول . فوقف اصحاب المقام ديرهم هذا الى الرهبانية لتقيم فيه مدرسة مجانية يعلم فيها ابناء الرهبنة احداث البلدة حيث ما كانت توجد مدرسة البتة[٢] .

٤ — **ورابع مدرسة** كانت في زوق مصبح حيث تقدم الراهب اغناطيوس سلهب الحاقلاني المصبحاني من الأب العام عبدالله قراعلي وقدّم للرهبنة ديره ومدرسته وكل اوقافها الكثيرة . وكانت كما يقول التاريخ[٣] بعدها في مبدها حقيرة صغيرة وغير كاملة وتتطلب بذل جهود واتعاب كثيرة . وقد شرحنا عنها كثيرا في كتابنا الموجز التاريخي عن كل اديار الرهبانية .

٥ — **وخامس مدرسة** انشاتها الرهبنة في عهد رئاسة الأب العام عبدالله قراعلي ، كانت في الشمال ، في دير مار انطونيوس قزحيا المشهور منذ القديم ، وفيه محبسة مشهورة ، وقد اقام الأب العام ديراً كبيرا هناك ومدرسة مجانية يتعلم فيها اولاد البلدة وعربة قزحيا والمزارع المجاورة لدير مار انطونيوس كوكب البرية .

٦ — **وسادس مدرسة** أنشانها الرهبانية في سنة ١٧١٢ في دير ماربطرس كريم التين تحت بلدة بيت شباب ، بالمتن ، وقد كتبنا كثيراً عن هذا الدير وغيره في المجلد الأول من سلسلة تنقيباتنا البالغة ١٢ مجلداً ، وفي الموجز التاريخي المخصص لهذه الاديار .

٧ — ولما تملكت رهبنتنا دير سيدة طاميش في المتن ، الذي اسسه المطران جبرايل البلوزاوي اسقف حلب في عهد البطريرك

---

٢) راجع المصدر نفسه ، ص ٩٠ .

٣) المصادر المذكورة اعلاه .

اسطفان الدويهي القديس ، وفي ولاية الامير احمد المعني ، خصّصت راهباً متعلماً من ابنائها لقيام مدرسة حول الدير يعلم فيها احداث القرى الكثيرة المجاورة وهي المطيلب ، وديك المحدي ، ومزرعة يشوع وحارة البلانة وغيرها[٤] .

٨ — ولما دخل دير مار الياس شويا ، سنة ١٧٢٧ ، في حوزة رهبانيتنا ، انشأت فيه مدرسةً مجانية ليتعلم فيها أولاد بلدة بكفيا وضهور الشوير وما حولهما ... طالع أيها القاريء كتابنا عن الموجز التاريخي والمجلد الأول من سلسلة التنقيبات التاريخية[٥] بهذا الخصوص .

٩ — كذلك لما تملكت رهبنتنا دير سيدة مشموشه في جنوب لبنان ، من المطران سمعان عواد ، أقامت مدرسةً مجانية في جانب الدير لتعلم فيها أحداث بلدتي بكاسين ومزرعة مشموشه وغيرهما[٦] .

١٠ — وفي سنة ١٧٥٢ ، شادت الرهبانية انطوش دير القمر في بلدة الامير ، دار الحكم وأقامت فيه مدرسة لتعليم الاولاد ، وهذه المدرسة تحوي ما عدا اولاد الطائفة المارونية احداث الامراء والدروز ايضاً ، وصار احسان من الامراء والستات واهل البلدة لمساعدة الرهبان في العمار المذكور ، وذلك باجتهاد المغفور له الأب متى الحكيم الحلبي الذي كان مولجاً بادارة الانطوش والمدرسة[٧] .

١١ — وفي هذه السنة نفسها (١٧٥٢) افتتحت الرهبانية ايضاً مدرسة في قرية عجلتون لتعليم الاولاد ، وعمّرت فيها كنيسةً وبجانبها ديراً صغيراً لسكنى الرهبان وكان ذلك في حكم المشايخ الخوازنة[٨] .

---

٤) انظر كتابنا الأول من سلسلة تنقيباتنا التاريخية ، ص ١٥٧ — ١٦٨ .
٥) المجلد الأول ، ص ١٦٩ — ١٧٦ .
٦) راجع تاريخ الأب بليبل المجلد الأول ص ٤٢٦ .
٧) راجع المجلد الأول من تواريخنا ، ص ١٧٧ .
٨) راجع المصدر نفسه ، ص ١٧٧ .

١٢ — بعد اقامة هذه المدارس في لبنان ، تخطى الرهبان الى التعليم ونشر الرسالات في الخارج : بيروت ، عكا ، اللاذقية ، جزيرة قبرص ، مصر والسودان . وفي سنة ١٧٣٧ ، كتب الأب العام توما اللبودي الى المطران جبرايل حوا في رومه ، يخبره ان تلاميذ المدارس الرهبانية بلغ عددهم ثلاثمائة تلميذ في تلك الاعوام القديمة مما يدل على ان الرهبان كانوا يهتمون في سبيل فتح المدارس المجانية لتعليم الاحداث كما ذكر ذلك الأب المؤرخ لويس بليبل في تاريخه الرهباني الأول ص ٢٨٠ .

١٣ — وكما عمل الأب العام عبدالله قراعلي في فتح المدارس لتعليم الاولاد ، وتبعه الرؤساء خلفاؤه بعده ، كذلك عمل في موضوع الرياضات والرسالات الروحية في لبنان والخارج .

نشر الخوري اسقف بولس قراعلي المشهور في الجزء الأول من كتاب اللآليء في الفصلين الرابع والخامس ، بعض اقوال تبيّن عناية الأب العام عبدالله بتثقيف رهبانه وارشادهم ليقوموا فيما بعد بتعليم الآخرين والقاء المواعظ والرياضات الروحية . فكان يعطي كل صباح موضوعا روحيا لكل راهب منهم حسب مقدرته العلمية وموهبته الروحية ، وكان هؤلاء الرهبان في المساء يؤدون له الحساب الدقيق عن موضوعهم المعين . وكان كلما اجتمع مع رهبانه يخاطبهم عن السيرة الرهبانية والسير حثيثا في طريق الكمالات ، وكان سلوكه معهم بصبر وحلم ووداعـة ، وكانوا يكشفون عنده ضمائرهم كل مساء بعد صلاة الستار . وكان الأب العام ينشّطهم على اجراء الرياضات . ولما كان مطراناً على ابرشية بيروت سنة ١٧٣٠ ، وضع للرياضات صورة ليتعلموها في مواعظهم ، ونشر هذه الصورة الخوري بولس قراعلي ، سنة ١٧٣١ ، في مجلته البطريركية[٩] .

ويوجد في مكتبة ديرنا برومه مؤلف من خمسمائة صفحة للمغفور

---

٩) راجع المجلة البطريركية لعام ١٧٣١ ، عددها السادس ، ص ٣٦٥ ، وانظر المجلد الأول من تاريخنا الرهباني ص ٦٨ .

له المطران عبدالله قراعلي عنوانه : « بيان شهادات وامثلة مقطوفة من كتاب « اباطيل العالم لأجل مساعدة الواعظين » نظمها المطران عبدالله في ١٨ باباً وذلك في دير مار انطونيوس قزحيا بالشمال سنة ١٧٢ . وللمطران عبدالله « كتاب المواعظ في عواقب الانسان » توجد نسخة منه في ارشيف بكركي وهي بخط يده رحمه الله . الفها سنة ١٧٣١ ، ويوجد نسخة منها في ديرنا سيدة اللويزة .

اما الرسالات الروحية التي انشأتها الرهبنة فكانت منتشرة منذ أول نشأة الرهبانية في كل انحاء لبنان . لأن الشعب اللبناني كان متعطشاً لسماع كلمة الله . وكان الرهبان في اوائل الرهبنة ينجولون بين القرى والمدن ويلقون المواعظ ويؤسسون الأخويات .. ويعملون الرياضات والزياحات . ومعروف ومشهور زياح الوردية الذي كانوا يحتفلون به في دير سيدة اللويزة . حيث كان يتقاطر الى هناك للاشتراك به اناس عديدون من اماكن بعيدة . حتى من بيروت وغير نواحي فيعترفون بخطاياهم ويتقربون من تناول القربان الاقدس ، وكان اهالي الازواق الثلاثة : زوق مصبح وزوق مكايل وزوق الخراب يحضرون للاشتراك بالزياح وكان عددهم نحو ستمائة شخص في تلك الاعوام ، وهذا عدد كبير نظراً لتلك الايام .

وكان مشهورا قيام الرياضة في بلدة كفرذبيان . و في ساحل علما . وفي قاطع كسروان . وفي أبرشية بيروت وطرسوس وعكا ومرسين في الشمال . فقد ذكر المؤرخ الأب لويس بليبل(١٠) « ان الرهبان الحلبيين اللبنانيين افتتحوا رسالة في طرسوس وظلوا مثابرين فيها على خدمة الرعية زمناً طويلاً ، وفي ثغر مرسين المجاور له ، وكلاهما في بلاد الاناضول التابعة للدولة التركية ، الى ان حلّ مكانهم كاهن علماني من حلب بأمر السيد البطريرك » .

والجدير بالذكر ان العلامة السمعاني اشار الى الأب العام توما اللبودي ان يرسل رهباناً ليفتح رسالة في عكا لعدم وجود كهنة هناك ولارهبان يقومون بالخدمة الروحية وعمل الرياضات . وقد

---

١٠) المجلد الأول من تاريخ الرهبانية ص ٣٠٩ ؛ واللآلي ص ٦٣٥ .

استجاب الأب العام الطلب وارسل راهبين الى عكا هما : القس اسطفان والقس نيلوس لأجل عمل الرسالة ، وفتحوا مدرسة هناك بناء على طلب المطران جبرائيل عواد رئيس الابرشية .

ونشرت رهبانيتنا رسالة في سوريا في ابرشية اللاذقية ، وحلب ، كما يستبان من رسالة بعث بها الأب العام ميخايل اسكندر الاهدني الى المجمع المقدس سنة ١٧٣٤[1] .

وفي سنة ١٧٤٥ ارسلت الرهبنة الى مصر ، الى ثغر دمياط احد رهبانها الغيوريين ، الأب موسى هيلانه الشامي ليخدم نفوس الموارنة الذين كانوا يسافرون الى هناك طلبا للرزق وكسبا للعيش الحلال . ومن هناك امتدت الرسالة المارونية الى كل انحاء القطر المصري . وقد وضعنا مجلدا خاصا كبيرا عن هذه الرسالة ، وهو المجلد الثاني من ١٢ مجلدا كبيرا عن تاريخ الرهبانية المارونية وفي هذه السنة وضعنا كتابا خاصا عن زيارة غبطة بطريركنا المفدى مار نصرالله بطرس صفير للقطر المصري الذي تقوم بخدمة الموارنة فيه رهبنتنا الحلبية منذ سنة ١٧٤٥ .

واخيرا لنرجع الى قراءة قانوننا الرهباني الذي ثبّته سنة ١٧٣٥ البابا اكليمندوس الثاني عشر الذي فيه يأمرنا بعمل الرسالات الروحية في كل الانحاء لمنفعة القريب وتقديس النفوس حيث يقول ما نصه :

« لقد صرتم أيها الابناء الرهبان ملتزمين بهذه الرسالة ، خصوصاً في بلاد **طرابلس ، وطرسوس ، واللاذقية ، وحلب وقبرص وبلاد الشرق ، وجبيل ، والبترون ، وبيروت** وفي كل محل يلزم .

---

(1) راجع الأب بليبل في المجلد الاول من تاريخه الرهباني ص ٢٤٤ ، وانظر كتاب اللآلي المذكور ، ص ٦٢٩ .

فهذه نحن نلزمكم بها الزاما اكثر من سواها . وان ترسلوا اليه
المرسلين اقله مرتين في السنة . واما في جزيرة قبرص وحلب فلأجل
بعد المسافة ، نأمركم بأن يستقيم المرسلون فيها الى مدة معينة
بشور الأب العام . وليس لاحد ان يمانعكم عن هذا العمل البتة
وان لكم كل الانعامات والامتيازات التي للمرسلين الرسوليين . .
ومن اراد انه يخاصمكم في ذلك فليرجع امره الى الكرسي الرسولي
والى الحبر الاعظم . . . » .

الفصل التاسع

في الاصلاح القضائي الذي قام به المطران عبدالله

درس الأب عبدالله قراعلي الحلبي الشريعة المسيحية على الخوري بطرس انتولاوي العالم الشهير الذي كان وكيل مطران حلب حيث انشأ معهداً . تعلّم فيه المؤسسون الحلبيون جميعهم : حوا وقراعلي والبتن وفرحات ، قبل مجيئهم الى وادي قنوبين اللبناني في الشمال للترهب ولتأسيس رهبنة جديدة حديثة منتظمة على قواعد الرهبانيات الغربية .

١ — وكان في عهد الأب العام قراعلي ، يمارس الرؤساء الروحيون الاحكام القضائية في الاحوال الشخصية وما يتعلق بها من القضايا الدينية . ولما ارتقى الأب عبدالله قراعلي ، رحمه الله ، الى الدرجة الاسقفية ، سنة ١٧١٦ ، كلّف بممارسة القضاء المسيحي ، فشعر بحاجة ماسة الى كتب قانونية ، وموسوعات شرعية ، ليستند اليها في اصدار احكامه المتنوعة ، ولم يكن وقتئذ يوجد الا كتاب الهدى الذي طبعناه سنة ١٧٣٥ في حلب ، وكتاب الناموس لابن العسال القبطي المطبوع في مصر في القرن الثالث عشر ، وكتاب الشرائع الرومانية المأخوذ عن الاباطرة قسطنطين الكبير ، وتيودوسيوس ، ولاون ، ويوستنيانوس الكبير ، وتحديدات المجامع العامة وكتاب الدسكاليه الخ .

فوضع المطران عبدالله دستورا اعتمدته كل الطوائف المسيحية في لبنان ، وبقي المرجع الامين الوحيد زهاء قرنين متواصلين ، يرجع اليه المتخصصون بمعرفة التقاليد والمبادىء الشرعية ، مستمد

« مختصر الشريعة » . ثم شرحه وزاد عليه اموراً كثيرة ضرورية لحل المعضلات القانونية . ثم وضع كتاباً آخر هو « الفتاوى »[1] .
ومن ثم اخذ يمارس وظيفة القاضي الماروني في أبرشيته أولاً : بكفاءة ونزاهة ممزوجتين بحنان ، فعدّه الجميع حجة زمانه في التشريع المدني ، ومحجة المتقاضين من كل ملة ومذهب ، وكان يقصد اليه من اطراف البلاد ، ليس المسيحيون فقط ، بل المتخاصمون من الامم الغربية ايضاً ، كما قال عنه تلميذه المخلص الأب العام توما اللبودي في ترجمة حياته التي وضعها هو نفسه ، ونشرت في مجلة المشرق ونقلناها عنه في تاريخنا الرهباني المؤلف من ١٢ جزء في المجلد السادس منها .

ومما هو جدير بالذكر ان المطران عبدالله أفاد رهبانيته في هذا الحقل القانوني في ما يخص معاملات الاديار للحفاظ على حقوق الرهبنة ، وخاصة دير مار الياس شويا ، ضهور الشوير ، فهذا الدير وضعنا عنه كتيّباً لم ننشره بعد ، شرحنا فيه الخلاف الكبير الواقع بين الديرين الماروني والارثوذكسي على المجال الضيق القائم بين الديرين المذكورين . وقلنا في الكتيّب ان المطران عبدالله تسلّم قضية رهبنته . واما المطران أبريهام الارمني القاطن في دير الكريم بغوسطا الذي بيع الى الآباء المرسلين الكريميين ، فتسلّم قضية دير الروم الارثوذكس . وكان كلاهما قاضيين من قبل الحكومة .

« اجتمع القاضيان الماروني والارمني ، واطلعا على كل الاوراق والصكوك ، وتبصّرا ملياً في المشكل منذ أوله الى آخره ، وبعد الروية واخذ شهادات الشهود، أصدرا حكماهما وكتباه على نسختين: الواحدة بخط الشاعر الحلبي الخوري نقولا الصايغ رئيس الرهبان الشويريين ، وكان هذا تلميذ المطران فرحات ، وسلموها الى رهبان الموارنة . والثانية بخط الأب يوسف قراعلي المدبر العام الماروني ، وسلموها لرهبان الروم الارثوذكس الذين كانوا يومها يسكنون في هذا الدير المذكور ...

---

١) راجع عنه القضاء الماروني للمونسنيور يوسف زياده كاتم أسرار البطريركية المارونية ، طبعه في جونيه سنة ١٩٢٩ ، ص ٥ . وانظر اللآلي ص ٦٤٦ .

« على ان رهبان الروم لم يرتضوا بالحكم بل اقاموا دعوى لدى الحكام المدنيين ، وفي اليوم نفسه اقاموا جداراً فتحوا باباً لهم فيه ، على ارض هذا المجال المختلف عليه . فاصبح درب الموارنة **الزاروب** مجالاً للروم الارثوذكس ، ومرمى لثلوج ديرهم ولامطاره ، ومطلاً لنوافذهم الديرية . ولم يكتفوا بذلك بل اجبروا رهبان الموارنة على سدّ شبابيكهم المطلة على الزاروب ملكهم ، بحجة ان هذا الزاروب هو ملكهم . ولما قاضاهم الرهبان ، لجاؤوا الى الشيخ علي قاضي الدروز ، بعد ان استمالوا الحاكم المكاني الى غرضهم . فاستدعى الرهبان الموارنة رئيسهم المطران عبدالله قرآعلي ليدافع عن حقوقهم المشروعة المعروفة . . .

« فحضر سيادة المطران عبدالله واطلع على الامور . ولما اختلى بالشيخ علي الدرري ، اخذ هذا يكلّمه قائلاً : « يا حضرة المطران عبدالله ان الرهبان الروم الارثوذكس منتسبون لحضرة الامير عساف . **والامير عساف ما هو صغير ، ومخاصمته ما هي هيّنة ،** وهذه امور لا تحرز . وانا بشوري على الموارنة ان يتساهلوا . . . فأجابه المطران عبدالله : « يا حضرة الشيخ المكرم ، كلامك صحيح . ولكن لا يُطلب منا نحن الآن سوى اظهار الحق الصريح . وبعد ذلك نشور على الفريقين بالتوسع مع بعضهم البعض . — فأجابه الشيخ علي قائلاً : « انا بنظري ان الزاروب هو للملكيين ، والبوابة تحق لهم ، والموارنة ما لهم ان يعمّروا في الزاروب — فسأله المطران عبدالله قائلاً : باية بيّنة تملك الروم الزاروب ؟ — فأجابه الشيخ علي : انا لا اقدر ان اعمل خلاف هذا . وترك حينئذ المطران وذهب الى مقره ، لكنه كتب حجته عند الحكام : وحكم ان الزاروب هو للروم ، وان على الموارنة سدّ شبابيكهم .

« اما المطران عبدالله فاستحضر ورقة وكتب عليها حجته ، وهي : « وبعد منازعات طويلة وتأييد الحكام للروم ، ارسل الموارنة الحجتين الى مفتي بيروت السيد محمد علي ، بواسطة رجل خالي الغرض . فمن مجرد ما اطلع المفتي المذكور على الحجتين ، حكم ان حجة الشيخ الدرزي **فاسدة** ، لعدم مطابقتها الفقه والشرع ، وان حجة المطران عبدالله تنقض من نفسها الحجة الأولى .

. « ثم اظهر الرجل للمفتي المذكور سؤالين شرعيين كان المطران عبدالله قد ارسلهما الى المفتي يستفتيه فيهما ، وما لهما : هل يجوز للمشترع ان يحكم على زيد بغيابه ؟ وهل له أن يقضي بنقطة لم يتقاضى المتخاصمان لها امامه ؟ — فحكم المفتي علي ببطلان الحكمين » .

واننا نجد صورة هذه الفتوى محررةً في سجل دير مار الياس شويا ، وعليها توقيع المطران عبدالله ، ومصادقة المفتي البيروتي علي المذكور ، وقاضي بيروت السيد شرف الدين ، وتوقيع بطرك الروم الكاثوليك السيد كيرللس طاناس » .

ويذكر المؤرخ الخوري بولس قراعلي في كتابه اللآليء (ص ٦٥٠) أنه وجد في أرشيف بكركي ، اذ كان يقوم هناك بسكريترية الصرح البطريركي على النسخة الاصلية لفتوى المطران عبدالله نسيبه ، وهي تتعلق بموضوعنا هذا . وهذا نصها الحرفي :

« اذا وقع شرط بين المتبايعين في أرض معينة على ان الدروب والمجالات لا تتغيّر الا برضى الفريقين ، واراد احدهما ان يغيّر دربا من دروب تلك الاراضي بغير رضى الآخر يمنع شرعاً والله اعلم » .

(الامضاء) الفقير اليه تعالى

+ المطران عبدالله الحلبي .

وذكر العالم القانوني الخوري يوسف زياده(١) احكاماً كثيرة اصدرها الاحبار الموارنة ، استناداً الى كتاب المطران عبدالله « مختصر الشريعة » ، وهي محفوظة في خزانة بكركي الخطية في ابواب الوقف ، والشركة ، والوصاية ، والحجر والارث وغير ذلك ، مما اختلفت فيه نصوص الشرع الماروني عن الشريعة الاسلامية التي ادخلها الى لبنان الامير بشير الكبير ، رغبةً منه في توحيد القضاء . مع أنه ترك للقضاة النصارى الحكم في رعاياهم المسيحيين ، رغبةً في مراعاة عاداتهم المسيحية وشرائعهم الخاصة »(٢) .

---

٢) راجع كتاب اللآلي المعروف ، ص ٦٦٢ .

٢ — وهنا لا بد لنا من كلمة وجيزة على **الاصلاح الطقسي** الذي قام به المطران عبدالله قراعلي :

جاء في مقالة للعلامة الخوري ابراهيم حرفوش الكريمي في مجلة المشرق ، عدد أول ص ٣١٨ ، عن دير حراش والمطران عبدالله قراعلي وانشائه قانوناً لراهباته يتمشين بموجبه ، ما يلي :

« ان المطران عبدالله قراعلي ألف لراهبات دير حراش اناشيد وافراميات وميامر يرتلوهن في القداس الالهي ، وقد استحسن بعض اساقفة الطائفة ان تقال في القداس أيام الآحاد والاعياد المعينة لها . . . وكل يعلم جيدا طول باع هذا الاسقف التقي في نظم هذه التقاريظ وامثالها مما يشعر بحسن تقواه وجودة قريحته الشعرية »(٣) اقتداء بالقديس أفرام السرياني ملفان البيعة المقدسة ، الذي أغنى الكنيسة بمنظوماته ليعارض بها الاغاني الشعبية الفاسدة التي كانت شائعة في ايامه ، في مدائن الرها ونصيبين .

والجدير بالذكر ، اننا نجد مثل هذه الاناشيد والافراميات محفوظة بغالبيتها في أديار الرهبانيات وفي الصرح البطريركي :

مثلا نجد في بكركي ٣١ ميمرا محفوظا في ارشيفها . نجد في ديرنا الكبير بروما خدمة القداس الماروني وهي مكتوبة في سنة ١٧٢٤ ، وفيها انشودة يا خبز الحياة وقوت الارواح . . . وهي كما لا يخفى اجمل انشودة عن لاهوت السيد المسيح . نجد في دير حراش حيث كان يقيم المطران عبدالله لترتيب قوانين الراهبات ، اغلب الاناشيد التي نظمها المطران عبدالله ليحفظهـا الراهبات ويرتلوها بدل الاناشيد الشعبية . ونجد في دير مار دومط فيطرون كتاب القداس الماروني لعام ١٧٩٥ الذي يقول فيه المطران عبدالله هذه العبادة (ص ٣١٩) : « نكتب بعض ميامر من تأليف المرحوم المطران عبدالله قراعلي مؤسس الرهبنة الحلبية اللبنانية . . . وفي نهايتها يقول : « انتهت اقوال واناشيد وميامر المطران عبدالله

---

٣) انظر مجلة المشرق عد ٧ ص ٣١٨ .

قراعلي ... ونجد في دير سيدة المعونات بجبيل كتاب الافراميات بالخط الكرشوني لعام ١٨٧٢ هذه العبارة :

« افرامات من تأليف المطران عبدالله وعناوينها كالآتي : ضوء شمس لاح ... يا ابن داود وقبله في الوجود ... يا مسيح الله كم تهتّم ببني الانسان ... اليوم كملت الاقوال في ميلاد المسيح ... قومي استنيري يا اورشليم بدخول المسيح للهيكل ... ثم هلموا يا بني مارون نحتفل احتفالاً عظيم بمار مارون ... ثم ترانيم للعذراء مريم مثل : اهنئي يا بتول ، سموت بالقبول ، عند رب الانام ... »

ونجد في مكتبة مطرانية بيروت حيث تسقّف المطران عبدالله ولم يتسلم مقاليد الابرشية ، كتاب القداس المطبوع سنة ١٨٠٠ فجاء في أوله هذه العبارة : « هذه الافراميات هي من تأليف المطران عبدالله مؤسس الرهبانية الحلبية اللبنانية ... » . ومن الملفت ان كل هذه الافراميات والاناشيد ما تزال بغالبيتها غير مطبوعة .

اما المطبوعة منها فهي التالية : **أولاً** : طبعة المطران يوسف الدبس اسقف بيروت خليفة المطران عبدالله قراعلي ، وقد طبعها سنة ١٨٨٤ تحت عنوان : « كتاب الجنازات والميامر والطلبات البيعية » وفيه كثير من ترانيم المطران عبدالله .

ثانياً : طبعة مكتبة يوسف صادر صفير في عام ١٩٠٠ ، وعنوانها « كتاب المدائح » ومنها ما ترتل في خلال الاسبوع ومنها ترتل في الاعياد والآحاد والمواسم المعروفة .

ثالثاً : طبعة الآباء الكريميين في جونيه سنة ١٩٢٩ ، وهي مجموعة من اناشيد الافراميات والجنازات والطلبات البيعية وغيرها .

رابعاً : طبعة الميناء للأب انطونيوس شبلي سنة ١٩٤٧ ، وفيها مجموعة من الاناشيد البيعية ...

خامساً : طبعة الآباء اليسوعيين ، وعنوانها « مجموعة تراتيل روحية » .

سادساً : طبعة الخوري بولس قراعلي في كتابه الخاص الذي ألفه عن المطران عبدالله عام ١٩٥٠ ، وضمّنه لائحةً مفصلة عن كل المدائح والترانيم التي وضعها المطران عبدالله خلال حياته الرهبانية ...

٣ ــ **الاختام :** ان الاختام التي إستعملها رؤساء الرهبانية في توقيعاتهم على الاوراق الرسمية التي كانوا يكتبونها هي من صنع الأب العام عبدالله قراعلي بعد سنة ١٧٠٦ ، التي فيها سمّى رهبنته الحلبية باسم الرهبنة اللبنانية لأنها تأسست في جبل لبنان كما شرحنا .

أول ما صنع ختما بشكل مدور يوازي بالكبر نصف القرش ، ومرسوما في وسطه صورة القديس انطونيوس الكبير ، ومكتوبا في دائرتها هذه الكلمات : « من كان فيكم كبيراً فليكن لكم خادماً » وكانت تختم بهذا الختم كل المجامع والباطنتات والامور الرهبانية الحلبية .

ولكن لما اراد الأب العام عبدالله ان يلقّب رهبنته باسم «لبنانية» والرهبان « بلبنانيين » صنع حينئذ ختمين جديدين آخرين : **الأول :** ختماً مدورا مستطيلاً قليلا ، مرسوما في وسطه ارزة لبنان ، وهو الأول الذي استعمل رسم « الارزة » شعاراً للبنان ، واصبح الآن شعار الجمهورية اللبنانية ، وفيه الكلمات المذكورة أعلاه . **والثاني :** الختم الذي كان اصغر من الاثنين المذكورين ، ومستطيلا في دورته ، ومرسوماً في وسطه ارزة صغيرة ، ومكتوبا في دائرته هذه العبارة « خادم الرهبان اللبنانيين » . وهذا الختم يستعمله الرئيس العام للرهبانية منفرداً وكل رئيس عام ينتخب جديداً في المجمع العام .

وهكذا يكون الختم **الأول** مخصصا لتوقيع المجامع العامة . **والثاني** لمجامع المدبرين العامين . **والثالث** للرئيس العام وحده بمفرده . ودام الرؤساء العامون يستعملون هذه الاختام حتى سنة ١٧٢٧ التي فيها سافر الأب العام ميخايل اسكندر الاهدني الى رومه الخالدة لأجل تحضير القانون الرهباني وتثبيته من قداسة البابا .

بعد ذلك التاريخ ، استحسن حضرات الآباء المدبرين العامين ان يعملوا ختماً جديداً لكل واحد منهم يدل على وظيفته الخاصة . فاستشاروا سيادة المطران عبدالله وطلبوا منه أن يخترع لهم نوعاً من كتابة تدل على وظيفة كل واحد منهم .

فالمطران عبدالله بحكمته وفطنته . اخترع لهم اربعة اختام بشكلٍ واحد مستطيل قليلا وهو اكبر من ختم الاب العام ومتميز عنه : أي ان ختم الأب العام توضع الارزة في وسطه ، واغصانها بيضاء ، وارضها سوداء ، والكتابة في دائرتها . اما ختومات الآباء المدبرين فكانت الارزة في ثلث الختم الى آخره لناحية فوق ، قصيرة وعريضة ، واغصانها سوداء ، وارضها بيضاء ، ومكتوب في ثلثي الختم الباقيين ثلاث كلمات : هي في الختم الأول : الافراز ، مدبر أول . وفي الختم الثاني : العدل ، مدبر ثان . وفي الثالث : النشاط مدبر ثالث . وفي الرابع : القناعة ، مدبر رابع . وفي اسفل كل ختم من هذه الاربعة محررة السنة ۱۷۲۷ .

الفصل العاشر

وفاة المطران عبدالله ، ومؤلفاته الكثيرة .

استمرّ الرهبان يرجعون بمشاكلهم المتنوعة الى المطران عبدالله قراعلي ليحلها لهم . وكانوا ينزلون عند آرائه السديدة في كل امر . سواء اكان متعلقاً بادارة الرهبانية الداخلية أم بعلاقاتها مع السلطات الدينية والمدنية حتى انتقل الى جوار الرب ماسوفاً على تقواه وعلومه وخبرته الواسعة . في اليوم السادس من كانون الثاني . نصف الليل من سنة ١٧٤٢ . في قرية زوق مصبح . بكسروان . اذ كان زائرا رعيته عذه [1] . وعندئذ نقل جسده المكرّم بزياح واحتفال عظيم . لم يصر مثله في الطائفة منذ اعوام . الى دير سيدة اللويزة . دير رهبانه الحلبيين اللبنانيين . ومركز الرئاسة العامة الحلبية.

جاء في اللآليء للخوري بولس قراعلي بهذا الخصوص ما يلي :
« في سنة ١٧٤٩ حضر الى دير سيدة اللويزة قدس الأب العام

---

١) نرى هنا بعض الاختلافات في تعيين الوفاة . فحسب سجل الوفاة المحفوظ في دير مار يوحنا حراش نقرأ ان المطران عبدالله توفي الى ملاقاة ربه في اليوم **السابع** من كانون الثاني ، ليلة عيد مار يوحنا شفيع الدير . واما حسب ناشر كتاب المصباح الرهباني للمطران عبدالله ، حضره الأب جورج مرراني أحد رهباننا العلماء ، فنقرأ انه توفي الى ربه راضياً مرضياً في **الخامس** من كانون الثاني حسب نبذة تاريخية من قلم البطرك بولس مسعد عثر عليها في سجلات ديرنا سيدة اللويزة . واما حسب كتاب اللآلي للخوري بولس قراعلي نسيب المتوفى الذي هو اقرب اليه من كل أحد سواه فيقول ان المطران توفي في اليوم **السادس** من كانون الثاني حسبما ذكرنا في المتن ، وهذا هو الارجح .

مارون الدرعوني ومعه الاربعة المدبرون وهم : القس يواكيم بلاديوس الحلبي ، والقس اغناطيوس دياب الحلبي ، والقس مرتينوس تابت ومدبر رابع ، وفتحوا المقبرة المدفون فيها جسد السعيد الذكر المطران عبدالله قراعلي مؤسس الرهبنة الحلبية اللبنانية ، وجمعوا عظامه ووضعوها داخل صندوق ، وختموه من خارج بختومة المطرانين يوحنا اسطفان وجرمانوس صقر الحلبي . وتسلّمه الرئيس العام المذكور والاربعة المدبرون المذكورون اعلاه ليضعوه في المكان اللائق به : أي في مدفن خاص وراء المذبح الكبير في كنيسة سيدة اللويزة بمصبح ، تغطيه بلاطة رخام نقش عليها ما يلي : قد وضعت هنافي هذه البلاطة باعتبار حافل واحتفال شامل ، هامة وعظام المتنيّح بالرب المطران عبدالله قراعلي الحلبي ، أسقف بيروت ، اب عام ومؤسس الرهبنة الحلبية اللبنانية الذي توفي بحياة نقية ، واتعاب جزيلة سنية ، في اليوم السادس من شهر كانون الثاني سنة ١٧٤٢ مسيحية »(٢) .

وقد وضع من عظامه بعض منها في علبتين : الواحدة في دير ماريوحنا حراش حيث مكث المطران عبدالله سنين يرتب قوانين الراهبات ويرعاهن بحكمته ومحبته وغيرته المعروفة . والثانية في دير مار الياس الرأس الذي أسسه مع الأب العام توما اللبودي كما رأينا أعلاه . وموضوع على غلاف العلبتين المذكورتين أختام المطرانين السالفي الذكر(٣) .

ونقرأ في تاريخ الأب بليبل ، المجلد الأول ، ص ٣٦٨ ، قصيدة رثاء مؤثرة عن المطران عبدالله وتلميذه الأب اللبودي ، نظمتها المطران يواصاف الدبسي البسكنتاوي الراهب الحلبي اللبناني ، وهي قصيدة عربية على الوزن السرياني المعروف : بيت عنيديه ، لاعتباره هذين الرئيسين ركنين عظيمين في الرهبانية ، وقد نسب الناس حدوث وفاة احدهما بعد الآخر الى ما كان بينهما من روابط المحبة الصادقة والتقدير الحقيقي . وهذه بعض مقاطع منها للذكرى :

---

٢) راجع سجل دير اللويزة القديم نقلا عن كتاب الأب جورج موراني ص ٣٣ .

٣) راجع السجل المذكور المحفوظ في اللويزة .

« ناحت عليه كل أهل البلاد . وتلاميذه نوحا موجع . عويل رهبان وبكاء مفجع . سألتكم بالله يا رهبانه وآل بيروت وارباب الذكا . كفّوا تلاميذه عن البكا . عزوا المشايخ وكل الخوازن والاعيان . على فقد الحبيب . فامر الله سهم لا يخيب . . .

« فارس النصوب . قد توفي فضمّخوه بالطيوب . واجروا المطلوب . قبل ان يدفن ذا المحبوب . بلّغوا موته . وانشروا وفاته . في السرعة بتجري المدمعة . وليقدس لنفسه الورعة . قم من ضريحك . وانشد مديحك يا ابن فرحات . وارث من كان يأخذ بيدك . ويريحك تغزّل بالجليل مار عبدالله . وارحب بذا الامام . وكن معه على الدوام . سرّوا وافرحوا بملكوت النعيم مع الابرار . حيث يقطن كل الاطهار .

« كيف استعدّوا . وموت الابرار اسمدّوا . وعدا وعدّوا . سابع يوم سافر لعنده . فيا من ربينم بالدفق والمحبة والجهاد . وبثّ الارشاد . نظير داود ويونتان بالوداد . طوبى للذين كانوا اصدقاء في حياتهم . وبعد مماتهم . رباط الحب اعتلن فوقهم . عاشوا هنيئاً بذي الدنيا . وبلغوا الآخرة يتمتعون بالله دهرا . (من مخطوط قديم في دير قزحيا) .

وقد عثرنا على مرثاة بالمطران عبدالله اصلح عبارة من غيرها ، وامتن وزنا . وهي طويلة ننشر منها هنا هذه الابيات (١٢) :

تعالـــوا نبكي يـــا رهبـــان قزحيا
ودير مار ليشع ودير الشوف ورشميا .

يـــا رهبـــان لويـــزة ومـــار الياس
ودير الصير مـــع طاميش والراس ،

ومـــار بطـــرس كـــريـــم التـــين
وفـــي روميـــة بمـــرشـــلـــين

يا زوق مصبح سقاك الطل والامطار
لان بفناك جـــاد الروح هـــذا البار

سقى اللويـزة ضريحـه المبارك
مـن يـزوره ومنـه يتبـارك

يجيد بالدموع كالانهـار : ويندب فقد ذا المختـار

ناحت كسروان في موتـه وانتحبت
وكل أهـل البلاد في دفنته اجتمعت

الكهنة تبكي والرهبان : والمشايخ والرجال والنسوان

والـراهبـات تنـوح عليـه
ومـا لهـن مـن وصـول اليه

من لنا بعـدك يا مطـران عبدالله
ما لنا ملجـأ احـد غيرك بعد الله

يا ابونا الحنون كيف نسيت فينا اليوم
كيف نذوق الزاد ونستحلي رقاد النوم

بعد الفخر رؤوسنا انحنت : وبعد العزّ انفسنا ذلت

اه وحسرتـاه مـن بعـدك معلمنا
اه يا حالات مـن بعـدك يا سيدنا

أليس من اجلكم عنقى قد حنيت للغرب
واحتملت العار والاهانات ثم الثلب ؟

كـم صلـوات وتنسـك وجهـاد
كـم اصوام وكـم سجود واسهاد

بحق اتعـابي ومحبتي العظيمـة
اذكـروا قـولي وافعالي القديمـة

احفظوهـــا وعنهـــا لا تحيـــدوا
وفي الفضائـــل كل يـــوم زيـــدوا

اختم الابيات في تاريـــخ ربّاني
مات في سنة من كانـــون الثاني

ســـنة اثنين واربعين وسبعمايـــة
بعد الالف . ونـــال احسن غايـــة

تغمـــد نفســـــــه الـــرحمـــان
واسـكنـــه فســـيح الجـنـــان

آمـــين .

الفصل الحادي عشر

تآليفه وكتاباته واناشيده

لم يبخل المطران عبدالله قراعلي على رهبانه وراهباته ولا على الطائفة والكنيسة بكتابة ما كان يراه ضرورياً لفهم الحياة الرهبانية وكمال السلوك فيها ، ولادراك المتطلبات الكنسية الطقسية والشرعية والقضائية والمدنية . على الرغم من كل الاعمال الرهبانية والرعائية وخلافها . فقد ترك لأجل تحقيق تلك الغايات المتنوعة كتباً متعددة حصرها المؤرخ القدير الخوري بولس قراعلي في لآلئه تحت العناوين التالية : ١) الكتب الروحية — ٢) الكتب الطقسية — ٣) الكتب القانونية والقضائية — ٤) والكتب الفنية . وها نحن نثبتها كما وردت في كتاب اللآليء مضيفين اليها ما وجدناه من اناشيد ومعلومات[١] في امكنة أخرى :

— ١ — الكتب الروحية :

١ — **تفسير الاناجيل** لم يطبع بعد . وضعه في عهد رئاسته العامة . وقد عثر على النسخة الاصلية الاديب ميشال الحائك في ديرنا مار الياس شويا ضهور الشوير ثم فقدت .

٢ — **مواعظ** : مجموعة مواعظ او تأملات في عواقب الانسان . نسختها الاصلية محفوظة في خزانة بكركي الخطية ، وهي بخط المؤلف . انجز القسم الأول منها في عيد الميلاد سنة ١٧٣١ .

---

١) راجع كتاب اللآلي ص ٧٢٣ .

٣ ــ **بيان شهادات وامثلة** مقطوفة من كتاب اباطيل العالم لأجل مساعدة الواعظين .

٤ ــ **المصباح الرهباني** في شرح القانون اللبناني . طبعه الأب جورج موراني ــ أمين السر العام في رهبنتنا .

٥ ــ **صورة المتريضين** ، نشرها الخوري اسقف بولس قراعلي في لآلئه المعروفة ص ٥٤٤ .

٦ ــ **استعداد وشكران** الكاهن في القداس .

٧ ــ **واخبار روحية ...**

ــ ٢ ــ الكتب الطقسية :

١) خدمة القداس الماروني . ٢) زياح الوردية والصليب . ومار مارون . وطلبات اسبوع الآلام . ٣) أفراميات ومدائح وطلبات بلغ عددها ستين واكثها مطبوع ترتل في القداس . ٤) السنكسار الماروني . ٥) الرتب ، والطقوس الرهبانية . وترتيب ساعات تلاوة الفرض . ٦) رتبة لبس الاسكيم الرهباني .

ــ ٣ ــ الكتب القانونية :

١) مختصر الشريعة ... اتمــه صاحبه في سنة ١٧٣٤ . ٢) الفتاوى، اي شرح نصوص مختصر الشريعة ، كتبت سنة ١٧٣٢ . ٣) القانون الرهباني . محفوظ في ديرنا سيدة اللويزة ، وقد وقع عليه المثلث الرحمات البطريرك اسطفان الدويهي . ٤) الفرائض الرهبانية ، وقانون المبتدئين . وقانون الحبساء . ٥) قانون راهبات دير ماريوحنا حراش . ٦) تعريب مقتطف من المجمع التريدنتيني . ٧) دحض احتجاج عبدالله زاخر على رسالة البادري بطرس فروماج .

ـ ٤ ـ الكتب الفنية :

١ ــ مذكرات الأب قراعلي في التأسيس الرهباني من سنة ١٦٩٤ لغاية سنة ١٧١٦ ، وهو مخطوط محفوظ بديرنا بروميه . نشرته في المجلد الثالث من تاريخنا الرهباني البالغ اثنا عشر مجلداً كبيراً ، ما عدا الموجز التاريخي .

٢ ــ رسالة في تربية دود القز ، كتبها مترجمنا لراهبات دير حراش ، ومنها نسخة قديمة في هذا الدير وهي ملحقة بنسخة قانونهن .

٣ ــ كان المطران عبدالله يجيد السريانية أجادته لكل عمل يتعاطاه ، وقد صنَّف فيها بعض فروض المتعيدات كما يستنتج من قول العالم المطران يوسف الدبس الذي خلفه على ابرشية بيروت .

٤ ــ ان الميامر التي نظَمها المطرأن عبدالله ، كما قال الخوري بولس قراعلي في لآلئه ص ٦٧٧ ، هي واحد وثلاثون ، منها ١٥ لاسرار الوردية ، ومدايح لبعض القديسين . نشر بعضها المطران يوسف الدبس في كتاب الجنازات والرتب ، بعد ان كلَّف الخوري فرنسيس الشمالي الذي صار فيما بعد المطران جرمانوس الشمالي رئيس اساقفة حلب (١٨٩٢ ــ ١٨٩٥) . تنقيح عباراتها ، واعاد المرسلون اللبنانيون نشرها . ونشر اغلبها بالعربية الاستاذ يوسف صادر صاحب مكتبة المدارس في بيروت ، واضاف اليها بعض اناشيد لغيره من المؤلفين .

٥ ــ نقرأ في مجموعة الاناشيد التي نظَمها المطران عبدالله قراعلي ، كما قال الخوري قرأعلي ، ص ٦٨٣ ، انشودة « ايها الازلي والمحجوب عن ابصار الانام » وانشودة « للثالوث الوحيد الذات » و« ايها المولود من بنت داود » و« تعطف يا رب » و« العظيم في النعيم » لمار أنطونيوس أب الرهبان . وانشودة السيد المسيح « ضوء شمس لاح » وأخرى « يا مسيح الله الى كم تهتم في بني الانسان » ومثلها « يا ابن داود وقبله في الوجود » ويليها نشيد القديس يوسف البتول « يا لحظ بديع ... » ونشيد ماريوحنا

المعمدان « فاز من تشهد له الافاضل » ومثله للقديس مارون « ما لاح في آفاق » ومثله للقديس يوحنا مارون « لقد جاد الاله . . . » ثم مدايح مريم العذراء مثل « ان قلبي في هوى مريم . . . وكلك جميلة وما بك معاب . . . ويلحق بذلك الطلبات للسيدة العذراء : « انا ام المحبة . . . يا ام الرحمان . . . وللقيامة : المسيح حقا قام . . .

ونختم هذه الاناشيد والميامر بكلمة وجيزة تعرب لنا بوضوح عن قيمة هذه المدايح العظيمة التي نظمها المطران عبدالله لكنيسة طائفته والتي ستبقى مدى الدهر ، ونقول مع الخوري بولس قراعلي (ص ٦٩٣) : « من يرغب في معرفة ما كان عليه المطران عبدالله ، هذا المنظم القدير ، والمصلح الكبير ، والرئيس الحكيم ، والقاضي العادل المهاب ، والراهب المتقشف من تقوى عميقة ، وعلم راسخ ، وعبادة نيّرة ، مقرونة برقة الشعور ، وسمو الافكار والعواطف وقوة الخيال وطهارته ، وسلامة الذوق وطلاوته ، وجودة التعبير وسداجته ، فليصغ الى هذه الاناشيد المتنوعة متأملا ما تضمنته من معان سامية لطيفة تمثّل اسرار النصرانية الجميلة ، وتصف امجاد القديسين بعبارة سليمة قريبة للفهم والقلب ، فتحبّب الى الشعب الذي نظمت لاجله العبادة والديانة والاتكال على الله ، والتجرد عن حطام هذه الدنيا الفانية [٢] » .

اجل من يرغب في معرفة ما كان عليه هذا المطران العالم التقي من حب للعلم والثقافة فلينظر الى كثرة المدارس التي افتتحها هو ورهبانه في قرى لبنان ومدنه أي في رشميا وزغرتا وبشري ومصبح وفي طرابلس وقزحيا ، وبيروت وصيدا وعكا في الجنوب ، واللاذقية في الشمال ، وقبرص ومصر وفلسطين وغيرها لاعتقاده أن المدارس انما هي معامل بشرية لاعداد رجال الغد بتكوين ثقافتهم ، وتنوير عقولهم ، وتهذيب أخلاقهم ، وتغذية ارواحهم ، وتربية وطنيتهم .

---

٢) انظر هذه الاناشيد وغيرها في كتاب اللآلي المذكور ، ص ٦٨٦ — ٦٩٢ .

مصادر هذه النبذة التاريخية
عن سيرة المطران عبدالله قراعلي المؤسس الرهباني .

١ ــ مذكرات المطران عبدالله نفسه ، وقد نشرتها انا كاتب هذه السطور في المجلد الثالث من تاريخ رهبانيتنا الحلبية اللبنانية (المريمية حالاً) سنة ١٩٦٥ ص ٢١٨ .

٢ ــ سيرة المؤسس الاب عبدالله قراعلي بقلم تلميذه الأب العام توما اللبودي المنشورة في المجلد السادس من تاريخنا الرهباني سنة ١٩٦٨ ، ص ٢٩٨ .وقد نشرت قبلا في المشرق .

٣ ــ كتاب المصباح الرهباني للمطران عبدالله قراعلي نشره سنة ١٦٧٢ الأب جورج موراني احد رهباننا المثقفين .

٤ ــ تاريخ الرهبانية الحلبية للمطران جرمانوس فرحات نشرته سنة ١٩٦٣ في المجلد الأول من تاريخنا الرهباني .

٥ ــ برنامج أخوية مارمارون ليوسف خطار غانم نشر في بيروت سنة ١٩٠٣ ، ص ١٢١ .

٦ ــ تاريخ الرهبانية اللبنانية للأب لويس بليبل ، المجلد الأول طبع سنة ١٩٢٤ في بيروت .

٧ ــ كتاب اللآليء في حياة المطران عبدالله قراعلي ، ٣ مجلدات ، الفه الخوري اسقف بولس قراعلي وطبعه في لبنان بيت شباب وفي مصر في المجلة البطريركية : عن الراهب والاسقف والمصلح .

٨ ــ نشرة عن استرجاع كنيسة الموارنة في دمشق الشام سنة ١٧١٨ بقلم المطران جرمانوس فرحـــات نشرت في المجلة السورية في سنتيها ١٩٢٦ و ١٩٢٧ .

٩ ــ تاريخ الطائفة المارونية للبطرك اسطفان الدويهي نشره المعلم رشيد الشرتوني في صفحة ٢٥٦ و ٢٦٢ و ٢٧٧ .

١٠ــ تاريخ دير قزحيا بقلم الأب نعمةالله الكفري اللبناني نشر في المشرق ٤/ص ٢٦١ .

١١ــ سيرة المطران جرمانوس فرحات للقس جرجس منش الحلبي نشرت في المشرق ٧/ص ٤٩ و ١٠٥ و ٢١٠ .

١٢ــ كتاب الاصول التاريخية في المجلد الثاني ج ١ و ٢ طبعت في مطبعة سميا في بيروت سنة ١٩٥٦ .

١٣ــ الآثار المطوية في تأسيس الرهبانية اللبنانية للأب بليبل نشرها الأب انطونيوس شبلي الراهب اللبناني في المشرق ٥١ ، لعام ١٩٥٧ ، ص ٢٨٣ .

١٤ــ الاصول التاريخية لعام ١٩٣٤ في جونيه ، وفيها الذكرى للمطران فرحات .

١٥ــ المجلد الأول من تاريخنا الرهباني البالغ ١٢ مجلدا ، وفيه تعاليق من الأب توما اللبودي عن قراعلي .

١٦ــ

Le Patriarcat de Cilicie et les Arméniens Catholiques par Mesrob Terzian, Beyrouth 1955, p. 207.

ملحق هام :

عن المحابس والحبساء في الرهبانية :

لم تكن المحابس في أول نشأة الرهبانية كثيرة العدد ، لعدم استتباب الامن والسلام والراحة في البلاد . ولأن المحابس كانت تقام عادة في المغاور وسقوف الارض وفي الاودية والجبال العصية وفي الصحراء ، بعيدة عن العمران والسكن .

فكانت في الرهبانية عند تأسيسها محبسة مشهورة بالشمال في دير مار قزحيا ، على اسم القديس بولا أول الحبساء الذي عاش في صحراء مصر ، بالقرب من البحر الاحمر ، وقد اسعدني الحظ فزرت محبسة مار بولا في مصر ، في قلب الصحراء ، وبعيد عنها مسافة تسعين كيلو متر محبسة القديس انطونيوس كوكب البرية ، في الصحراء ايضاً ، وهي كناية عن جملة قلاليء كبيرة وصغيرة وجنائن من الزيتون والبلح وشجر الليمون الحامض وبعض المزروعات ، وفي هذه البقعة بنايات حديثة وصالونات لايواء الزوار الكثيرين الذين يذهبون الى هناك لمشاهدة المحبسة الصغيرة التي كان يقيم فيها القديس العظيم وهو مدفون هناك . وكل هذه المسافات لها اسوار عالية وفيها باب واحد للدخول . وفي هذه المساحة تتفجر نبعة كبيرة كان يشرب منها القديس ، ويسقي المزروعات التي يزرعها فيها .

ومعلوم ان محبسة قزحيا هي الأولى في الرهبنة ، قال الأب العام عبدالله عن سبب انشائها ما يلي[1] : « تحرك قلب البعض من الأخوة الكهنة لطلب السكوت والانفراد ، وهذه كانت شهوة الأب المرحوم يوسف البتن ، فطاوعتهم الى ذلك ، وافردتهم الى مكان في وادي قزحيا ، يُعرف بعربتا ، وكان عددهم اثنين ، واسم الواحد منهما انطونيوس ، وهو شيخ يُعرف باسم « ابن مبارك » . والآخر شاب يُعرف بابن شوشان . وضيّقت عليهما القانون اكثر

---

(١) راجع تاريخ الأب بليبل من المجلد الأول ، ص ٩٣ .

مما هو في الدير . وسلمتهما الكرم الذي هو امام محابستهما ليعملا فيه ويقاتلا الضجر . وافردت لهما قلاية جعلاها كنيسة على اسم مار پولا أول المنفردين . وكان معاشهما من دير الأخوة عوض تعبهما في الكرم » .

ومن ذلك الحين جرَت العادة ان يكون عمل الحبساء اليدوي الاعتناء بغرس شجر الكرم .

بعدها انشئت محبسة ثانية في المتن . في دير ماربطرس كريم التين الذي انشيء سنة ١٧١٢ . وهي على اسم القديس روكز . وسميت فيما بعد على اسم العذراء مريم والدة الله . وروي ان تأسيسها يعود الى سنة ١٧٠٠ . وقد تنسّك فيها منذ سنة ١٧٣٠ الى سنة ١٩٢٦ سبعة حبساء زهدوا في العالم واباطيله وجاوروا ربهم فيها بين عمل وصلاة وتأمل وصمت .

وهذه اسماء هؤلاء الحبساء الذين زهدوا في الدنيا وما فيها :

١ — الحبيس الأول انطونيوس البطحاوي من بيت مبارك وتوفي في ١١ تشرين الأول سنة ١٧٤٠ .

٢ — الحبيس الثاني هو الأب افرام باسيل الاهدني وقد توفي في ١٧ آذار سنة ١٧٨٢ . وحين وفاته قرع جرس الدير من ذاته وكان ذلك قبل نصف الليل بساعة :

٣ — الحبيس الثالث هو الأب حنانيا القليعاتي الذي توفي في أول تشرين الأول سنة ١٨٤٨ .

٤ — الحبيس الرابع هو الأب لورنسيوس حيمري الديراني الذي توفي في ٢٩ شباط سنة ١٨٨٠ .

٥ — الحبيس الخامس هو الأب مبارك السلحاوي وقد توفي في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٨٨٩ .

٦ — الحبيس السادس هو الأب عبد المسيح كرم الشبابي وقد توفي في ٧ كانون الأول سنة ١٩١٧ .

٧ — الحبيس السابع هو الأب سرابيون العكاوي وقد توفي في ٢٢ كانون الأول سنة ١٩٢٦ .

وقد اشتهر من هؤلاء الحبساء اثنان الأب لورنسيوس الديراني وعبدالمسيح الشبابي اشتهرا بالتقوى والقداسة والغيرة واجتراح العجائب وماتا برائحة القداسة .

— حياة الأب لورنسيوس معروفة لدى الجميع • ومدّونة في سجلات الرهبانية ، وفي سيرة حياته المطبوعة . واما عجائبه المعروفة فهي مسجلة في دفتر المحبسة ، وقد شهد على صحتها مطران الابرشية وكهنة الرعايا .

— اما الأب عبدالمسيح كرم الشبابي فقد أشتهر بأعجوبتين لا يزال شهود عيان يذكرون ذلك سواء أكان من ابناء الرهبانية في دير ماربطرس ام من العلمانيين . فالاعجوبة الأولى هي حفظ كرم المحبسة من اذى الجراد الزّحاف في أثناء الحرب الكونية الأولى ، ومعروف ان الجراد وقتئذٍ اتلف كل اخضر ويابس في لبنان وسبّب للاهالي المجاعة والموت ، ولم يسلم من شره سوى « كرم الحبيس عبدالمسيح » . وقد ادهشت هذه الاعجوبة كل الناس . واتى عهدئذ من بكفيا القائد التركي وشاهد الكرم الاخضر بام عينيه ، وقد تحقق من القول .

ومن الذين عرفوا الحبيس وشاهدوا هذه الاعجوبة الابوان يوسف يزبك الحصروني وسمعان مناسا العشقوتي ، ومختار البلدة السيد حنا صليبا والسيد يوسف العليا وقد عرفتهم شخصياً وسالتهم عن ذلك واجابوا بالصواب والحقيقة .

والاعجوبة الثانية اخبرنا هؤلاء الاشخاص ايضاً عنها وهي ان الحبيس قبل عنده في المحبسة شاباً كان يعمل في الدير ، وقد أصيب بمرض التيفوئيد الخبيثة ، فشفي من مرضه ، ومرض الحبيس بد له بذات المرض متأثراً بمخدومه ، ونظراً لضعف جسمه وتقشفه وشيخوخته توفي من مرضه هذا ، باذلاً نفسه عن الآخرين .

والمحبسة الثالثة انشئت في دير سيدة طاميش ، بالمتن . ولكنها لم تعش طويلاً لرداءة مناخها بسبب المستنقعات المتكونة من مياه نهر الكلب القريب منها . ثم انشئت محبسة رابعة في دير سيدة مشموشه ، في الجنوب ، ولكنها لم تعمر طويلاً لفقدان الامن في تلك النواحي .

بعد ذلك اخذت المحابس تنمو وتزداد ازدهاراً واعداداً سنة فسنة . وقد سنّ لها المؤسس الأب عبدالله قانوناً . وقد تحدثنا كثيراً عن هذه المحابس وخاصة محبسة دير ماربطرس كريم التين في خلال وضعنا تاريخاً لهذا الدير القديم .

وهنا نذكر ما رواه الأب العام عبدالله قراعلي في مذكراته التي طبعناها له في المجلد الثالث من تواريخنا الرهبانية ، قال :

« تشكى عليّ السيد البطريرك يعقوب عواد للمجمع المقدس برومية انني انشأت رهبنة جديدة ، وتركت رهبنة الموارنة القديمة . من غير اذن الرؤساء في الطائفة بل براي نفسي وحدي . والظاهر لنا ان القس جبرايل حوا المقيم في رومية كان من جملة المشتكين عليّ ووصّلوا القضية الى المجمع المقدس ، ان يحكم بتبطيل قانون رهبنتنا ، فكان ذلك كما ارادوا . وقبل ان يظهر هذا الخبر ، ابتدأ السيد البطريرك يطلبني ليرسمني اسقفاً على بيروت ، فكنتُ امانعه بالكلام ، وكان ظني أنه يقول بالظاهر وليسَت هذه نيته .

« وفي اوائل شهر أيلول وصل ليدي امر سام من المجمع المقدس يامرني في ابطال القانون المؤسسة عليه رهبنتنا ، وان نرجع الى قانون الموارنة القديم . لأنه زعم ان هذا الجديد صار من غير اذن الرؤساء مع بعض كلمات ، وبخني بها المجمع المقدس الروماني . فلما تفهّمت الكلام تعاظم عليّ الحزن كثيراً ، وكتبتُ جواباً اظهرتُ فيه كذب المتشكين عليّ ، وبيّنت للمجمع المقدس ان الموارنة ليس لها قانون رهبنة قديم كما يدّعون . وان هذا الجديد قد جمعناه من كتب الاباء ، وقد صار وتمّ باذن الرؤساء الاعلين ، رؤساء الكنيسة الانطاكية ، والمطارنة المحترمين ، وارسلت مع الجواب صورة تثبيت القانون الرهباني الذي كان سيدنا البطرك اسطفان

الدويهي المرحوم . ومن البطرك يعقوب عواد ايضاً . وقبل ان ارسل الجواب ، ورسوم التثبيت المذكورة ، ذهبت لعند البطريرك وعاتبته بما اشتكى علينا ، فنكر وقال ، أن هذا هو عمل غيري . ولكنه صار بعلمي . وبعد معاتبات ومخاطبات جرت بيني وبينه ، قال لي غبطته اني اريدك تطيعني حتى ارسمك مطراناً . وبعده انا وانت معاً نرسل للمجمع المقدس ، وندافع هذا الامـر عن الرهبنة . وزعم قائلاً انت ملزوم تطيعني بذلك لانني انا آمرك بالطاعة المقدسة .

« فأجبته انني اريد أن أستشير العلماء بذلك ، وكيفما اشاروا عليّ افعل . وافترقت عنه على مثل هذا الحال . واتيت وتكلمت مع الرهبان في دير اللويزة ، لان البطريرك كان في كسروان ، وترّجح الرأي اني اطيع البطريرك واقبل منه درجة المطرانية ، خوفاً منه لئلا يغتاظ ويشهر منع القانون الذي جاء من رومية ، فترعب قلوب الرهبان السذج ، وتقع الفتن في الديورة ، فتؤول الى الخراب . فاستولت عليّ الجبانة ، وذبحتْ قلبي ، ولم يكن لي تسلية البتة . ولم اعرف ادّبر نفسي بفعل الرجاء والاتكال على الله ، وأنه هو الذي يميت ، ويحيي ، وينزل عن الكراسي ، ويقيم عن المذبلة . ولم يوجد ايضاً من يشجعني في وقت محنتي هذه ، بل كنتُ افتكر ان البطريرك صار يشهر القانون بأنه باطل ، ويجتهد في بطلانه . وكانت محبة الرئاسة تلعب بعقلي ، وتدفعني عن أتعاب النكث والمخاصمات الحاضرة ، فمن قبل ذلك سلمتُ لراي البطريرك وقبلتُ منه درجة الاسقفية في السابع عشر من شهر ايلول . وكنت ارى ذاتي بين حزين وفرحان ، حزين لفراق القانون الرهباني وأخوتي الرهبان ، وفرحان لحمايتي لهم مع ملامسات المجد العالمي ، ورفعة الدرجة ، والعتق من القانون ، وأمثال هذه الآلام المستقرة في الام النفس » .

وقال المطران عبدالله بهذا الخصوص في مذكراته المعروفة ما

يلي : « وبعد ايام اخذت اتذاكر مع السيد البطريرك في امور الرهبنة . فرايت نيته انه يريد ان يفسخ القانون . ويبطل الرئاسة العامة . ويجعل كل دير قائم بذاته . بزعمه ان ذلك هي رهبنة الموارنة . وهذا هو الاوفق لتدبير الكنيسة والرهبانية . فلما سمعت كلامه . مانعت عن هذا الراي بلطف فسكت ولم يعد يتكلم امامي بهذا اصلا . وكنت معه تحت الوعد باننا نكاتب رومية . اما الرهبان فلما سمعوا برسامتي اسقفاً اضطربوا من حيث ان تغيير الرئاسة العامة . لم يكن مر عليهم منذ كنا في دير واحد . ولم يكن احد من الرهبان القدماء الذين حضروا ايام القس جبرايل حوا كما مر . ولما كنت اسال السيد البطريرك بان نكاتب رومية . وندافع عن الرهبنة ضد الامر الروماني المانع القانوني كما سبق القول . فلم يكتب بل كان يقول لي : اصبر حتى يقيم لهم الرهبان رئيس عام ويحضروه لعندنا ونتكلم معهم . وبعد ذلك نكاتب رومية . وكان حينئذ القس جبرايل فرحات احد المدبرين مقيما في حلب لغرض عرض . فارسلوا في طلبه ليحضر حالا . وعقدوا مجمعا رهبانيا . وصار فيه تشويش قليل من بعض القسوس الذين كانوا يريدون يغيّروا بعض العوائد . لكن الله لم يسمح بفتنتهم . بل انتهوا الى الوفق والمحبة . واقاموا الأب فرحات نائباً عاما لتكميل المجمع... » .

واما الغرض الذي عرض للاب فرحات بان يقيم في حلب فهو لتهذيب عبارة كتاب الدر المنتخب للقديس يوحنا فم الذهب . وذلك بناءً على طلب البطرك اثناسيوس دباس الملكي ...

ونختم كلامنا عن مترجمنا المغفور له المطران عبدالله قراعلي هكذا : نختصر ترجمة حياة هذا الرجل الصالح العظيم الذي حاولنا وضع سيرته لنقتدي به جهدنا . فنقول انه تفنى طوال حياته النسكية في خدمة الله والقريب ورهبانيته وطائفته . تفناها راهبا متقشفاً . راهباً معلماً ومرشدا . راهبا مربياً بكلامه وتعليمه ومثله . راهباً مصلحا في القضاء والقانون والرهبنة والطائفة . راهبا واعظاً .

قاضياً ومتشرعا ، راهباً مكرساً حياته لربه وبلاده . اسقفاً راعياً صالحاً ، غيوراً ، نشيطاً لا ينام الا قليلاً ، ولا يأكل الا نادراً ليقتات جسمه دون نهم او شهوة ليبقى متسلطاً على قواه وشهواته . فمن كان هكذا صالحاً يبقى ذكره حياً في القلوب وخالداً في نفوس ابناء طائفته ورهبانيته والبلاد .

ولهذا اقول :

عليك تحية الرحمان تترى : برحمات غواد رائحات

هيهات ان يأتي الزمان بمثله : ان الزمان بمثله لبخيل

رزقنا الله صلاته لخير الرهبانية آمين .

الفهرس

صفحة

٥ – تمهيـــد

٧ – مقدمة الكتاب

١١ – الفصل الاول : نشأة المطران عبدالله وحداثته ونذوره

٢٥ – الفصل الثاني : سيامة عبـدالله كاهنا وجمعه القانون الرهباني

٤٩ – الفصل الثالث : الاديار التي أسسها الاب عبدالله قراعلي

٧٩ – الفصل الرابع : سيامـة الاب عبدالله اسقفاً في الطائفة واعماله الاسقفية المتعددة

١٠٣ – الفصل الخامس : المطران عبدالله والاصلاح في الطائفة

١٢١ – الفصل السادس : في الاديار الواجب تنظيمـــها حسب القرارات المجمعية

١٣٧ – الفصل السابع : في الدعاوى المقامة على المطران محاسب المناوىء لتنفيذ الاصـــلاح في الطائفة والرهبنة

صفحة

١٤٧ – **الفصل الثامن** : في المدارس التي افتتحها المؤسس المطران عبدالله قراعلي الحلبي

١٥٥ – **الفصل التاسع** : في الاصلاح القضائي الذي قام به المطران عبـــدالله قراعلي الحلبي ، والاصلاح الطقسي ، والاختام المتعددة

١٦٣ – **الفصل العاشر** : وفـاة المطران عبدالله قراعلي ومولفاته الكثيرة في جميـع الحقول

١٦٨ – **الفصل الحادي عشر** : كتابات المطران عبـــدالله قراعلي واناشيده ، ومصادرها التاريخية

١٧٤ – **ملحق هـــام** : نبـذة عن مجالس الرهبانية وحبسائها العديدين ، وكلمة عن مذكرات المطران عبدالله قراعلي

١٨١ – الفهرس

الآباتي بطرس فهد

ولد الآباتي بطرس فهد في أيار سنة ١٩١١ في عشقوت وهي بلدة وادعة أنجبت بطريركاً عظيماً هو بولس مسعد وأربعة مطارنة وأربعة رؤساء عامين . والده المعلم تامر يوسف فهد . والدته عفيفه سمعان ضومط سيف. تعمَّد في السنة نفسها باسم منصور . درس في صغره في مدرسة القرية تحت السنديانة المحاذية لكنيسة مار يوحنا المعمدان. وبعد الحرب العالمية الأولى دخل مدرسة آل مسعد في عشقوت ثم التحق بمدرسة آل مبارك في ريفون لمدة سنتين . ثم قضى سنة واحدة في مدرسة عين ورقة بعدها سنة واحدة داخلية في معهد الآباء اليسوعيين في بيروت ابتغاء الانضواء الى السلك الكهنوتي الأبرشي .

وفي أيلول سنة ١٩٢٧ ، انضوى الى سلك الرهبنة الحلبية فعمل الابتداء في دير مار سركيس وباخوس عشقوت ، قبل ارتداء الاسكيم الملائكي الذي اتشح به في أواخر سنة ١٩٢٨ . وفي أوائل سنة ١٩٢٩ ، دخل مدرسة الرهبانية في دير سيدة اللويزة مدة سنتين حيث أنهى دروسه العربية والفرنسية وبعض مبادىء اللغـات السريانية والايطالية واللاتينية .

وفي سنة ١٩٣١ ، سافر الى رومه لتلقي العلوم العالية في الفلسفة واللاهوت والعلوم الأخرى ، مع قليل من اللغة اليونانية والعبرية لدرس الكتاب المقدس . فنال أولا ، البكالوريا في الفلسفة الكلاسيكية ، ثم الاجازة (Licence) في اللاهوت ، وذلك في جامعة لاتران الحبرية . وفي سنة ١٩٣٧ ، ارتقى الى درجة الكهنوت في رومه على يد المطران اللاتيني نائب الحبر الأعظم .

وفي سنة ١٩٣٩ ، عاد الى الوطن فعيَّنه رئيسه العام الآباتي يوحنا معربس أمين السر للرهبنة ، وبالوقت نفسه معلماً في الدروس العربية العالية لتلاميذ الرهبنة في اللويزة مدة ثلاث سنوات متتابعة . وبقي يتابع واجبات وظيفة أمين السر العام في عهد رئيسها العام الجديد الآباتي مرتينوس مهنا الكفرتاوي .

وفي سنة ١٩٤٣ في اواخرها انتخب رئيساً على البطركخانة المارونية في مصر الجديدة خلفاً للآباتي بطرس خويري ، حيث خدم مدة تسع سنوات متواصلة ، ففتح هناك مدرسة لتعليم الأحداث ، وتعيَّن قاضياً في المحكمة الروحية المارونية في مصر .

وفي سنة ١٩٥٧ ، انتخب مدبراً عاماً في الرهبنة وبالوقت نفسه رئيساً على دير مار دوميط فيطرون .

وفي سنة ١٩٦٩ ، انتخب رئيساً لدير مار انطونيوس برومه ، ونائباً عاماً لدى الكرسي الرسولي ، وكانت له فرصة لأن يتردد الى ارشيف الفاتيكان حيث درس المخطوط الكرشوني العريق في التقدم فطبع كتاب الهدى عنه .

وفي سنة ١٩٧٥ ، انتخب رئيساً عاماً على اللرهبنة لمدة ست سنين ، وكانت سنون ملأى بالحروب والاضطرابات ومع ذلك تمكن بعون الله ومؤازرة مدبريه من إكمال بناء مدرسة اللويزة ، وانشاء مركز اللويزة العالي (حالياً جامعة سيدة اللويزة)، وبناء جناحين في دير الاكليريكيين بسهيلة ، وبناء طابق جديد في دير الابتداء مار سركيس وباخوس عشقوت .

وفي ختام رئاسته العامة ، انعم عليه فخامة رئيس الجمهورية الشيخ أمين الجميل بوسام المعارف الممتاز تقديراً لكثرة تصانيفه التاريخية البالغة خمسين مجلداً ، والحبل على الجرار .

المطران عبدالله قراعلي

مؤسس الرهبنانية المارونية الحلبية اللبنانية سنة ١٦٩٤

في وادي قاديشا المقدس

بقلم : الاباتي بطرس فهد